جامعة محمد بن زايد
للعلوم الإنسانية
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

الإخوان المسلمون
والتهديد الفكري

د. عدنان إبراهيم

جامعة محمد بن زايد
للعلوم الإنسانية
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

آثر الكتاب أن يجعل منطلقه في الاشتباك الفكري مع جماعة الإخوان المسلمين الثلاثة الأركان التي رفعوا عليها بناءهم الفكري برمته، ممثلة في استعادة الخلافة الإسلامية، والحاكمية، والأمة في مقابل الوطن، كاشفا بهذا الخصوص، ضمن حدود العمل الضيقة، عن صنوف من التلبيسات وضروب من التضليلات التي يعسر على العوام كشفها وتزييفها.

ثم عطف الكتاب ببيان الوسائل التي اصطنعتها هذه الجماعة من أيام مؤسسها، لتحقيق أهدافها، التي لا تخطئ عين ناقدة رؤيتها على حقيقتها، بعيدا عن التمسح العاطفي بالإسلام وادعاء إشاعته ونصرته: رغبةً هوسية في السلطة والهيمنة، وتنفيذا أثيما لأجندات قوى عالمية مشبوهة، تصرُّ على تفتيت بلادنا، وإخسار قضايانا العادلة والمصيرية، ومن ثم، تركنا، أرضا وشعوبا، نهبا للطامعين وميدانا للواغلين والصائلين.

وقد تخيّر الكتاب من تلكم الوسائل، خمسا، قدّر أنها الأخطر والأفعل، وهي: التراتبية الصارمة، الحصرية واحتكار تفسير الدين، الطاعوية، التقية والكذب والتلون، والإرهاب معجلا ومؤجلا.

والله تعالى هو المرجو وحده، والمدعو دوما، أن يبصر المسلمين بحقيقة هذا التنظيم الخارجي المنحرف عن صحيح الدين، وأن يحفظ أمتنا وشعوبنا من مكره وشره.

ISBN 978-9948-685-708
9 789948 685708

mbzuh MBZ university for humanities mbzuh.ac.ae

الإخوان المسلمون
والتهديد الفكري

د. عدنان إبراهيم

مقدمة

الحمدُ لوليه، والصلاة على صفيه ونبيه.

مـن اللافـت أن الإخـوان المسـلمون[1] لم ينخرطـوا بقـدرٍ ملحـوظٍ في جـدلٍ علمـيٍّ جـادٍّ مـع المرجعيـات العلميـة المعتـدة حـول مبادئهـم الكبرى وأسسـهم الفكريـة، بـل آثـروا التوجـه إلى الجمهـور لكسـبه لصالـح مشروعهـم، مـا أكسـبهم ومشروعهـم زخـمًا جماهيريًّا كبـيرًا، سـيمارس دوره في الضغـط عـلى العلـماء كـما عـلى المؤسسـات العلميـة الدينيـة، بقـدرٍ أو بآخـر، اعتـمادًا عـلى عوامـل مختلفـة، مـن بينهـا مـدى تقـارب نظـام الحكـم في الدولـة المعنيـة معهـم.

ومـما يلاحـظ أن مجادلـة هـؤلاء في غـير أسسـهم الفكريـة قليلـة الجـدوى، وذلـك أنهـم يسـيرون عـلى اسـتراتيجية الروغـان بتوظيـف الالتباسـات المفهوميـة، فضـلًا عـن التباسـات المواقـف وبراغماتيتهـا، فـإذا احتججـت عليهـم بمـا قالـه، أو كتبـه، فـلان مـن كبرائهـم أجابـوك بأنـه، بقولـه هـذا، يمثـل نفسـه ولا يمثـل الجماعـة، وإذا اعترضتهـم بهـذا الموقـف أو ذاك مـن مواقفهـم التـي تتعـارض مـع صحيـح الديـن، أو حتـى مـع شرف الموقـف ونزاهـة الممارسـة، ردوا بأنـك لم تفهـم حقيقـة موقفهـم، ورمـوك بالإغـراض والتحامـل، مـا يجعـل الجـدل معهـم يبـدو منحـصرًا في اللـوازم والتطبيقـات التـي تقـترب أو تبتعـد مـن الأسـس، التـي يوهمـون أتباعهـم بصحتهـا بشـكل قطعـيٍّ لا يقبـل الشـك.

1 سأمضي على رفع «المسلمون» في كل مواقعها الإعرابية على أنه مرفوع على الحكاية.

ومـن هنـا، وجـب التوجـه المبـاشر إلى أركان مشروعهـم الفكريـة، فبقـاء البنيـان أو انهيـاره تبعٌ في كل حالـة لبقـاء الأركان. وفي الوقت نفسـه، لا ينبغـي حـصر الجـدل حـول أسسـهم الفكريـة مـع نخبهـم، بـل يجـب التوجـه إلى الجمهـور وعـرض الآراء الأخـرى التـي لم يتسـن لـه الاسـتماع إليهـا، حتـى لتبـدو لـه - أول وهلـة - شـاذةً منكـرةً، إذا ألقيـت إليـه عاريـةً عـن الدلائـل، مجـردةً مـن الشـواهد.

وسـنعرض في هـذه العجالـة لأهـم الأركان الفكريـة لمـشروع هـذه الجماعـة، والتـي هـي عينهـا أركان المشـاريع المشـابهة التـي ولتهـا، بمـا فيهـا الجماعـات بالغـة العنـف والتطـرف، والتـي خـرج معظمهـا مـن عبـاءة الجماعـة الأم. وبسـبب ضيـق المسـاحة المتاحـة، سـيكون العـرض مجتـزءًا، يشـير ولا يبلـغ، ويمثِّـل ولا يسـتقصي، إنْ لجهـة الكـم، أو لجهـة الكيـف، نجتـزئ بأهـم الأركان، كـما نجتـزئ في عرضهـا ومحاورتهـا، مـن بـاب اللفـت والإيقـاظ، لا أكـثر.

ثـم نعطـف باجتـزاء العـرض لأهـم الوسـائل التـي توسـلتها هـذه الجماعـة في إقنـاع الجمهـور بمشروعهـا، كـما في محاولاتهـا المتكـررة لتنفيـذه.

ولوعينـا بـأن محـاورة الجمهـور، بطبيعتـه، أصعـب بمراحـل مـن محـاروة شـخصٍ واحـدٍ، فضـلًا عـن إدراكنـا أن الجماهـير في العـادة لا تكون حريصـةً عـلى الوقـوف عـلى الحقائـق المجـردة، بقـدر اهتمامهـا بسـماع مـا يطمئنهـا ويعـد بتحقيـق صوالحهـا، نلفـت إلى أن ليـس مقصودنـا محـاضرة الجماهـير فقـط، بقـدر مـا هـو الاهتـمام بتغيـير النمـوذج الإرشـادي

«البرادايـم» الـذي يمثـل الإطـار العام لتلقـي هذا الجمهـور للأفـكار الدينية، وتقييمـه لهـا، الأمـر الـذي يعنـي - ضمـن مـا يعنـي - تثويـر الفهـم لجوهر الديـن وحقيقـة رسـالته في الحيـاة. وذلـك يتطلـب تظافـر جهـودٍ شـتى: فرديـةٍ ومؤسسـاتيةٍ وفكريـةٍ ودينيـةٍ وفلسـفيةٍ وعلميـةٍ وتربويـةٍ وقانونيـةٍ وأمنيـةٍ .. إلـخ؛ مـما تنهـض بـه الـدول، ولا يسـتقل الأفـراد بالنهـوض بـه عـلى الوجـه المرجـو.

الفصل الأوّل

الأركان الفكرية لمشروع جماعة الإخوان المسلمين

الفصـــل الأوّل

الأركان الفكرية لمشروع جماعة الإخوان المسلمين

الركن الأول: الخلافة و«الحكومة» الإسلامية [1]

ضـدًّا عـلى مذهـب أهـل السـنة والجماعـة، وموافقـةً للشـيعة[2]، ذهب حسـن البنـا إلى أن الحكـم (بمعنـى السـلطة السياسـية)[3] مـن الأصـول لا

1 كانـت، ولا تـزال، مسـألة «الإمامـة» أي السـلطة السياسـية أعظـم مسـألة وقـع الخـلاف حولهـا في الأمـة، وسـال حولهـا دمٌ غزيـر وحـبرٌ كثيرٌ، قال الشهرسـتاني في مللـه ونحلـه الخلاف الخامـس: في الإمامة، وأعظم خـلافٍ بـين الأمـة خلاف الإمامة، إذ ما سـل سـيف في الإسـلام عـلى قاعدة دينية مثل ما سـل عـلى الإمامة في كل زمـان ومـكان. (الشهرسـتاني، محمـد بـن عبدالكريـم، **الملـل والنحـل**، تحقيـق عبدالعزيـز الوكيـل، مؤسسـة الحلبـي، القاهـرة، 1968، 22/1).

2 سـينجر عـن هـذه الموافقـة تـوالٍ وعواقـب بالغـة السـوء، لعـل أسـوأها عـدم الاعـتراف بشرعيـة الدولـة الوطنيـة، التـي لا تلتـزم تطبيـق الشريعـة عـلى النحـو الـذي يفهمـه هـؤلاء، ومـن ثـم فتـح البـاب أمـام محـاولات تقويـض هـذه الدولـة، فضـلًا عـن بعـض اللوازم السـيئة الأخـرى، كاسـتحلال جماعـات العنف الدينـي السـنية سرقـة مـا يعود إلى مؤسسـات الدولة من مال، ومـن جهتهم، فإن غالبية الشـيعة الإمامية ينظـرون إلى مـا يعـود إلى الدولـة الحديثـة مـن مـال عـلى أنـه داخل فيـما يسـمونه ب «مجهـول المالك» مثـل اللقطـة، والمـال الحاصـل بطريـق الغصـب والربـا والسرقـة والقـمار، والديـن لدائـن غائـب، ومـا لا وارث لـه مـن الأمـوال، أمـا العلـة التـي عللوا بهـا مجهولية مالك مـا يعـود إلى الدولة الحديثـة فهي أنهم لا يـرون للحكومـات الحديثـة أهليـة للتملـك، وهكذا نظـر إلى ما يتقاضـاه موظفو الحكومـة من مرتبات شـهرية عـلى أنـه داخـل في مجهـول المالـك، واقـترح بعـض فقهائهـم وجـوب إعطائهـا إلى المرجـع الديني ومـن ثـم يقـوم هـو بإعطائهـم إياها. وبهذه الفتـوى الغريبة فسر غير واحد حالة الاسـتيلاء الهوسـية على أمـلاك وأمـوال الدولـة العراقيـة، بمـا فيهـا النفـط، بعد سـقوط بغداد في عـام 2003.

3 تفسـير الحكـم بالسـلطة السياسـية حـادثٌ في عصرنـا هـذا، أمـا في تراثنـا الدينـي فالحكـم كان بمعنـى القضـاء، والحاكـم هـو القـاضي لا الخليفـة أو الأمـير، والحكومـة هـي الواقعـة القضائيـة. قـال ابـن الأثـير 606هــ: والحكـم العلـم والفقـه والقضـاء بالعـدل، وهـو مصـدر حكـم يحكـم، ويـروى «إن مـن الشـعر لحكمـة» وهـي بمعنـى الحكـم. ومنـه الحديـث الصمت حُكمٌ وقليلـه فاعله، ومنـه الحديـث الخلافة في قريـش والحكـم في الأنصـار، خصهـم بالحكـم لأن أكـثر فقهـاء الصحابـة فيهـم، معـاذ بـن جبـل، وأبي بـن كعـب، وزيـد بـن ثابـت، وغيرهـم. ومنـه الحديـث وبـك حاكمـت، أي رفعـت الحكـم إليك فـلا حكم إلا لـك. (ابـن الأثـير، المبـارك بـن محمـد، **النهايـة في غريب الحديـث والأثر**، تحقيـق طاهـر الـزاوي ومحمود الطناحـي، المكتبـة العلميـة، بـيروت، 1979، 419/1)

مـن الفـروع، فكتـب يقـول:

ويتسـاءل فريـقٌ آخـر مـن النـاس: هـل في منهـاج الإخـوان المسـلمين أن يكوِّنـوا حكومـةً وأن يطالبـوا بالحكـم؟ ... وهـذا الإسـلام الـذي يؤمـن به «الإخـوان المسـلمون» يجعـل الحكومـة ركنًـا مـن أركانه...والحكـم معـدودٌ في كتبنـا الفقهيـة مـن العقائـد والأصـول، لا مـن الفقهيـات والفـروع!![1]

وقـد شرع البنـا بهـذه البدعـة الغليظـة طريقًـا واسـعةً ومختـصرةً إلى التكفـير، والعنـف الدمـوي، وهـي الطريـق التـي سـلكها بعـد ذلـك سـيد قطـب، الـذي حـشى «تفسـيره» و«معالمـه» بتكفـير المجتمعـات المسـلمة[2]، ليعقبـه أخـلافٌ مجرمـون انطلقـوا مـن فكـره الزائـغ يلغـون في دمـاء الأبريـاء، مسـلمين، وغـير مسـلمين، عـوام وعلـماء، دونمـا تحـرجٍ أو تأثـمٍ.

وأمـر السـلطة السياسـية في ديـن اللـه، مـن الفـروع لا مـن الأصـول، عـلى أن قصـارى حظهـا في بـاب الفـروع أنهـا مشروعـةٌ بأصلهـا، إذ لا بـد

1 البنا، حسن، **مجموعة رسائل حسن البنا**، 1998، ص 186.
ولسـنا نـدري أيـن وجـد البنـا في كتبنـا الفقهيـة مـا ادعـاه، ولم وجـده في كتـب الفقـه، وبحكـم الدعـوى كان ينبغـي أن يجـده في كتـب أصـول الديـن، وقـد تكـون الشـبهة عرضت للبنـا من جهـة أن بعض الأئمة عـبروا عـن الخلافـة بكونهـا مـن أركان الديـن، فظـن البنـا أن أركان الديـن تـرادف أصـول الديـن، وليـس بصحيـحٍ، بـل أركان الديـن هـي فروعـه العمليـة، وأصولـه هي قواعـده العلمية، فالأصل لغة أسـاس الشيء ومنشـؤه، أمـا الركـن فجانـب الـشيء، فالأصـل بمثابـة الأسـاس، والركـن مـن البنـاء، ومسـائل الديـن كلهـا علميـةٌ وعمليـةٌ، فالعلميـة يترتـب عليهـا اعتقـادٌ بـلا عمـل، والعمليـة تصديقٌ وعمـلٌ، والعمليـات أركان الإسـلام الخمسـة ومـا تفـرع منهـا. وقد يعـادل بعضهـم بـين الأصـول والأركان، ويريد في موضـع بالأصول الأصـول العمليـة لا العلميـة، ويعـرف المراد بالسـياق.

2 في كتابـه (**رسـائل التكفـير في فكـر حسـن البنـا**، القاهـرة، 2014) جـادل سـامح عيـد، العضـو **السـابق** في جماعـة الإخـوان، أن البنـا هـو مـن بـذر بـذرة التكفـير، وأن سـيد قطـب كان ثمـرة تلـك البـذرة، والكتـاب قائـم عـلى نصـوص مـن كتـب البنـا تشـهد لدعـوى عيـد.

للناس من أميرٍ، برٍّ أو فاجرٍ، يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، كما قال الإمام علي كرم الله وجهه[1]، وأن على من ولي أمر المسلمين مراعاة المقاصد الكبرى التي لأجلها كانت السلطة، من العدل، والمساواة، وحفظ حقوق الناس، وصون كرامتهم، وحياطة حرياتهم، وتحقيق الأمن في البلاد، في الداخل بعمل قوات الأمن، وعلى التخوم والحدود، بعمل القوات المسلحة التي تحرسها وتذود عنها العدوان الخارجي. أما ما وراء ذلكم من قضايا دستورية، مثل شكل نظام الحكم، وطريق انتخاب الحاكم، وتحديد صلاحيته، ومدة حكمه، وما شابهه من قضايا، فموكولٌ إلى اجتهاد المجتهدين بما يُقدَّر أنه يحقق المصلحة على الوجه المأمول.

وجديرٌ باللفت أن المقصود الأكبر من وجود سلطة تدير الشأن العام في أي بلدٍ، إنما هو تحقيق مصالح الناس، والتي قد تتفاوت من بلدٍ إلى آخر، ومن زمنٍ إلى آخر، المهم أن التوافق حاصلٌ حولها. ولعل من أدق الإشارات إلى هذه الحقيقة ما يفهم من قوله تعالى ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾ [هود: 117] من أن الله تعالى لم يجر سنته في عباده بإهلاك المشركين بمجرد شركهم إذا

1 كلمته المشهورة التي دحض بها تلبيس الخوارج حين قالوا معترضين عليه في قبوله تحكيم الحكمين: لا حكم إلا لله، فقال: كلمة حق يراد به باطل، لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله، وإنه لا بد للناس...إلخ.

كانوا يتعاطون الإنصاف ويقيمون العدل بينهم، وهو رأيٌ يقوم على تفسير الظلم في الآية بالشرك، فتكون الباء للسببية، فالمؤذن بالهلاك ليس الشرك بل الظلم والبغي، وثمة قول ثانٍ يكون قوله «بظلم» في محل نصب حال من فاعل «يهلك» والباء للملابسة. ومن العجيب أن يكون المفسرون تلمحوا هذا المعنى الجليل مبكرًا، فقد جعله الطبري 310هـ ثاني القولين في تأويل الآية[1] وهو قول جماهير المفسرين من أهل السنة، الذي تفرعت عنه مقولةٌ سائرةٌ، وهي أن الملك يبقى مع الكفر، ولا يبقى مع الظلم، ولعل هذا هو ما أوحى إلى ابن خلدون فرضية أن الظلم مؤذنٌ بخراب العمران، التي كشف النقاب عن آليات اشتغالها على نحوٍ لم يسبق إليه.

ثم إن المسلمين بعد قولهم بمشروعية السلطة السياسية، اختلفوا في مسألةٍ مبلغ مشروعيتها، هل تبلغ حدَّ الوجوب أم تقف عند حد الجواز؟

الأول هو قول أهل السنة والمرجئة، ومعظم المعتزلة، كما أنه رأي الخوارج إلا النجدات.

1 قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وما كان ربك، يا محمد، ليهلك القرى، التي أهلكها، التي قَصَّ عليك نبأها، ظُلمًا وأهلها مصلحون في أعمالهم، غير مسيئين، فيكون إهلاكه إياهم مع إصلاحهم في أعمالهم وطاعتهم ربّهم، ظلمًا، ولكنه أهلكها بكفر أهلها بالله وتماديهم في غيِّهم، وتكذيبهم رُسُلهم، وركوبهم السيئات. وقد قيل: معنى ذلك: لم يكن ليهلكهم بشركهم بالله. وذلك قوله «بظلم» يعني: بشرك (وأهلها مصلحون)، فيما بينهم لا يتظالمون، ولكنهم يتعاطَون الحقّ بينهم، وإن كانوا مشركين، إنما يهلكهم إذا تظالموا. (الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق عبدالله التركي، دار هجر، ط 1، 2001، 631/1).

والآخر قول المحكمة الأولى[1]، والنجدات من الخوارج[2]، وبه قال من المعتزلة أبو بكر الأصم، وهشام بن عمرو الفوطي.[3]

وهنا مسألةٌ بالغة الأهمية، ما بد من تجليتها ودفع ما يكتنفها من لبسٍ، وذلك أن مفروضية أمر في شرع الله لا يعني بالضرورة أن يكون الأمر نفسه من حيث طبيعته، دينيًّا، فالشرع أوجب كل ما يحفظ على المكلفين حياتهم ويعزز بقاءهم ويصلح معاشهم، فلو امتنع مسلم عن تناول الطعام والشراب حتى مات، تعرض - لا شك - لغضب الله الشديد، لكن الطعام والشراب من شؤون الدنيا، ووجوب تناولهما لا يخرجهما عن كونهما كذلك. وإذا كانا كذلك، فمفهومٌ أن يوكل أمر تدبيرهما وتخيرهما وتهيئتهما وتمييز صنوفهما وما يتعلق بكل منها من مزايا، ومنافع ومضار، إلى الناس، من غير حاجة إلى تنصيص ديني، بل يسع المكلف، في هذا الصدد، التحرك في

1 طليعة الخوارج الذين خالفوا عليًّا بعد التحكيم وخرجوا عليه.

2 أتباع نجدة بن عامر الحروري الحنفي، كان في مبدأ أمره من أتباع نافع بن الأزرق، ثم خالفه، والنجدات في الجملة خير حالًا من الخوارج الأزارقة، لأنهم لا يكفرون مرتكب الكبيرة إلا بعد إقامة الحجة عليه، بينما الأزارقة يكفرونه مباشرةً وبغير استتابةٍ، ومع أن النجدات يتبرؤون من مخالفيهم، كسائر فرق الخوارج، إلا أنهم لا يستبيحون دماء وأموال مخالفيهم، كما كان يفعل الأزارقة.

3 قال الأصم: لو تكافَّ الناس عن التظالم لاستغنوا عن الإمام، وأما هشام فذهب إلى جواز نصب إمامٍ في حال الفتنة والخلاف، ووجوبها في حال الاتفاق واجتماع الناس، فزعم أن الأمة إذا اجتمعت كلمتها على الحق احتاجت حينئذ إلى الإمام، أما إذا عصت وفجرت وقتلت الإمام لم يجب على أهل الحق منهم إقامة إمام. وفسر عبد القاهر البغدادي كلامه هذا بأنه أضمر به إبطال إمامة علي بن أبي طالب؛ لأنها عقدت له في حالة قتل عثمان ووقوع الفتنة فيه، وعقب قائلًا: وعلي هو الإمام حقًّا على رغم الفوطي وأتباعه. (البغدادي، عبدالقاهر، **أصول الدين**، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، 297-298).

فضاء الإباحة الأصلية، معتمدًا على تجارب الناس، وحصائل الأبحاث العلمية، سواء أقام بها مسلم أو غير مسلم، مهما التزم المقاصد العامة المرعية في هذا الباب، إذا استثنينا ما حرم بالنص، أو بالقياس الصحيح على منصوص الحكم.

وقل مثل هذا، لا فرق، في شأن تدبير الشأن العام للناس، الذي يعبر عنه في زماننا هذا ب «السياسة».

ثم إن هناك دليلًا في موضوعنا هذا، لا أدري لَمَ لَمْ يأخذ حظّه من الاعتبار - على قوته - وذلكم هو تفطن العلماء من قديم إلى التفريق بين مقامات التصرف النبوي[1]، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان مبلغا عن رب العالمين، ومفتيًا بمقتضى ما بلّغ، كما كان قاضيًا يفصل في الخصومات، على أنه في الوقت نفسه كان إمامًا أعظم، أي رأس السلطة السياسية في الأمة، وإن كان غالب تصرفه صلى الله عليه

1 ووفقًا لما ذكره الطاهر بن عاشور فقد كان الشهاب القرافي أول من تنبه إلى التفريق بين مقامات تصرف النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك في كتابه أنواء البروق في الفروق في الفرق السادس والثلاثين: بين قاعدة تصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقضاء، وقاعدة تصرفه بالفتوى، وهي التبليغ، وقاعدة تصرفه بالإمامة. (انظر: القرافي، أحمد بن إدريس، **الفروق**، تحقيق عمر حسن القيام، ط 1، 2003، 1/426-432. وابن عاشور، محمد الطاهر، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، 2001، ص 207).

وسلم بالتبليغ والفتوى.[1] وقد وقع الإجماع على تصرفات بأعيانها أنها من باب التبليغ، أو الفتوى، أو القضاء، أو الإمامة، لكن، في المقابل، وقع الاختلاف حول تصرفات أخرى، لترددها بين رتبتين فصاعدًا، فربما غلب بعضهم رتبة، بينما يغلب آخر رتبة أخرى.[2] ولتصرفاته الثلاثة هذه آثار مختلفة في الشريعة، يقول القرافي:

فكل ما قاله أو فعله على سبيل التبليغ، كان حكمًا عامًّا على الثقلين إلى يوم القيامة... وكل ما تصرف فيه بوصف الإمامة لا يجوز لأحدٍ أن يقدم عليه إلا بإذن الإمام؛ لأن سبب تصرفه فيه بوصف الإمامة دون التبليغ يقتضي ذلك. وما تصرف فيه بوصف القضاء لا يجوز لأحدٍ أن يقدم عليه إلا بحكم حاكمٍ؛ لأن السبب الذي لأجله تصرف فيه بوصف القضاء يقتضي ذلك.[3] ثم ضرب رحمه الله أمثلةً أربعةً لتحقيق قوله.

1 لم يقف ابن عاشور عند حد هذه الأربعة، بل زاد عليها فبلغ بها اثني عشر مقامًا، وهي: مقام التشريع، والفتوى، والقضاء، والإمارة (وهي التي ذكرها القرافي)، والهدي، والصلح، والإشارة على المستشير، والنصيحة، وتكميل النفوس، وتعليم الحقائق العالية، والتأديب، والتجرد عن الإرشاد. انظر: ابن عاشور، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، ص 212، ومن رأيي أنه ما زاد على القرافي شيئًا، بل كل ما أتى به صالحٌ - ومن وجهٍ قريبٍ - للدخول في واحدٍ من المقامات الثلاثة، والعلم عند الله وحده والحكم.

2 ثمة تمييزٌ شاع في عصرنا هذا بين السنة التشريعية والسنة غير التشريعية، وهو تعبيرٌ عما عرف من قبل بسنة العبادة وسنة العادة، أما موقعه ضمن التقسيم الثلاثي لتصرفاته صلى الله عليه وسلم، فمن الواضح أن السنة التشريعية تقع ضمن مقام التبليغ والفتوى، والقضاء تبع لهما في الأصل وفي الجملة، أما ما كان منه بالاجتهاد فالأشبه به التصرف الإمامي، وإن ألحق بالتشريعي فله وجهٌ، من حيث إن عماد الاجتهاد القياس على منصوص وما في حكمه، أما السنة غير التشريعية فتقع ضمن مقام تصرفه صلى الله عليه وسلم بالإمامة.

3 القرافي، **الفروق**، 1/426-427.

ومقصودنا من التنبيه على هذا التفريق المهم، هو أن تصرفات النبي بالإمامة ليس لها من القوة الإلزامية ما لتصرفاته صلى الله عليه وسلم بالتبليغ والفتوى، الأمر الذي يفسح مجالًا وسيعًا بين يدي ولي أمر الأمة ليجتهد في تصرفه بما يرجح أنه الأوفى بتحقيق المصلحة العامة[1]، وذلك - كما هو معلوم - أمرٌ مركبٌ بالغ التعقيد، يقتضي تضافر فهوم عددٍ غفيرٍ من المختصين، في تخير الأقرب إلى الصواب والأوفى بالغرض المأمول، متحررين من القيود التي يجد الفقيه نفسه ملزمًا بها، غير قادرٍ – ربما - على التفكير خارجها، كون المجال الذي يتحرك فيه محدودًا، إذا ما قيس بمجال تحرك رجال الدولة، حيث يأخذون في حسابهم، ويضعون في اعتبارهم، الشروط المحلية، والإقليمية، كما الدولية، مما يرجع، عند

1 وهذا ما اصطلح على تسميته ب «السياسة الشرعية» في أشهر وأرجح تعريفاتها، على النحو الذي صاغه أبو الوفاء ابن عقيل في **الفنون** بقوله: السياسة ما كان فعلًا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا نزل به وحي. كما نقله عنه: (ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، دار عطاءات العلم، الرياض، ط 4، 2019، ص 29)، ولعل في قوله صلى الله عليه وسلم: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ (رواه الترمذي من حديث العرباض بن سارية) إشارةً إلى هذا المعنى الكبير، فلو لم يكن للإمام الأعظم التصرف بما يراه الأصلح، من غير أن يكون مقيدًا فيه بنقلٍ جزئيٍّ، ثم - وهو الأهم - لو لم يكن مخيرًا في سن ما يخالف ما سنه النبي في هذا الباب، مما يدخل في التصرفات الإمامية، لما كان معنى للمغايرة بين سنته صلى الله عليه وسلم وسنة الراشدين من بعده، وقد التفت ابن القيم إلى هذا فكتب يقول: فقرن سنة خلفائه بسنته، وأمر باتباعها كما أمر باتباع سنته، وبالغ في الأمر بها حتى أمر بأن يعض عليها بالنواجذ، وهذا يتناول ما أفتوا به وسنوه للأمة وإن لم يتقدم من نبيهم فيه شيء، وإلا كان ذلك سنته، ويتناول ما أفتى به جميعهم أو أكثرهم أو بعضهم لأنه علق ذلك بما سنه الخلفاء الراشدون، ومعلوم أنهم لم يسنوا ذلك وهم خلفاء في آن واحد، فعلم أن ما سنه كل واحد منهم في وقته فهو من سنة الخلفاء الراشدين. (انظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق محمد عبدالسلام إبراهيم، د ار الكتب العلمية، بيروت، 1991، 4/107).

التحقيق، إلى ضرب واسع معقد من «تحقيق المناط» تحدوهم في ذلك كله غايةٌ واحدةٌ، وهي تحقيق أكبر قدرٍ من المغانم بأقل قدرٍ من المغارم، مما يعود إلى موازنات وترجيحات كثيرةٍ، عميقةٍ ودقيقةٍ، بين المفاسد والمصالح. ومن هنا نجد أن الخيارات المتاحة لرجل الدولة، تكون أوسع، من جهة أو جهات، كما أنها، هي بنفسها، تكون أضيق، من جهة أو جهات، مقارنةً بالمتاح للفقيه الفرد. فسلطة الدولة على الأفراد، في أملاكهم وأنفسهم، أكبر بكثير من أي سلطة دونها[1]، ولهذا يتعين الجهاد على فردٍ أو أفراد بدعوة ولي الأمر، كما قال عليه الصلاة والسلام: وإذا استنفرتم فانفروا، كما أن لولي الأمر أن يضرب رقاب من نهض في فتنةٍ يبغي بها تفريق المجتمِع من أمر الأمة، والثورة بولي أمرها[2]، ومن باب أولى أنه يجوز له اتخاذ ما يراه ضروريًّا من الإجراءات ووجوه العقوبات، التي لم يرد بها نصٌّ قرآنيٌّ، لحفظ الأمن وتثبيته، كما أن الدولة تملك من تقسيم الخيرات وتخصيص الملكيات ما لا يملكه الأفراد، ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع بعض أصحابه إقطاعات، وخص آخرين

1 وهو ما تقرره العبارة المشهورة لماكس فيبر Max Weber في كتابه **السياسة كمهنة** Politik als Beruf: إن الدولة هي الجماعة الإنسانية التي تحتكر الاستعمال المشروع للعنف الطبيعي، داخل نطاق إقليميٍّ معينٍ، وأن من مزايا عصرنا هذا ألا تمنح التجمعات الأخرى أو الأفراد الحق في استعمال العنف الطبيعي إلا بقدر ما تسمح لهم به الدولة، فهي وحدها مصدر الحق في استعمال العنف.

2 روى مسلمٌ في صحيحه عن عرفجة بن شريح الكندي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحدٌ يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم، فاقتلوه. (مسلم، **صحيح مسلم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1955، رقم الحديث 1852، 3/1480).

بشيءٍ من المغانم، كما سمح لآخرين بإحياء أراضٍ موات.[1]

وفي هذا الضوء يمكن فهم استفسار الحباب بن المنذر عن المنزل الذي نزله بهم الرسول صلى الله عليه وسلم في يوم بدرٍ، ثم مشاورته صلى الله عليه وسلم لأصحابه في أسارى بدر[2]، وكذلك نزول الرسول صلى الله عليه وسلم على رأي الأغلبية قبيل معركة أحدٍ، والقاضي بالخروج لملاقاة جيش المشركين، بعد إعرابه عن رأيه في الاعتصام بالمدينة وعدم الخروج، ويفسر أيضًا رفض سيدي الأنصار، سعد بن عبادة وسعد بن معاذ، ما فاوض عليه الرسول، في الخندق، غطفان ليرجعوا، على أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة، ويفسر أخذه صلى الله عليه وسلم باقتراح سلمان الفارسي بحفر خندق حول المدينة، التدبير الذي وصفه أبو سفيان بمكيدة ما كانت العرب لتكيدها، كما يفسر

1 وهذا ما يتفق مع واحدٍ من أشهر تعريفات السياسة، وهو التعريف الذي قدمه ديفيد ايستون David Easton والسياسة وفقه هي التخصيص السلطوي للقيم في المجتمع، *Politics is the authoritative allocation of values for a society* حيث التخصيص هو توزيع الموارد والمنافع، مثل السلطة والمال والفرص، وبالسلطوي ما يتم بوسائل رسمية من جهات تمتلك السلطة مثل الحكومة، أما القيم فهي الأمور التي يقدرها الناس، كالعدالة والأمن والرفاهية والحرية. وهذا التعريف يلتقي مع التعريف الوجيز الذي اقترحه هارولد لاسويل Harold Lasswell: السياسة هي من يحصل على ماذا ومتى وكيف *Politics is who gets what, when, and how*.

2 لفت الإمام الترمذي إلى جهة استشارته صلى الله عليه وسلم لأصحابه - بمناسبة هذه الواقعة - فقال: حَدَّثَنَا هَنَّادٌ... عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ وَجِيءَ بِالْأُسَارَى، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَا تَقُولُونَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟ فَذَكَرَ قِصَّةً فِي هَذَا الْحَدِيثِ طَوِيلَةً. وَفِي الْبَابِ عَنْ عُمَرَ، وَأَبِي أَيُّوبَ، وَأَنَسٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ. وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَأَبُو عُبَيْدَةَ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَبِيهِ. وَيُرْوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مَشُورَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم. (الترمذي، محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، دار مصطفى الحلبي، مصر، ط 2، 1975، أبواب الجهاد، باب ما جاء في المشورة، رقم الحديث 1714، 4/213).

إبـاء الصحابـة نحـر هديهـم في الحديبيـة، مـع أمـر الرسـول لهـم بذلـك، إلى غـير هـذه الوقائـع.

وفي هـذا السـياق مـن الحسـن التذكـير بقـول أبي هريـرة رضي اللـه عنـه: مـا رأيـت أحـدا قـط، كان أكـثر مشـورة لأصحابـه مـن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم.[1]

كـما يمكـن في هـذا الضـوء فهـم مـا رواه مالـكٌ في الموطـأ[2] وغـيره عـن جدامـة بنـت وهـب الأسـدية رضي اللـه عنهـا أنَّهـا سـمعتِ النبـيَّ صـلى اللـه عليـه وسـلم يقـول: لقـد هممـتُ أن أنْهَـى عـن الغِيْلَـةِ، حتـى ذكَـرتُ أن الـرُّوم وفـارسَ يصنعـون ذلـك فـلا يـضرُّ أولادَهـم. وفي روايـة قالـت: حَـضَرْتُ رسـولَ اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم في أُنـاسٍ وهـو يقـول: لقـد هممـتُ أن أنهـى عـن الغِيلـة، فنظـرت في الـروم وفـارسَ، فـإذا هـم يُغيلُون أولادهـم، فـلا يَـضُرُّ أولادهـم ذلـك شـيئًا، ثـم سـألوه عـن العَـزْل، فقـال رسـولُ اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: ذلـك الـوأْدُ الخفـيُّ، وهـي ﴿**وَإِذَا الْمَـوْءُودَةُ سُـئِلَتْ**﴾ [التكويـر: 8].

والغيلـة هـي أن يجامـع الرجـل زوجه وهـي مرضع، فتحمـل، فيضعف ذلـك الرضيـع والجنـين، وبـينٌ أنـه صـلى اللـه عليـه وسـلم إنمـا هـم بالنهـي

1 أخرجـه أحمـد في مسـنده (**مسـند الإمـام أحمـد بـن حنبـل**، 2001، رقـم الحديـث 18928، 243/31)، وذكـره الترمـذي (الترمـذي، **سـنن الترمـذي**، رقـم الحديـث 1714، 213/4)، ورجالـه ثقـات لكـن فيـه انقطـاع.

2 ابـن أنـس، مالـك، **موطـأ الإمـام مالـك بروايـة الزهـري**، تحقيـق بشـار عـواد، 1991، رقـم الحديـث 1753، 13/2.

عنهـا لا لوحـيٍ نـزل بـه، بـل اسـتصلاحًا لأمتـه - وفـق تقديـره - ثـم لم يلبث أن تنبـه إلى أن الـروم والفـرس يفعلونـه فـلا يـضر أولادهـم. وفيـه دلالـةٌ واضحـةٌ عـلى أن الإمـام الأعظـم، فمـن دونـه ممـن وكل إليهـم معاونتـه في إدارة الشـأن العـام، مفوضـون بـل مندوبـون بقـوةٍ إلى الاسـتعانة بأهـل الخـبرة والتخصـص في كل شـأنٍ شـأنٍ، لأن الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم ركـن إلى مـا لاحظـه بنفسـه مـن كـون الغيلـة لا تـضر، فـأولى أن يُسـتند إلى رأي الخـبراء المختصـين.

وعـلى هـذا النحـو نفسـه يمكـن تفسـير الحديـث المشـهور في تأبـير النخـل وقولـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: أنتـم أعلـم بأمـور دنياكـم.[1]

1 وهـو مـا أخرجـه مسـلم في الفضائـل مـن صحيحـه وغـيره عـن أنـسٍ، وعائشـة رضي اللـه عنهـما أن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم مَـرَّ بِقَـوْمٍ يُلَقِّحُـونَ، فقـال: لـو لم تفعلـوا لَصَلُـحَ، قـال: فخـرج شِـيصًا، قـال: فمـرَّ بهـم، فقـال: مـا لِنَخْلِكـم؟ فقالـوا: قلـتَ كـذا وكـذا، قـال: أنتـم أعلـم بأمـر دنياكـم. (**صحيـح مسـلم**، كتـاب الفضائـل، بـاب وجـوب امتثـال مـا قالـه شرعًـا دون مـا ذكـره صـلى اللـه عليـه وسـلم مـن معايـش الدنيـا عـلى سـبيل الـرأي، رقـم الحديـث 2363، 1836/4). ومـن المعلـوم أن الإمـام النـووي هـو مـن ترجـم لأبـواب مسـلم، وقـد ترجـم لهـذا الحديـث تحـت عنـوان: بـاب وجـوب امتثـال مـا قالـه صـلى اللـه عليـه وسـلم شرعًـا، دون مـا ذكـره مـن معايـش الدنيـا عـلى سـبيل الـرأي. وقـد كتـب ابـن خلـدون في مقدمتـه، أثنـاء كلامـه عـلى علـم الطـب: وللباديـة مـن أهـل العمـران طـبٌّ يبنونـه في غالـب الأمـر عـلى تجربـة قـاصرة عـلى بعـض الأشـخاص، متوارثًـا عـن مشـايخ الحـي وعجائـزه، وربمـا يصـح منـه البعـض، إلا أنـه ليـس عـلى قانـون طبيعـيٍّ، ولا عـلى موافقـة المـزاج... والطـب المنقـول في الشرعيـات مـن هـذا القبيـل، وليـس مـن الوحـي في شيءٍ، وإنمـا هـو أمـرٌ كان عاديًـا للعـرب، ووقـع في ذكـر أحـوال النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم مـن نـوع ذكـر أحوالـه التـي هـي عـادةٌ وجبلـةٌ، لا مـن جهـة أن ذلـك مـشروعٌ عـلى ذلـك النحـو مـن العمـل، فإنـه صـلى اللـه عليـه وسـلم إنمـا بعـث ليعلمنـا الشرائـع ولم يبعـث لتعريـف الطـب ولا غـيره مـن العاديـات، وقـد وقـع لـه في شـأن تلقيـح النخـل مـا وقـع، فقـال: أنتـم أعلـم بأمـور دنياكـم. فـلا ينبغـي أن يحمـل شيءٌ مـن الطـب الـذي وقـع في الأحاديـث الصحيحـة المنقولـة عـلى أنـه مـشروع، فليـس هنـاك مـا يـدل عليـه، اللهـم إلا إذا اسـتعمل عـلى جهـة التـبرك وصـدق العقـد الإيمـاني، فيكـون لـه أثـرٌ عظيـمٌ في النفـع. وليـس ذلـك في الطـب المزاجـي، وإنمـا هـو مـن آثـار الكلمـة الإيمانيـة، كـما وقـع في مـداواة المبطـون بالعسـل. (ابـن خلـدون، عبدالرحمـن، **مقدمـة ابـن خلـدون**، تحقيـق عـلي عبدالواحـد وافي، دار نهضـة مـصر، القاهـرة، ط 3، 1143/3-1144). وفي كلامـه - كـما تـرى - اسـتبصارات علميـةٌ منهجيـةٌ مدهشـةٌ.

ولما فهم الصحابة أنه صار محظورًا عليهم ادخار شيء من لحوم أضاحيهم فوق ثلاث ليالٍ، لما وقع منه صلى الله عليه وسلم العام الفائت النهي عنه، أفهمهم صلى الله عليه وسلم أنه إنما صنع ذلك لعلةٍ، وهو تصريحٌ منه صلى الله عليه وسلم بما سمي «تصرفًا بالإمامة»، ومن القواعد الفقهية أن تصرف الإمام على الرعية منوطٌ بالمصلحة. روى الجماعة عن عابس بن ربيعة رضي الله عنه قال: قلت لعائشةَ: أنهى النبيُّ صلى الله عليه وسلم أَن تُؤكَلَ لُحُومُ الأضاحي فوق ثلاث؟ قالت: ما فَعَلَهُ إلا في عامٍ جاعَ الناسُ فيه، فأراد أن يُطعِمَ الغنيُّ الفقيرَ، وإنْ كُنَّا لَنَرْفَعُ الكُرَاع[1] فنأكله بَعدَ خمسَ عشرةَ ليلة، قلت: وما اضْطَرَّكم إليه؟ فَضَحكَتْ وقالت: ما شَبِعَ آل محمد من خُبزٍ مَأْدُومٍ ثلاثةَ أيام، حتى لَحِقَ بالله تعالى.[2]

وفي روايةٍ لمسلم عن عبد الله بن واقد قال: نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن أكل لحوم الضحايا بعد ثَلاثٍ. قال عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزْمٍ: فذكرت ذلك لعَمْرةَ فقالت: صدق. سمعت عائشة تقول: دَفَّ أهل أبياتٍ من أهل البادية

1 الكُراع له معانٍ، منها ما جمع الخيل والسلاح، والمراد به هنا: من البقر والغنم مستدق الساق العاري من اللحم، ومن أمثالهم: لا تطعم العبد الكراع فيطمع في الذراع، ويَجمِلون من جمل الشحم إذا أذابه، والودك دسم اللحم ودهنه، والدافة هي من يرد من الأعراب المصرَ، يقال: دفت منهم دافة.

2 انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، طبعة مصورة عن نسخة المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، 1311هـ ، بيروت، 2002م، رقم الحديث 5423، 76/7.

حَضْرَةَ الأَضْحى زَمَنَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله: ادَّخِروا ثلاثًا. أي ولا تدخروا بعدها.

وفي روايةٍ: لثلاثٍ، ثم تَصدَّقُوا بما بَقِي، فلما كان بعد ذلك قالوا: يا رسولَ الله إنَّ الناسَ يَتَّخِذُون الأسْقِيَةَ من ضحَاياهُم، ويَجْمِلونَ منها الْوَدَكَ. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: وما ذَاكَ؟ قالوا: نَهيت أنْ تُؤكَلَ لُحُومُ الضَّحَايا بعْدَ ثَلاثٍ، فقال: إنما نَهَيتُكم من أجل الدَّافةِ التي دفَّتْ، فكلُوا وتصدَّقوا وادَّخِرُوا.[1]

فلا جرم أن وجد من الصحابة من نزع هذا المنزع في تفسير بعض تصرفات النبي صلى الله عليه وسلم، كالذي يروى عن ابن عباسٍ أنه قال في الحمار الأهلي، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن أكله في خيبر: لا أدري، أنهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل أنه كان حَمُولَة[2] الناس، فكَره أن تذهب حُمُولتهم، أو حرَّمه في يوم خيبر؟ كما في الصحيحين[3].

وإذا رمنا التعبير عن صنيع الصحابة بلغة العصر قلنا: قد ميز الصحابة رضي الله عنهم بوضوحٍ بين نوعين من ممارساته صلى الله

1 **صحيح مسلم**، رقم الحديث 1971، 1561/3.

2 والحمولة من الدواب ما تحمل الأثقال عليه.

3 **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، رقم الحديث 4215، 135/5. و**صحيح مسلم**، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب تحريم أكل لحم الحمر الإنسية، رقم الحديث 561، 1538/3.

عليه وسلم، الأول ينتمي إلى سلطته الروحية، والآخر ينتمي إلى سلطته الزمنية، وكانوا رضي الله عنهم واعين بانعدام خياراتهم أمام النوع الأول، فليس إلا التسليم التام والإذعان الكامل، باطنًا وظاهرًا، في الوقت الذي كانوا مدركين المدى الواسع المتاح لهم في مباحثته صلى الله عليه وسلم واستفصاله والاقتراح عليه غير ما ذهب إليه من رأي وتدبير. وذلك كله يدل بقوةٍ على أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن في وعي أصحابه نبيًّا ملكًا، كداود مثلا وسليمان، كما أنه لم يكن مجرد نبيٍّ لم يتح له ممارسة السلطة ومزاولة تدبير الشأن العام، فلم يبق إلا أنه كان نبيًّا يتمتع بالسلطة الروحية الكاملة، ويزاول تدبير الشأن العام من باب العادي لا العبادي[1].

ومن المثير أن السادة الحنفية حملوا جملةً من العقوبات الواردة عن رسول الله وخلفائه على أنها تعازير من باب السياسة الشرعية، من ذلك حكمه صلى الله عليه وسلم في اليهودي الذي قتل يهودية

1 ويدل على هذا ما وراه أحمد وغيره عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ، أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ، أَوْ عَبْدًا رَسُولًا؟ قَالَ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: بَلْ عَبْدًا رسولا. (**مسند أحمد بن حنبل**، رقم الحديث 7160، 76/12) وهو خبرٌ صحيحٌ. وفيه قال أحدهم:

قال له جبريل عن ربه	خيرت فاختر يا دليل الهدى
نبوة في حال عبدية	تحوي بها القدح المعلى غدا
أو حال تمليك تخر العدا	بين يديه ضعفا سجدا
فاختار ما يحظى به آجلا	لله ما أهدى وما أسعدا

بحجر، على أوضاحٍ لها، بأن يرض رأسه بين حجرين[1]، مع أن مذهبهم أنه لا قصاص في القتل بالمثقل[2]، ومنه أمره صلى الله عليه وسلم بقطع المخزومية التي كانت تستعير المتاع وتجحده[3]، ومذهبهم عدم قطع جاحد العارية، فمنهم من جعل الخبر منسوخًا، ومنهم من حمله على السياسة، لما تكرر الجحد منها.

ومنه أمره صلى الله عليه وسلم بتغريب الزاني فوق الحد، والجمع بين الجلد والرجم، أو الجلد والتغريب، وكذلك قتل من تكرر منه القتل بالمثقل أو بالخنق أو بالتغريق.

ومن أفعال الراشدين، حملوا قتل أبي بكر لبعض النسوة في الردة على السياسة، أو على وقوع التحريض منها على قتال المسلمين، ومذهبهم عدم قتل المرتدة، وكذلك ما ورد عن بعض الصحابة من قتل من فعل فعل قوم

1 كما في الصحيحين عن أنسٍ مرفوعًا: **صحيح البخاري**، كتاب الإشخاص والخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة، رقم الحديث 2413، 121/3، **وصحيح مسلم**، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ثبوت القصاص في القتل بالحجر وغيره من المحددات والمثقلات، رقم الحديث 1672، 1300/3.

2 وهو من مفردات المذهب الحنفي في باب القصاص، ومما احتجوا به قوله صلى الله عليه وسلم: إن لكل شيءٍ خطأ إلا السيف، يعني الحديدة، ولكل خطأ أرش. (البيهقي، أحمد بن الحسين، **السنن الكبرى**، تحقيق عبدالله التركي، مركز هجر، القاهرة، 2022م، رقم الحديث 16075، 213/16) ومن المعقول أن القتل بالمثقل هو قتل بما لم يعد للقتل، ولا قصاص إلا بعد تحقق العمدية، والعمدية من عمل القلب، لا يطلع عليها، فأقيم مقامها ما يدل عليها، وما لم يعد أصلًا للقتل، لا يقوم مقامها.

3 أخرجه الشيخان من حديث عائشة: **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب ذكر أسامة بن زيد، رقم الحديث 3732، 23/5، و**صحيح مسلم**، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، رقم الحديث 1688، 1316/3. وما ذكر من جحد المتاع هو من رواية مسلم.

لوط، ومذهبهم أن السدومية لا حد فيها، بل فيها التعزير، إذ لا اختلاط للأنساب فيها، خلافًا للثلاثة الذين أوجبوا فيها حد الزنا. ومنها جلد عمر شاهد الزور، حملوه على السياسة، وإلا فالأصل فيه التشهير. ومن العلماء من غير الحنفية من حمل تحريم عمر متعة الحج على السياسة، وكذلك حمل بعضهم إمضاءه طلاق الثلاث بلفظٍ واحدٍ، على السياسة، ففي مسلم عن ابن عباس: كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر: إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم، وبه أخذ جمهور الصحابة، والأئمة من بعده، من التابعين وتابعيهم، وهو مذهب الأئمة الأربعة، وخالف ابن عباس، في رواية، وجماعة من التابعين، وابن إسحاق صاحب السيرة، والظاهرية، اختاره ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فجعلوا الثلاثة كما كانت واحدة كما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمسألة محل نقاش طويل عريض، وليس من اليسير عدها من باب السياسة.

والخلاصة أن المحققين لم يعدوا تصرفات الرسول في تدبير الشأن العام للأمة من باب التبليغ أو الفتوى، بل جعلوها من باب التصرف بالإمامة، ولم يلزموا الأئمة من بعده بسلوك سبيله تفصيلًا، بل أفسحوا لهم بما يرونه محققا للمصلحة، وفي هذا ما يكفي لتأكيد أنهم فهموا تدبير الشأن العام - أي السياسة - على أنه شأن دنيويٍّ لا دينيٍّ.

ومما يتأيد به هذا الفهم أن الله تعالى لم يقصر تدبير الشأن العام على الرسول، بل شرك معه المختصين بما يثور من أمر، سلمًا وحربًا، وهو قوله تعالى ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾ [النساء:83].

قال الإمام الطبري: يقولُ جلَّ ثناؤه: وإذا جاءهم خبرٌ عن سَرِيَّةٍ للمسلمين غازيةٍ بأنهم قد أمِنوا من عدوِّهم بغَلَبَتِهم إياهم، (أَوِ الْخَوْفِ) يقولُ: أو تخوُّفِهم مِن عدوِّهم بإصابةِ عدوِّهم منهم، (أَذَاعُوا بِهِ) يقولُ: أَفْشَوه وبَثُّوه في الناسِ قبلَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وقبل أمراءِ سرايا رسولِ اللهِ، والهاءُ في قولِه:(أَذَاعُوا بِهِ) مِن ذكرِ «الأمر». وتأويله: أذاعوا بالأمرِ من الأمنِ، أو الخوفِ الذي جاءهم، يقالُ منه: أذاعَ فلانٌ بهذا الخبرِ، وأذاعَه...

قال: القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه: ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾ قال أبو جعفرٍ رحمه الله: يعنى جلَّ ثناؤه بقولِه: (وَلَوْ رَدُّوهُ) الأمرَ الذي جاءهم من عدوِّهم والمسلمين، إلى رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم، (وَإِلى أُولِي الْأَمْرِ) يعنى إلى أُمرائِهم، وسكتوا فلم يُذِيعوا ما جاءهم من الخبرِ، حتى يكونَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، أو ذَوو أمرِهم، هم الذين يتولَّوْن الخبرَ عن ذلك، بعدَ أن تثبُتَ عندَهم صِحَّتُه أو

بُطولُـه، فيُصحِّحـوه إن كان صحيحًـا، أو يُبْطِلـوه إن كان باطـلًا، (لَعَلِمَـهُ الَّذِيـنَ يَسْـتَنْبِطُونَهُ مِنْهُـمْ) يقـولُ: لعَلِـم حقيقـةَ ذلـك الخـبرِ الـذي جاءهـم بـه، الذيـن يَبْحَثـون عنـه، ويَسْـتَخرِجونه (مِنْهُـمْ)، يعنـى مِـن أولى الأمـرِ. والهـاءُ والميـمُ في قولِـه: (مِنْهُـمْ) مِـن ذكْـرِ أُولى الأمـرِ، يقـولُ: لَعَلِـم ذلـك مِـن أُولى الأمـرِ مَـنْ يَسـتَنْبِطُه.[1]

ولابـن خلـدون كلامٌ نفيـسٌ عـلى وجازتـه، يلتقـي مـع مـا خلصنـا إليـه أعـلاه، قـال:

وشـبهة الإماميـة في ذلـك إنمـا هـي كـون الإمامـة مـن أركان الديـن، كـما يزعمـون، وليـس كذلـك، وإنمـا هـي مـن المصالـح العامـة المفوضـة إلى نظـر الخلـق.[2] ولـو كانـت مـن أركان الديـن لـكان شـأنها شـأن الصـلاة، ولـكان يسـتخلف فيهـا كـما اسـتخلف أبـا بكـر في الصـلاة، ولـكان يشـتهر كـما اشـتهر أمـر الصـلاة، واحتجـاج الصحابـة عـلى خلافـة أبي بكـر بقياسـها عـلى الصـلاة في قولهـم: ارتضـاه رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم لديننـا أفـلا نرضـاه لدنيانـا؟ دليـل عـلى أن الوصيـة لم تقـع، ويـدل ذلـك أيضًـا عـلى أن أمـر الإمامـة والعهـد بهـا لم يكـن مهـما كـما هـو اليـوم، وشـأن

1 الطبري، **جامع البيان**، 7/252-255.

2 وكلامـه هـذا يتأيـد بمـا كان ذكـره قبـلا عـن طبيعـة الملـك، حيـث كتـب تحـت عنـوان «فصـل في حقيقـة الملـك وأصنافـه»: الملـك منصِـب طبيعـي للإنسـان؛ لأنـا قـد بينـا أن البـشر لا يمكـن حياتهـم ووجودهـم إلا باجتماعهـم وتعاونهـم عـلى تحصيـل قوتهـم وضروريـاتهـم... يوضـح أمـرًا التبـس عـلى الدارسـين، فظنـوا أن الرجـل مـن المنظريـن للحكومـة الدينيـة «الثيوقراطيـة» وذلـك حـين تكلـم عـن صنـوف الملـك، فجعلهـا ثلاثـة.

العصبيـة المراعـاة في الاجتـماع والافـتراق في مجـاري العـادة لم يكـن يومئـذٍ بذلـك الاعتبـار... فانظـر كيـف كانـت الخلافـة لعهـد النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم غـير مهمـة، فلـم يعهـد فيهـا... ثـم صـارت اليـوم مـن أهـم الأمـور للألفـة عـلى الحمايـة والقيـام بالمصالـح فاعتـبرت فيهـا العصبيـة التـي هـي سر الـوازع عـن الفرقـة والتخـاذل ومنشـأ الاجتـماع والتوافـق، الكفيـل بمقاصـد الشريعـة.[1]

فتلخص الأمر في مسألتين ثنتين:

1. أن تدبير الشأن العام ليس من أصول الدين.
2. وأن فرضيـة هـذا التدبـير لا تعنـي دينيـة طبيعتـه، ولا أن تفاصيـل هـذا التدبـير تطلـب مـن الديـن، بـل قصاراهـا ألا تصطـدم بمحـرمٍ، وأن تراعـي المقاصـد الشرعيـة العامـة في هـذه البـاب.

واعجَـبْ مـا شـئتَ، مـن أمـرٍ يدعـى فيـه أنـه مـن أصـول الديـن، لم يـرد بخصوصـه في كتـاب اللـه – صريحًـا - شيءٌ، ربمـا، باسـتثناء آيتـين، هـما قولـه تبـارك وتعـالى ﴿**وَشَـاوِرْهُمْ فِي الْأَمْـرِ**﴾ [آل عمـران: 159][2]، وقولـه ﴿**وَأَمْرُهُـمْ شُـورَىٰ بَيْنَهُـمْ**﴾ [الشـورى: 38] عـلى أنهـما، عنـد تأملهـما، يقوضـان دعـوى أصليـة السـلطة السياسـية، كيـف لا؟! وأولاهـما تأمـر

1 **مقدمة ابن خلدون**، 2/614-616.

2 فسر بعضهـم الأمـر في هـذه الآيـة بالحـرب، بنـاءً عـلى أن الـلام فيـه للعهـد، والأرجـح أن الـلام للجنـس لا للعهـد، وأن المـراد بـه الشـأن العـام، سـلمًا وحربًـا، وهـو مـا يعـرف في زمننـا هـذا ب «السياسـة».

رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه في هذا الشأن، ولو كان هذا الشأن إيمانيًّا، لما كان للشورى فيه أدنى مساغ أو مدخل، بل تصريح الآيتين بكون هذا الشأن مبنيًّا على الشورى دليلٌ حاسمٌ على أنه شأن دنيويٌّ بطبيعته لا دينيٌّ عقديٌّ.

وفي هذا الضوء يمكن فهم الفلسفة التي تقف وراء صحيفة المدينة، والتي تعاملت مع كل مكونات المدينة بالمنطق نفسه الذي تفرغ عنه الدولة الحديثة، حيث يبرز مفهوم الأمة المواطني لا الديني، وهو مفهومٌ سياسيٌّ جامعٌ يتجاوز القبلي والديني جميعًا[1]، ما يعني أن خطوط الفصل في الدولة «ذات السلطة المسلمة» ليست عرقيةً، كما أنها ليست دينيةً، فاختلاف العرق أو النسب كما اختلاف الدين لا يؤثر فيما يجب للمواطن من كامل حقوق المواطنة. ومن الواضح أن البنا وأتباعه قد تغافلوا عن ملاحظة كل هذه الحقائق، بالرغم من شدة وضوحها، كونها لا تخدم هدفهم الأساسي في تجييش الجمهور وتحشيده وراءهم، في سبيل افتكاك السلطة، وضرب شرعية السلطة القائمة أيًّا كانت، وهو ما ورَّط عالمنا العربي لوقت طويل،

1 من المهم التأكيد على أن العلاقة بين «السعة» و«القدسية» ليست بالضرورة علاقة تضاد، وذلك أنهما مفهومان يعملان في مجالين مختلفين، فلا ريب في أن الدين يتمتع بقدسية لا ينازعه فيها أمر آخر، لكنه في الوقت نفسه، بحكم التعريف وبشهادة الواقع، أضيق من «الوطن» فالوطن يتسع للمسلم وغير المسلم، ومع الوضوح الساطع لهذه الحقيقة إلا أن بعضهم لم يتفطن إلى خطورة أن «تصاغ» الدولة وتهيكل على قد الدين، خصوصًا وفق بعض الفهوم شديدة الحصرية والضيق للدين، فذلك مؤذن بانتقاص حقوق كثيرة للمكونات الأخرى المغايرة دينيًا، باتت غير قابلة للإنكار أو التصرف.

ولا يزال، في قلاقل واضطرابات تظاهرت في مرات كثيرةٍ بعنفٍ دمويٍّ قاسٍ، انعكس سلبًا على استقرار بلادنا من جهةٍ، كما على صورة الإسلام حول العالم، حيث جرى تصويره على أنه دين إرهاب وعنف، بعيدٍ من التسامح والمرونة والقدرة على التكيف مع العصر ومنجزاته المقدورة، خصوصًا في باب حقوق الإنسان.

الركن الثاني: الحاكمية

وهـذا الركـن شـديد الاعتـلاق بالركـن الأول، وذلـك أن دعـوى كـون السـلطة السياسـية مـن أصـول الديـن، لا يكفي وحـده لضمان حشـد العدد المطلـوب مـن الأتبـاع والأشـياع وتعبئتهـم، فالجمهـور يـرى مظاهـر التديـن حـاضرةً، وبقـوةٍ، في كل مجـالٍ؛ المسـاجد، الجمـع والجماعـات، والأعيـاد، وقيـام رمضـان، والأحفـال الدينيـة، والمؤسسـات العلميـة الدينيـة مـن مـدارس ومعاهـد وجامعـات وكليـات، فضـلا عـن وزارة الأوقـاف والشـؤون الدينيـة، ودار الإفتـاء، والمحاكـم الشرعيـة، والإذاعـات الدينيـة، كإذاعـة القـرآن الكريـم، والبرامـج الدينيـة المتلفـزة، وكذلـك الدرامـا الدينيـة، فضـلًا عـن حصـص تعليـم الديـن في كل المراحـل الدراسـية. والجمهـور يـرى أيضًـا رمـوز السـلطة السياسـية مـن رأسـها فـما دونـه، يـؤدون صـلاة الجمعـة، والأعيـاد، ويشـاركون في الاحتفـالات الدينيـة الكـبرى، كـما يـبرزون أحيانًـا في بعـض المناسـبات التكريميـة لحفـاظ القـرآن، ومشـاهير العلـماء والدعـاة والوعـاظ، ولا يكتفـون بـأداء فريضـة الحـج لمـرة واحـدة، بـل ربمـا تابعـوا بينـه وبـين العمـرة كلـما تيـسر ذلـك، فكيـف يتسـنى مـع ذلـك كلـه مجـرد التشـكيك في حقيقـة إسـلام السـلطة ورموزهـا؟! وهنـا بـرزت فكـرةٌ بالغـة الدهـاء والخطـورة، وهـي فكـرة «الحاكميـة»[1] التـي سـمحت لأمثـال سـيد

1 استلهم قطـب فكـرة الحاكميـة مـن أبي الأعـلى المـودودي، وظـل يدنـدن حولهـا في كل مـا كتـب، حتـى ليمكـن، ودونمـا أدنى مجازفـة، عدهـا العمـود الفقـري لـكل أفـكار قطـب، أو الأسـاس الأول والأعمـق لكامـل مشروعـه «الإسـلاموي».

قطـب أن يشـطب، بجـرة قلـم، عـلى دلالـة كل المظاهـر الآنفـة الذكـر، التـي لا تنهـض، وفـق فهمـه، دليـلًا كافيًـا للإقـرار بإسـلام السـلطة، فتحكيـم غـير اللـه في شـأن مـن الشـؤون، صغـر أو كـبر، كافٍ للحكـم عـلى الفاعـل بالخـروج مـن الملـة، وبطـلان إسـلامه وعبادتـه.

وكـما قـد تتوقـع، فهـذه الخطـوة المتطرفـة للغايـة لم تكـن لتكفـي بدورهـا لإحـكام القبضـة عـلى الأتبـاع، بحيـث يتحولـون إلى قـوةٍ غاشـمةٍ، تتعبـد اللـه بالانخـراط في أعـمالٍ عنيفـةٍ، مـن تخريـبٍ وتفجـيرٍ واغتيـالٍ وثـورةٍ، ونحـو ذلـك، باسـم «الجهـاد في سـبيل اللـه»، بـل كان لازمًـا ضـم خطـوةٍ ثالثـةٍ إليهـا، وتلكـم هـي إقنـاع هـؤلاء الأتبـاع بكونهـم مشـاركين في الجاهليـة المعـاصرة، التـي هـي شرٌّ مـن جاهليـة مـا قبـل الإسـلام[1]، وأنهـم خرجـوا مـن دينهـم مـن حيـث لا يعلمـون، وذلـك برضاهـم بتحكيـم غـير شرع اللـه، وسـكوتهم عـن السـلطات القائمـة المحـادة للـه وشرعـه. وبهـذا يعـود المجتمـع المسـلم بـل الأمـة المسـلمة كلهـا، مـن عنـد آخرهـا، مشركـةً

1 انظـر كتـاب **جاهليـة القـرن العشرين** لمحمد قطب، وهو شـقيق سـيد، ومن أقوال سـيد قطب: البشرية عـادت إلى الجاهليـة وارتـدت عـن لا إلـه إلا اللـه، البشريـة بجملتهـا بمـا فيها أولئـك الذين يـرددون على المآذن في مشـارق الأرض ومغاربهـا كلـمات لا إلـه إلا اللـه بـلا مدلـول ولا واقـع، وهـؤلاء أثقل إثمًـا وأشـد عذابًـا يـوم القيامـة أنهـم ارتـدوا إلى عبـادة العبـاد مـن بعـد مـا تبـين لهم الهـدى ومـن بعـد أن كانوا في ديـن اللـه. ومـما كتبـه في معالمـه: ونحن اليـوم في جاهليـةٍ كالجاهلية التـي عاصرها الإسـلام أو أظلم، كل مـا حولنـا جاهليـة، تصـورات النـاس وعقائدهـم، عاداتهم وتقاليدهـم، مـوارد ثقافتهم، فنونهـم وآدابهم، شرائعهـم وقوانينهـم، حتـى الكثـير مـما تحسـبه ثقافـةً إسـلاميةً، ومراجـع إسـلاميةً، وفلسـفةً إسـلاميةً، وتفكـيرًا إسـلاميًا، هـو كذلـك من صنع هـذه الجاهلية. (قطب، سـيد، **معالم في الطريـق**، ط 6، 1979، ص. ص 17-18) وكـما تـرى: فالرجـل يسـتعمل لغـة أدبيـة بعيـدة جـدًا مـن الدقـة العلمية، لا يتحـاشى معها مـن التعميـمات القاطعـة، والأغـرب، أنـه يتنـاول موضوعًـا يتعلـق بالحكـم عـلى «الأمـة» كلهـا، في دينها واعتقادها.

خارجةً عن «لا إله إلا الله»[1]، ولا مخلص لها من هذه الورطة التي فيها خسار الأبد، إلا بالعمل الجاد الدؤوب لتغيير هذه الأوضاع، وتمكين شرع الله من حكم الحياة مجددًا، وإعادة الأمة المسلمة إلى الوجود، وذلك أن وجودها قد انقطع منذ قرون، كما يقرر، مجازفًا، سيد قطب[2].

ولعل هذا الموضع يناسب اللفت إلى أمر قلَّ أن لُفِتَ إليه، وهو استعمال هذه الجماعة، ومن لفَّ لفَّها، للفظ «الدعوة» في حق المسلمين، فيجعلون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتذكير

1 كتب قطب يقول: وإذا تعين هذا، فإن موقف الإسلام من هذه المجتمعات الجاهلية كلها يتحدد في عبارة واحدة: إنه يرفض الاعتراف بإسلامية هذه المجتمعات كلها وشرعيتها في اعتباره. إن الإسلام لا ينظر إلى العنوانات واللافتات والشارات التي تحملها هذه المجتمعات على اختلافها ... إنها كلها تلتقي في حقيقة واحدة، وهي أن الحياة فيها لا تقوم على العبودية الكاملة لله وحده. وهي من ثم تلتقي، مع سائر المجتمعات الأخرى، في صفة واحدة، صفة « الجاهلية». (قطب، **معالم في الطريق**، ص 93).
كما كتب: والمسألة في حقيقتها هي مسألة كفر وإيمان، مسألة شرك وتوحيد، مسألة جاهلية وإسلام. وهذا ما ينبغي أن يكون واضحًا... إن الناس ليسوا مسلمين، كما يدّعون، وهم يحيون حياة الجاهلية. وإذا كان فيهم من يحب أن يخدع نفسه أو يخدع الآخرين، فيعتقد أن الإسلام يمكن أن يستقيم مع هذه الجاهلية فله ذلك. ولكن انخداعه أو خداعه لا يغير من حقيقة الواقع شيئًا... ليس هذا إسلامًا، وليس هؤلاء مسلمين، والدعوة اليوم إنما تقوم لترد هؤلاء الجاهلين إلى الإسلام، ولتجعل منهم مسلمين من جديد. (قطب، **معالم في الطريق**، ص 158)، وقارن بما كتبه سعيد حوى، أحد كبار منظريهم، في تقديم كتابه **جند الله ثقافةً وأخلاقًا** تحت عنوان «هل في العالم الإسلامي ردة؟»

2 كتب قطب في المعالم: ووجود الأمة المسلمة يعتبر قد انقطع منذ قرون كثيرة... فالأمة المسلمة ليست « أرضًا « كان يعيش فيها الإسلام، وليست « قومًا « كان أجدادهم في عصر من عصور التاريخ يعيشون بالنظام الإسلامي... إنما « الأمة المسلمة « جماعة من البشر تنبثق حياتهم وتصوراتهم وأوضاعهم وأنظمتهم وقيمهم وموازينهم كلها من المنهج الإسلامي.... وهذه الأمة، بهذه المواصفات، قد انقطع وجودها منذ انقطاع الحكم بشريعة الله من فوق ظهر الأرض جميعًا، ولا بد من إعادة وجود هذه الأمة لكي يؤدي الإسلام دوره المرتقب في قيادة البشرية مرة أخرى. (قطب، **معالم في الطريق**، ص 8).

والموعظة والتعليم والتفقيه من باب الدعوة إلى الله تعالى، حتى لقد عنون البنا مذكراته ب [مذكرات الدعوة والداعية]، وكتب المفكر الإخواني الشهير البهي الخولي [تذكرة الدعاة]، وكتب القرضاوي [ثقافة الداعية]، كما كتب عبدالكريم زيدان - من إخواني العراق - [أصول الدعوة]، وللمودودي [تذكرة دعاة الإسلام]، وأصدر الإخوان المسلمون مجلتهم الشهرية «الدعوة»[1]، وثمة ما يصعب إحصاؤه من كتب ورسائل تحت عنوان الدعوة لكاتبين من عموم المسلمين من شتى التوجهات. ومحل المؤاخذة، أن موارد هذا اللفظ في كتاب الله تعالى تعطي أنه لفظ مختص بدعوة غير المسلمين إلى دين الله تعالى، ولسنا نعول في هذا المقام على سعة المدلول اللغوي للفظ الدعوة، بل نلزم حد الدلالة على ما برز في موارد اللفظ من كتاب الله. وقد يقول قائل: وما الذي تنكره في بسط الدلالة لتتسع لأمر المسلمين بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتذكيرهم ووعظهم بما ينفعهم في دينهم ويصحح توبتهم ويبعث همتهم إلى صالح الأعمال؟ وجوابنا أن في ذلك من غليظ المنكر ما فيه، كيف لا وهو يطرِّق طريقًا إلى تنزيل ما تعلق بالكافرين من أحكام وأوصاف على المسلمين، وكفى بهذا بغيًا وعدوانًا، وسيمر بك كيف أن حسن البنا تورط في هذا في مواضع من كتبه، فتراه يسوق الآيات القرآنية التي تحكي مواقف الكفار من

1 أصدرها أول مرة صالح عشماوي في عام 1951 واستمرت إلى 1953، ثم عادت إلى الصدور سنة 1976 واستمرت إلى 1981، وأدارها المرشد الثالث عمر التلمساني، وكان يكتب فيها، إلى أن حظر الرئيس محمد أنور السادات كل صحف المعارضة بما فيها «الدعوة»، ثم أعيد إصدارها الكترونيًا في سبتمبر من عام 2024.

رسلهم، يستشهد بها في وقائع متعلقة بمواقف المسلمين منه ومن دعوته. علَّق البخاري في صحيحه، ووصله الطبري، قول ابن عمر في وصف الخوارج: أنه كان يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار، فجعلوها على المؤمنين[1]. فوجب التنبه إلى هذه الخدعة الخطرة التي تورط المسلم في تكفير أهل دينه، ربما، من حيث لا يقصد، ومن حيث لا يشعر.

ولا يفوتني هنا أن أذكر بأنك لا تجد في كتب أهل السنة والجماعة، قبل بروز الوهابية ثم هذه الجماعة الضائعة، ما عنون بالدعوة باستثناء ما يرادف الدعاء ككتاب ابن أبي الدنيا **مجابو الدعوة**، أو ما اشتق من أصلها، لا في أصول الدين ولا في فروعه ولا في مجال الوعظ والتذكير، مهما كانت موجهة إلى المسلمين، في حين أنك تجد هذا اللفظ وما شاركه في أصل اشتقاقه يدور كثيرا في كتب الفرق الباطنية فضلًا عن الألقاب السائرة بينهم، مثل الدعوة، والداعي، وداعي الدعاة (الفاطمي مؤيد الدين الشيرازي 474هـ).

وقد قدم قطب تصورًا للمجتمع، بالغ السذاجة، بعيدًا من العلمية، كان من مشمولاته ما عرف بفكرة «العزلة الشعورية»، التي تقضي بضرورة شعور المسلم الحق باختلافه عمن حوله وتميزه

1 قال الحافظ ابن حجر: «وصله الطبري في مسند علي من تهذيب الآثار من طريق بكير بن عبد الله بن الأشج أنه سأل نافعًا: كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية؟ قال: كان يراهم شرار خلق الله، انطلقوا إلى آيات الكفار فجعلوها في المؤمنين. قلت: وسنده صحيح. (أحمد بن علي، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379، 286/12).

منهم، لجهة الاعتقاد السليم، والفهم المستقيم للدين، مع حرصه على الاختلاط بهم لإخراجهم من ظلمات جاهليتهم إلى نور الدين الحق الذي ضلوا عنه[1]. ومن اللافت أن قطب لم يكن بدعًا من هذه الزاوية، بل مثَّل تواصلًا أمينًا مع الخط الذي رسمه حسن البنا، الذي ألحَّ كثيرا، وفي مواضع شتى، على حقن أتباعه بما يعزز نرجسيتهم ويؤكد اختصاصهم، حتى بلغ به الأمر أن خاطبهم بقوله:

نحن أيها الناس، ولا فخر، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحملة رايته من بعده، ورافعو لوائه كما رفعوه، وناشرو لوائه كما نشروه، وحافظوا قرآنه كما حفظوه، والمبشرون بدعوته كما بشروا، ورحمة الله

1 كتب قطب يقول: ولست في حاجة بعد هذا إلى أن أقول: إننا نحن الذين نقدم الإسلام للناس، ليس لنا أن نجاري الجاهلية في شيء من تصوراتها، ولا في شيء من أوضاعها، ولا في شيء من تقاليدها. مهما يشتد ضغطها علينا. إن وظيفتنا الأولى هي إحلال التصورات الإسلامية والتقاليد الإسلامية في مكان هذه الجاهلية. ولن يتحقق هذا بمجاراة الجاهلية والسير معها خطوات في أول الطريق، كما قد يخيل إلى البعض منا... إن هذا معناه إعلان الهزيمة منذ أول الطريق... إن ضغط التصورات الاجتماعية السائدة، والتقاليد الاجتماعية الشائعة، ضغط ساحق عنيف، وبخاصة في دنيا المرأة. ولكن لا بد مما ليس منه بد. لا بد أن نثبت أولًا، ولا بد أن نستعلي ثانيًا، ولا بد أن نُرى الجاهلية حقيقة الدرك الذي هي فيه بالقياس إلى الآفاق العليا المشرفة للحياة الإسلامية التي نريدها. ولن يكون هذا بأن نجاري الجاهلية في بعض الخطوات، كما أنه لن يكون بأن نقاطعها الآن وننزوي عنها وننعزل... كلا، إنما هي المخالطة مع التميز، والأخذ والعطاء مع الترفع، والصدع بالحق في مودة، والاستعلاء بالإيمان في تواضع. والامتلاء بعد هذا كله بالحقيقة الواقعة (قطب، **معالم في الطريق**، ص. ص 161-162)، كما كتب في ظلاله: إنه لا نجاة للعصبة المسلمة في كل أرض من أن يقع عليها العذاب ﴿**أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ**﴾ [الأنعام: 65] إلا بأن تنفصل عقيديًّا وشعوريًّا ومنهج حياة عن أهل الجاهلية من قومها حتى يأذن الله لها بقيام دار إسلام تعتصم بها، وإلا أن تشعر شعورًا كاملًا بأنها هي «الأمة المسلمة»، وأن ما حولها ومن حولها ممن لم يدخلوا فيما دخلت فيه جاهلية وأهل جاهلية. وأن تفاصل قومها على العقيدة والمنهج وأن تطلب بعد ذلك من الله أن يفتح بينها وبين قومها بالحق وهو خير الفاتحين. (قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة، ط 32، 2003، 1125/2).

للعالمين ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص 88]. أيها الإخوان المسلمون: هذه منزلتكم فلا تصغروا في أنفسكم، فتقيسوا أنفسكم بغيركم.[1]

ولكن التطرف انزلاقٌ، فما إن يبدأ حتى يوالي هُوِيَّه،[2] فلا يقف إلا بعد أن يرتطم بالقاع، وهكذا جرَّت العزلة الشعورية من غرَّرت بهم إلى العزلة المادية الحسية، فكانت الجماعات التي اعتزلت المجتمع، وآثرت العيش في الكهوف والمغاور. ثم لم يقف الأمر عند «اعتزال» الناس، لكنه تعدى إلى استباحة دمائهم وأموالهم. بل إن هذه الجماعة الجديدة المتفرعة من الجماعة الأم، نافست أمها في التطرف فحكمت عليها بأنها هي أيضًا لا تمثل الإسلام الصحيح، وأنها غارقة في الجاهلية، وقد ذهب شكري مصطفى[3] إلى أن الأمة المسلمة

1 رسالة «الإخوان المسلمون تحت راية القرآن»، ضمن **مجموع رسائل البنا**، ص 198.

2 من الملاحظ أن الغلو انشطاريٌّ، واعتبر هذا بالخوارج، الذين بدؤوا فرقة واحدة، تجمعها أصولٌ واحدةٌ، ثم لم يلبثوا أن تناسلوا وتفرقوا، حتى بلغت فرقهم إحدى وعشرين فرقةً، وحتى كفر بعضهم بعضًا. ويحسن هنا التذكير بأن الخوارج هم من جمعوا إلى تكفير المسلمين قتالهم واستحلال دمائهم، أما البغاة فاكتفوا بقتال الإمام ومن معه ولم يكفروهم، أما من كفر المسلمين ولم يقاتلهم فهو الغالي.

3 شكري مصطفى (1942-1978) مصري، مؤسس «جماعة المؤمنين» التي اشتهرت ب «جماعة التكفير والهجرة»، وهي أول الجماعات الإرهابية التي انشعبت من جماعة الإخوان، كان مناصرًا للإخوان المسلمين، وقبض عليه معهم في ستينيات القرن العشرين، حيث كان يلازم سيد قطب في السجن ويتعلم منه، ولم يخرج من المعتقل إلا بعد وفاة جمال عبد الناصر. وقد بلغ، ومن شايعه في السجن، حدًّا بعيدًا في التطرف، تحت تأثير التعذيب، فكفروا الحكومة، والمجتمع؛ لأنه لم يكفر الحكومة، كما كفروا جماعة الإخوان نفسها. وفي تلك الظروف وضع المرشد الثاني لجماعة الإخوان كتابه **دعاة لا قضاة**؛ لتفنيد أفكار مصطفى. خطفت جماعة مصطفى وزير الأوقاف المصري د. محمد حسين الذهبي، في يوليو 1977، ثم أعدموه بإطلاق الرصاص على رأسه. أصدرت المحكمة العسكرية، في نوفمبر 1977، حكمها بالإعدام على مصطفى وأربعة من أتباعه في قضية مقتل الذهبي. انظر كتاب: عبدالخالق، فريد، **الإخوان المسلمون في ميزان الحق**، 1987، ص 118. ففيه تصريح بتكفير شكري مصطفى للإخوان المسلمين ومرشدهم وآبائهم وأمهاتهم وأزواجهم.

ارتدت عن دين الله منذ القرن الرابع الهجري. ومن أقوال مصطفى: كلُّ من هم في غير جماعتي كفار، وكل من دخلوها ثم خرجوا منها، فقتالهم أولى من أي قتال. وهذه سمة كل الحركات المتطرفة، لا تزال تتناسل وتتبارى في التطرف وتتسابق في الغلو.

وعبر تاريخها، ظلت جماعة الإخوان المسلمون تمارس تقسيم المجتمع رأسيًّا[1]، في سلوك غير مسؤول، معادٍ لاستقرار المجتمع،

1 التقسيم الرأسي Vertical division للمجتمع يعني وجود طبقات وفئات اجتماعية مرتبة هرميًّا، من الأعلى إلى الأسفل، ينظر إلى الطبقية الاجتماعية واللامساواة في الثروة والمكانة والنفوذ، فهناك طبقةٌ عليا، وأخرى وسطى، وثالثةٌ دنيا، وهي الطبقة العاملة وما في معناها، أما التقسيم الأفقي Horizontal division فيعني وجود جماعات وفئات مختلفة لكن على المستوى نفسه من المكانة الاجتماعية، وهذا التقسيم ينظر إلى الاختلافات والفروق الثقافية والدينية والمهنية، من غير الإشارة إلى تفوق أو دونية، ومن صور التقسيم الأفقي، تقسيم المجتمع حسب الدين، أو العرق، أو المهنة، فالأمر هنا متعلق بالمختلف لا بالأفضل. ويشكل هذا التقسيم مصدر تنوع وإثراء للمجتمع. وجدير باللفت أن التقسيم الأفقي قابل لأن يتحول إلى تقسيم رأسي، وذلك إذا جرى تمكين فئة أو طائفة ما على نحو يجعلها تهيمن على غيرها سياسيًّا أو اقتصاديًّا أو اجتماعيًّا، فالمحاصصة في لبنان مثلا حولت التقسيم الأفقي إلى رأسي، ونظام الكاست الطبقي في الهند Indian caste system مع كونه دينيًّا في أصله إلا أنه يمثل تقسيمًا رأسيًّا صارمًا. وبه يعلم أن الطريقة التي يربي عليها الإخوان المسلمون أتباعهم تقسم المجتمع رأسيًّا، ويكفي في هذا الوقوف على أدبيات البنا وقطب، الممثل لها أعلاه. وقد تنبه الشيخ الشعراوي مبكرًا إلى هذه الحقيقة، من غير أن يعنونها بهذه المصطلحات الاجتماعية، وذلك في الوقت الذي كان لا يزال فيه عضوا في الجماعة، في حياة مؤسسها، في عام 1938، فقص علينا كيف أن الجماعة ومؤسسها على رأسها عوض أن تمثل جامعًا مشتركًا بين جميع الأحزاب، فكلها أحزاب مسلمة داخل الوطن الواحد، آثرت أن تجعل من نفسها حزبًا منافسًا، يقف مع بعض ضد بعض، والغريب أنها وقفت ضد حزب الأغلبية، وهو الوفد وعلى رأسه مصطفى النحاس باشا، الذي يصفه الشعراوي بأنه كان رجلًا طيبًا تقيًّا ورعًا، وذكر كيف غضب البنا من إلقاء الشعراوي قصيدة يمتدح بها النحاس باشا، في حفل ذكرى سعد باشا، وأن أحد الحاضرين في الاجتماع الذي ضم الشعراوي وفي حضرة البنا نفسه، صرَّح بأن النحاس هو عدوهم الحقيقي، بل أعدى أعدائهم، لا لشيء إلا لأنه زعيم الأغلبية، وهذه الأغلبية هي التي تضايقهم في شعبيتهم، فأدرك الشعراوي، كما قال، النوايا، وأن المسألة ليست مسألة دعوةٍ، وجماعةٍ دينيةٍ، بل هي سياسةٌ، وطموح إلى الحكم، فآثر الانسحاب والابتعاد. انظر: أبو العينين، سعد، **الشعراوي الذي لا نعرفه**، كتاب اليوم، القاهرة، 1995، ص. ص 68-69.

ومؤذن بتفتيته وإفشاله، مع أن المفروض في كل عمل ديني أن يتجه الوجهة المعاكسة، فيمتّن وشائج القربى المجتمعية، ويصون المجتمع من عوامل التفكك والاضمحلال، سواء في مجتمع غلب الإسلام عليه، أم غُلب الإسلام فيه، ففي هذا الأخير يمضي المسلم وفيًّا لخطة دينه السلامية في حفظ الأمن ورعي الحرمات وحفظ الحقوق، مؤمنًا أن الحق لا يزدهر مع الخوف والفوضى، لكنما الأمن والنظام حليفاه، وهو ما يعلمه درس الحديبية[1]، الذي كان في وعي الصحابة الكرام هو الفتح حقًّا. وأما في مجتمع غلب الإسلام فيه، فالإسلام رحم بين أهله، ورحمة لغير أهله. فمهما اختلفت بالناس خياراتهم العقدية، لم يجتف ذلك شيئًا من حقوقهم، لا كثيرًا ولا قليلًا، ولم يستبح شيئًا من حرماتهم، كبر أو صغر، ومهما اختلفت بالمسلمين اجتهاداتهم الدينية، فضلًا عن اختياراتهم الدنيوية، ظل الإسلام بأصوله وثوابته الجامع المشترك الأعظم بينهم، والقسمة الأعدل، التي لكل منهم نصيبه منها، بالقدر الذي يعصم دمه، ويصون حرمته، ويحفظ حقه، ويرعى ذمته. وذلكم هو ما يصحُّ أن يُعلَّلَ به رفضُ النبي الكريم صلى الله

1 من المعلوم أن صلح الحديبية، الذي وقع في السنة السادسة للهجرة، سمح باختلاط المسلمين بالكفار، فدعوهم الى الإسلام، فكان عدد من دخل في الإسلام في سنتين فقط، وهي المدة بين الحديبية وفتح مكة في السنة الثامنة، أكثر ممن دخل في الإسلام في الفترة كلها قبل الحديبية، أي في نحو تسع عشرة سنة، وذلك أن رسول الله ص خرج الى الحديبية في ألف وأربعمئة، بينما خرج الى مكة فاتحا في عشرة آلاف، قد أخرج البخاري في صحيحه قال ص: أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت الشمس ، ثم قرأ (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) وفي صحيح البخاري أيضا عن البراء بن عازب: تعدون الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كما مع رسول الله ص أربع عشرة مئة...الخبر

عليه وسلم الاستجابةَ لأصحابه الذين استأذنوه في الذبِّ عن أنفسهم، والانتصار من كفار قريش، الذين ساموهم سوء العذاب، إرادةَ فتنتهم عن دينهم.

والذي يصحح هذا التعليل مواصلته عليه الصلاة وأفضل السلام السير في الخطة السلامية ذاتها في المدينة المنورة، وقد أبدل الله المؤمنين بالضعف قوةً وتمكينًا، وبالقلة كثرةً وظهورًا، فأبى عليه السلام التعرض لمن طعن في عرضه، وغمز أمانته، وخذله وأصحابه في مواطن معروفة، حقّت فيها الحاجةُ إلى الموالاة والنصرة، ولا سيما في أُحدٍ، أبى أن يعرض لهم في كل ذلك بشيءٍ، واكتفى بالقول: لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه.

ومما يصححه أيضًا، ما شهر عنه صلى الله عليه وسلم من أخبار تؤكد ضرورة كف اليد، حين يذر قرن الفتنة في المجتمع، وتثور النائرة، حتى أمر بلزوم البيوت، ولما سئل: فإن دُخل عليَّ بيتي؟ قال صلى الله عليه وسلم: إنْ خشيت أن يبهرك شعاع السيف، فألقِ ثوبك على وجهك، يبء بإثمك وإثمه[1].

وكان من حق العلم والنصح للأمة أن يورد قطب ما أسنده المفسرون الكبار، وفي مقدمهم الطبري، من اختلاف السلف، الصحابة فمن دونهم، في تأويل آيات الحاكمية هذه، من سورة المائدة، فمن

1 **سنن أبي داود**، 2009، رقم الحديث 4261، 317/6.

مخصصها بأهل الكتاب، ومن فاهمٍ لها على أنها في ترك الجملة لا في ترك آحاد الأحكام[1]، ومن قائل: كفرٌ دون كفرٍ، وظلمٌ دون ظلمٍ، وفسقٌ دون فسقٍ، ومِنْ حاملٍ لها على ظاهرِها، لكن مع تقييد ترك الحكم بما أنزل الله بالجحود والإنكار، ومن المعلوم أن من النادر ألا يميل حاكمٌ في حكومته عن صراط العدل، ولا سيما في الأعصار المتأخرة.

ثم أين سيد قطب، والقائلون بالحاكمية على طريقته، من أسئلة «الاجتهاد»:

1. فليست الأحكام، من حيث أدلتها، على درجةٍ واحدةٍ من الوضوح والصراحة، وذلك لأسبابٍ كثيرةٍ، محل تفصيلها كتب أصول الفقه[2]، كما أن الأدلة ليست كلها محل اتفاقٍ عليها، وهكذا يمكن عزو الاختلاف الواقع بين المجتهدين إلى أسبابٍ منهجيةٍ، تجعل الاختلاف أمرًا لا مفر منه ولا معدى عنه، وهو ما لوحظ بدءًا من الصحابة أنفسهم، فأئمة التابعين وتبعهم ومن تلا. وقد كان أول اختلافهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما اتفق لهم مع قوله النبي صلى الله عليه وسلم مرجعه من الأحزاب: لا يصلين أحد العصر إلا

1 وهذا ما يظهر بمقارنة الآيات، فأولاها تتكلم عن التوراة كلها، والثانية عن أحكام القصاص الواردة فيها، والثالثة عن الإنجيل وهو في الجملة ليس كتاب تشريع بقدر ما هو مواعظ وتذكير. فترك التوراة جملة لا يناسبه إلا أنه كفر بها، وترك أحكام القصاص المبنية على المساواة يناسبه جدا نعته بالظلم، وأما مجافاة مواعظ الإنجيل وتذكيراته فالأليق به نعته بالفسق.

2 انظر مثلًا: الدهلوي، شاه ولي الله، **حجة الله البالغة**، دار الجيل، بيروت، 2005، 243/1، مبحث: أسباب اختلاف الصحابة والتابعين في الفروع، ثم 249/1 مبحث: أسباب اختلاف مذاهب الفقهاء.

في بني قريظة، فأدرك بعضُهم العصرَ في الطريق، فقال بعضهم: لا نُصلي حتى نأتيَها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يُرِدْ ذلك منا، فذُكر للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، فلم يُعَنِّفْ أحدًا منهم[1]، ويصعب للغاية حصر وقائع اختلاف الصحابة، رضي الله عنهم، وحسبك أن عدد المسائل التي خالف فيها ابن مسعود الفاروق عمر رضي الله عنهما بلغ مئة مسألة.[2]

2. وإذا وضح الحكم على نحو يهيئ لإعماله وتطبيقه، أو حتى القياس عليه، بتحرر مناطه، أتى دور «تحقيق مناط» هذا الحكم، وهنا تتسع الأنظار وتتباين، ووقائع اجتهاد الفارق عمر رضي الله عنه، في هذا الباب كثيرة، وكثير منها مشهور حتى بين غير المختصين، ولم يقرفه أحد من الصحابة بأنه عاند النص وأبطل حكمه، فقد كانوا مدركين تمامًا أن الأمر يتعلق باجتهادٍ سائغٍ، من متأهلٍ له، له أجران إن أصاب، وأجرٌ واحدٌ إن أخطأ.

3. وتنويرا للمعنى نذكر بأن المقصود بالمناط علة الحكم التي يدور معها وجودا وعدما، وأن المقصود بتحريره تحديد ماهية

1 **صحيح البخاري**، أبواب صلاة الخوف، باب حدثنا عبدالله بن محمد بن أسماء، رقم الحديث 946، (15/2).

2 كما ذكر ذلك: ابن قيم الجوزية، **إعلام الموقعين**، 167/2. وللوقوف عي نماذج من اختلافهم رضي الله عنهم انظر مثلا: أبو سريع محمد عبدالهادي، **اختلاف الصحابة: أسبابه وآثاره في الفقه الإسلامي**، وسعد بن السيد قطب الشال، **أدب الاختلاف بين الصحابة**، وعبد العزيز العويد، **أصول الفقه عند الصحابة**.

العلة نفسها، باستبعاد سائر الأوصاف غير المؤثرة في الحكم، وأما تحقيق المناط فيقصد به البحث في وجود العلة في الواقعة الجزئية، وبه يضح أن تحرير المناط اجتهاد نظري استقرائي، بينما تحقيقه اجتهاد تطبيقي تنزيلي.

ومن وراء هذا التذكير يتبين أن تحقيق المناط مجال وسيع ينفسح فيه النظر بخصوص الظروف والشروط التي ينبغي على الفقيه أخذها في اعتباره عند تنزيل الحكم الشرعي على الواقع المعيش، بحيث يظهر أثر الخلفية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية في التنزيل المذكور، ما يجعل، بالتالي، التنزيل المذكور أدنى إلى تحقيق مقصد الحكم، كما يجعله بعيدا من التلقائية الغافلة المعادلة بين الوقائع المختلفة على الرغم مما يمايز بينها من تباين الظروف والشروط.

ولعل مناظرة الشرعي بالطبعي تقرب المعنى، فالعلة المادية لشجرة ما تتمثل في بذرتها، وإذا استعملنا مصطلحات الميتافيزيقا الأرسطية، فإن البذرة تتمتع بقوة أو إمكان أن تصير شجرة، لكن إخراجها من القوة إلى الفعلية يحتاج الى العلة الفاعلية، وهي المحرك أو العامل الذي يطلق عملية التغير، المتمثل في جملة الشروط المختلفة، التي وإن كان كل واحد منها شرطا ضروريا لعملية التغير المذكورة، إلا أنه ليس كافيا، بل لا بد من انضمام سائر الشروط الأخرى التي تمثل الخلفية الواقعية العريضة لاستحالة البذرة شجرة، وفي رأسها المزارع المنتخب للبذرة ومكان غرسها وزمانه، ثم التربة وكونها ملائمة لنمو هذه البذرة،

فضلا عن شروط الإنماء من تهوية "الأكسجين" وإضاءة وتغذية وتروية، ودرجة حرارة مناسبة، إلى جانب الشروط السالبة، وفي مقدمها ألا يحاد عن القدر المناسب من توفر الشروط المذكورة، فالزيادة قد تؤثر سلبا على النمو كالنقص، فالإفراط في التروية، مثلا، يؤثر سلبا، كنقصها، ومن الشروط السالبة أيضا غياب الجوائح والملوثات من مبيدات أو سموم ومعادن ثقيلة، وغياب الممرضات المختلفة، الخ.

وبالمثل فإن تنزيل الحكم الشرعي على الواقع المعيش، ما بدٌّ فيه من مراعاة جملة وتفاصيل الشروط في كل حالة حالة.

4. وماذا عن تمييز المقاصد من الوسائل[1]، ومن المعلوم أن الشرع الحكيم أمر باصطناع وسائل معينةٍ خادمةٍ لغايات محددةٍ[2]، كقوله تعالى ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ**﴾ [الأنفال: 60]، فهل يجب علينا في زماننا هذا اصطناع هذه الوسيلة عينها، أم يسعنا أن نستبدل بها ما هو أنجع وأجدى علينا؟ لا غرو أن الاستبدال أفضل، بل متعين، حيث لا معنى، في حروب اليوم، لمواجهة الطائرات والدبابات وما أشبه

1 الوسائل أفعال لا تقصد لذاتها، بل للتوصل بها إلى أفعال أخرى مقصودة لذاتها لما تشتمل عليه من المصلحة. وفي عصرنا هذا تعرف الوسائل لا كأفعال، بل كأعيان، آلات وأدوات تستعمل لتحقيق أغراض معينة بها، ولعلك تعلم أن الفقه لا شغل له بالأعيان بحد ذاتها بل من حيث استعمال المكلف لها، فالفقه معني بأفعال المكلفين.

2 ولهذا كانت الوسائل مرهونةً بمقاصدها، ومن القواعد في هذا الباب قاعدة: مراعاة المقاصد أولى من مراعاة الوسائل، وقاعدة كلما سقط اعتبار المقصد سقط اعتبار الوسيلة، وقاعدة حصول المقصود مسقط لطلب الوسيلة، ومن تطبيقاتها قول الفقهاء: إذا حصل التجلي في الكسوف قبل الصلاة لم يصل لها؛ لأن المقصود التجلي، بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم: ... فإذا رأيتم كسوفا فاذكروا الله حتى ينجليا، وقالوا أيضًا: إذا حصل التجلي أثناء الصلاة، أتم الصلاة خفيفة ولا يقطعها- لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ**﴾ [محمد: 33].

بالخيل والدواب. والأمر في الوسائل دائرٌ على مدى نجاعتها في تحقيق مقاصدها، فيقدم الأنجع فالأنجع، وذلك أنها ليست مطلوبة لذاتها، بل لإفضائها إلى مقاصدها، قال ابن عاشور: وقد تتعدد الوسائل إلى المقصد الواحد، فتعتبر الشريعة في التكليف بتحصيلها أقواها تحصيلًا للمقصد المتوسل إليه، بحيث يحصل كاملًا، راسخًا، عاجلًا، ميسورًا[1]. ومن المعلوم أن الوسائل مبناها على التوسعة، ومن القواعد الحاكمة في هذا الباب قاعدة: أنه يغتفر في الوسائل ما لا يغتفر في المقاصد، وقاعدة: حصول المقصود بإحدى الوسائل مسقط لاعتبار التعيين فيها، بل قال الإمام القرافي: إذا تيسر المقصود بدون وسيلة معينة، سقط اعتبارها[2].

ولهذا لما قيل له صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله إنا لاقوا العدو غدًا، وليس معنا مدى، أفنذبح بالقَصَب؟ فقال صلى الله عليه وسلم: ما أنهر الدم، وذكر اسم الله عليه فكلوه، ليس السنَّ والظُّفُر، وسأحدثكم عن ذلك: أما السن فعظم، وأما الظفر فمُدى الحبشة، كما في الصحيحين[3]، ومراعاة لهذا المعنى ذهب الفقهاء إلى عدم اشتراط عود الأراك في الاستياك، بل أجازوه بكل ظاهر خشن.

1 انظر: ابن عاشور، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، ص 419.

2 القرافي، الذخيرة في فروع المالكية، 177/3

3 **صحيح البخاري**، كتاب الذبائح والصيد، باب ما أنهر الدم من القصب والمروة والحديث، رقم الحديث 5503، 92/7، و**صحيح مسلم**، كتاب الأضاحي، باب جواز الذبح بكل ما أنهر الدم، رقم الحديث 1968، 1558/3. وقد ذهب مالك وأحمد، اعتمادًا على هذه القاعدة، إلى أن العقود تصح بكل ما دل على مقصودها من قولٍ أو فعلٍ، ولم يشترطا لفظًا معينًا في الإيجاب والقبول، إذ المقصود الدلالة على حصول التراضي، ويحصل بالتعاطي ونحوه.

5. كما أن هناك سؤالًا شديد الحساسية يتعلق بطبيعة بعض الأحكام الشرعية، حتى المنصوص منها، وهل هي مفروضةٌ أم «إجازيةٌ» تقبل بحكم التعريف إعادة النظر فيها واستبدال غيرها بها إذا تبين كونه أوفى بتحقيق مقاصد الشرع.[1]

1 سككتُ هذا المصطلح لأدل به على مفهوم إمكان كون حكمٍ ما ليس مفروضًا على نحوٍ مؤبدٍ، بحيث لا يجوز بتةً تركه لغيره، أي الاستعاضة منه بما قد يقدر المجتهد أنه أنسب منه في هذه المرحلة من تاريخ العالم، بل قصارى ورود الشرع الحنيف به إمضاء ما تعارفه الناس قبل الإسلام في بيئتهم، كونه كان أفضل ما جربوه وساروا عليه، لكن هذا بذاته لا يمنع أن يبرز يومًا ما حكمٌ آخر في المسألة نفسها يكون أقرب إلى وأوفى بتحقيق المقاصد الشرعية الكبرى المرعية، لجهة الكيف، ولجهة الكم أيضًا، بمعنى أنه يحقق عددًا أكبر من المقاصد، مقارنة بالحكم **السابق**، المنصوص. ويمكن التمثيل هنا بقطع يد السارق، كما أننا لو صغنا المسألة انطلاقا من النظر في مقاصد العقوبة، أهي للانتقام، أم للردع والنكال، أم للإصلاح، وهي وجهات مختلفة، تطورت عبر التاريخ، وإذا ما رجحنا مقصد الإصلاح، جاز لنا النظر إلى العقوبة على أنها وسيلة خادمة للمقصد، فتأخذ أحكام الوسائل، فمهما جدت وسيلة، وقدرنا أنها أنجع في تحقيق المقصد، أخذنا بها وتركنا الوسيلة القديمة، فيكون الأمر بقطع يد السارق، كالأمر بإعداد رباط الخيل، وما من أحد، في زماننا هذا، يعتب على من استبدل الدبابات والعربات المصفحة، فضلا عن الطائرات الحربية والمسيرات والسفن الحربية ونحوها، برباط الخيل، فلم النكير والتهويل إذا اقترح مقترح تبديل قطع السارق بعقوبة أخرى يراها أصلح وأنجع لا سيما وقد ثبت أن الشرع الحنيف لم يبتكر عقوبة قطع السارق بل أمضاها كما تعارفها العرب الذين قطعوا السارق في الجاهلية، وقد ورد أن أول من قطع في السرقة رجل يدعى دويكا سرق كنز الكعبة، وفوق ذلك لم يكن قطع السارق معروفا لا في اليهودية ولا في المسيحية، ما يشهد بكونه عقوبة ابتكرها عرب الجاهلية. وقل مثل هذا في أبواب الشهادات، على اختلافها، توثيقا للحقوق أو تثبيتا للتهمة، وفي وسائل إثبات النسب، ونفيه، وإثبات الجريمة وتحقيقها، بما يغني عن ضروب من الشهادة، والقسامة، والأيمان، وغير ذلك. حيث تيسر لنا في عصرنا هذا مطابقة البصمات، وأجهزة اكتشاف الكذب، ووسائل التسجيل الصوتي، والتسجيل الفيديوي، صوتًا وصورةً وحركةً، وكاميرات المراقبة، وفحوص الدم، وفحوص الحمض النووي، ولدينا الحساب الفلكي الذي يعلم به، وبدقةٍ بالغةٍ، دخول الشهر وخروجه، وطلوع الشمس وغروبها وزوالها عن كبد السماء، وتحديد القبلة، وإن اعترض معترض فقال: لكن شأن العقوبات يختلف عن شأن سواها من الأمور التي ذكرت، لفتناه إلى أن الشريعة المكرمة اقتصرت على تنصيص العقوبة على عدد منزور من الجرائم، بينما وكلت إلى القضاة تقدير ما يرونه الأنسب في عقاب سائر الجرائم التي لم يقدر عليها الشرع عقوبات محددة، المسمى في اصطلاح الفقهاء بالتعزير، ومعلوم أن الجمهور على أن التعزير لا يجوز فيه أن يبلغ الحد فضلا عن أن يتجاوزه، في حين جوز الحنفيه في التعزير أن يقارب الحد دون مساواته، ففي الجلد مثلا يمكن أن يجلد تسعا وسبعين جلدة، فيقارب حد القاذف ولا يساويه، أما المالكية فلديهم رواية أن التعزير في جرائم يبلغ فيها الفساد مبلغا عظيما، كأن يتكرر الفساد من مجرم، يسوغ أن يبلغ التعزير القتل، وبه قال بعض الحنابلة.

إلى غير هذا من الأسئلة التي تضمحل معها سطوة مفهوم «الحاكمية» على النحو الذي يوظفه دعاته، ولا يبقى منه إلا ما يقع عليه اتفاق كل المسلمين من إعمال المقاصد العامة للشريعة دون كل ما يخضع للاجتهاد ويقبل تجديد النظر.

وقد يرى بعضهم في إثارة مثل هذه الأسئلة تعنتًا، وجوابنا أن الأئمة الكبار وقع بينهم من الخلاف ما هو أبعد وأكبر، وذلك أنهم اختلفوا في مرتبتين:

الأولى في مرتبة المصادر الأصلية، وهي الكتاب والسنة والإجماع. أما السنة فاختلفوا في ثبوت جملة من الأحاديث الشريفة، وذلك تبعًا لاختلافهم في قواعد وشروط إثبات الحديث النبوي، وحجية أنواع منه، كالمرسل، ثم اختلفوا بعد ذلك في قواعد فهم النصوص الشرعية الثابتة، سواء أكانت من القرآن أو من السنة.

وكذلك اختلفوا في الإجماع اختلافًا طويلًا، فالظاهرية أنكروا الإجماع باستثناء ما أجمع عليه الصحابة[1]، ثم ثمة اختلافات غير قليلة في بعض التفاصيل المتعلقة بالإجماع.

والمرتبة الثانية هي اختلافهم في أصول تشريعية تبعية «تكميلية»، كالقياس، والاستحسان، والاستصلاح، والاستصحاب، ومذهب الصحابي،

1 للتوسع: انظر مثلًا **الإحكام في أصول الأحكام** لابن حزم، و**النبذ في أصول الفقه** له أيضًا، و**مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباجي** لعبدالمجيد التركي.

وعمل أهل المدينة، وشرع من قبلنا، وسد الذرائع، وسواها.

وأهم هذه الأصول التبعية على الإطلاق هو القياس، وقد أنكره أيضًا الإمامُ ابن حزمٍ الأندلسي، وجادل طويلًا عن رأيه[1].

وأما الاستحسان، فقد استكثر منه السادة الحنفية، واعتمده المالكية[2]، كما أخذ به الحنابلة، بينما أباه الشافعي بشدة، حتى وضع كتابًا فيه وسَمَه **إبطال الاستحسان**، وقال كلمته الشهيرة: من استحسن فقد شرع.

وعن حجية الاستصلاح كتب السيف الآمدي:

وقد اتفق الفقهاء من الشافعية والحنفية وغيرهم على امتناع التمسك به، وهو الحق، إلا ما نقل عن مالكٍ أنه يقول به، مع إنكار أصحابه لذلك عنه.[3]

وبخصوص الاستصحاب فقد اعتبره أكثر أصحاب الثلاثة، في حين ذهب كثير من الحنفية وبعض الشافعية إلى أنه ليس بحجةٍ أصلًا، فلا يثبت به أمرٌ لم يكن، وليس حجةً في بقاء ما كان على ما كان، وأكثر

1 للتوسع انظر: **الإحكام لابن حزم**، وكذلك: **مناظرات في أصول الشريعة**.

2 قال أبو إسحق الشاطبي: إن الاستحسان يراه معتبرًا في الأحكام مالكٌ وأبو حنيفة، بخلاف الشافعي فإنه منكرٌ له جدًّا حتى قال: من استحسن فقد شرع ... بل قد جاء عن مالكٍ أن الاستحسان تسعة أعشار العلم. (الشاطبي، أبو إسحق، **الاعتصام**، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 138/2).

3 الآمدي، علي بن محمد، **الإحكام في أصول الأحكام**، تحقيق إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، 1980، 21/4. وجدير باللفت أن كلام الشافعي في **إبطال الاستحسان** يشمل الاستصلاح كما تعاطاه المالكية، إلى جانب الاستحسان الحنفي، كما نبه عليه في أثر الأدلة المختلف فيها في الفقه الإسلامي مصطفى ديب البغا، ص 44.

المتأخرين من الحنفية إلى أنه حجة في النفي لا في الإثبات، بمعنى أنه حجة في النفي الأصلي، دون إثبات الحكم الشرعي، فيصلح حجة في بقاء الأمر على ما كان، بحيث لا تترتب آثارٌ جديدةٌ على اعتباره بل تدفع به دعوى تغير الحال الثابتة من قبل.[1]

وكذلك اختلفوا في حجية مذهب الصحابي، فاحتج به مالكٌ وأحمد، ومذهب الشافعي الجديد أنه ليس بحجةٍ مطلقًا، وهي الرواية الثانية عن أحمد، وذهب الحنفية إلى أنه حجةٌ إذا كان فيما لا يدرك بالرأي، وكذلك فيما يدرك بالرأي واشتهر ولم يعرف له مخالف، أما إذا لم يشتهر أو خولف فليس بحجةٍ.[2]

وقد نعت الغزالي شرع من قبلنا، ومذهب الصحابي، والاستحسان، والاستصلاح، ب «الأصول الموهومة» أي التي يظن أنها من أصول الأدلة، مع أنها ليست منها، كما يرى هو.[3]

هذا، ومن المعلوم أن مالكًا وأصحابه يحتجون بعمل (إجماع) أهل المدينة، بينما لم يحتج به الجمهور، أصوليين وفقهاء[4].

1 انظر مثلا: الإيجي، عضد الدين، **شرح مختصر ابن الحاجب**، تحقيق محمد دوكوري، مكتبة دار الثقافة، نيجيريا، 2022، 249/3.

2 البخاري، علاء الدين، **كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1890، 217/3-218.

3 الغزالي، محمد، **المستصفى من علم الأصول**، تحقيق الشيخ إبراهيم محمد رمضان، 604/1.

4 ابن قيم الجوزية، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، 274/2-277.

ولم ير الشافعية في شرع من قبلنا حجة تلزمنا، لكن المختار عند الحنفية والمالكية أنه شرعٌ لنا يلزمنا العمل به، وعن أحمد روايتان فيه.[1]

وقد توسع مالكٌ في إعمال مبدأ سد الذرائع بشكلٍ كبيرٍ، وقاربه في ذلك أحمد، ولم يتعرض أصوليو الحنفية والشافعية في كتبهم لبيان رأيهم فيه، وظاهر كلام الشافعي في **الأم** رفضه، وإن كان للمحققين كلام مختلف، والراجح أن الكل يعمله، وإن لم يسمه باسمه.[2]

وعودًا إلى سيد قطب، نقول: إن الرجل لم يؤسس نظره في هذه المسألة الحساسة الحرجة على علمٍ وثيقٍ أو نظرٍ شرعيٍّ دقيقٍ، بل أفرغ عن منطق مثقفٍ أديبٍ، لا عن منطق عالمٍ مقيَّدٍ بقواعد الفهم التي حرَّرها جهابذةُ الأئمة، ومضى عليها المجتهدون عبر الأزمان، فمضى إلى حيث يقوده غضبه، أو تبلغ به رغبته، أو يصور له فهمه الذي لم تصقله دُربةٌ بقواعد الأئمة، ولا تأنُّسٌ بطرائقهم ومناهجهم. والنتيجة ما رأينا ورأى الناس، تورُّطٌ في تكفير «الحكام» والحكومات، ثم الشعوب والجماعات،

1 ابن قدامة المقدسي، موفق الدين، **روضة الناظر وجنة المناظر**، تحقيق عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد، الرياض، 1993، 517/2.

2 انظر: البغا، مصطفى، **أثر الأدلة المختلف فيها في الفقه الإسلامي**، دار الإمام البخاري، دمشق، ص. ص 575-579.

وخـوضٌ فاجـرٌ غادر في دماء الناس، واسـتباحةٌ لحرماتهـم وأموالهم[1]، وتبديلُ صفوهـم كـدرًا، وأمنهـم خوفًـا، وسـكونهم قلقًـا، حتـى كان مـن تـوالِي هـذا وعقابيلـه[2] السـوأى أن تتابعـت جماهير الشـباب والشـواب في الانسـلاخ من ديـن اللـه، ورميـه بالعظائم، مما علم الله والراسـخون في العلـم أن دين الله منـه بـراء كل براءة.

والغريـب أن سـيد لم يقـف عنـد حـد جهـل قواعـد الفهـم المشـار إليهـا أعـلاه، وتجاهلهـا، بـل سـخر منهـا وأسـقط اعتبارهـا أصـلًا، ولكأنـه كان واعيًـا بـأن اعتمادهـا يفضـح زخـرف أفـكاره ويكشـف زيفهـا، فكتـب يقـول:

إن العمـل في الحقـل الفكـري للفقـه الإسـلامي عمـلٌ مريـحٌ، لأنـه لا خطـر فيـه، ولكنـه ليـس عمـلا للإسـلام!! ولا هـو مـن منهـج هـذا الديـن، ولا مـن طبيعتـه. وخـيرٌ للذيـن ينشـدون الراحـة والسـلامة أن يشـتغلوا بـالأدب وبالفـن أو بالتجـارة! أمـا الاشـتغال بالفقـه الآن عـلى ذلـك النحـو بوصفـه عمـلًا للإسـلام في هـذه الفـترة فأحسـب - واللـه أعلـم - أنـه

1 روى مسـلم وغـيره عـن أبي هريـرة قـال: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «مـن خـرج مـن الطاعـة، وفـارق الجماعـة، فـمات، مـات ميتـة جاهليـة، ومـن قاتـل تحـت رايـة عُمِّيـة، يغضـب لعَصَبـة، أو يدعـو إلى عصبـة، أو ينـصر عصبـة، فقتـل فقتلـة جاهليـة، ومـن خـرج عـلى أمتـي يـضرب برهـا وفاجرهـا، ولا يتحـاشى مـن مؤمنهـا، ولا يفـي بعهـد ذي عهدهـا، فليـس منـي ولسـت منـه». والعميـة هـي الجهالـة والضلالـة، ويتحـاشى: أي يكـترث بمـا يقـول أو يفعـل ولا يخـاف وبالـه وعقبـاه. (**صحيـح مسـلم**، كتـاب الإمـارة، بـاب وجـوب ملازمـة جماعـة المسـلمين عنـد ظهـور الفـتن، رقـم الحديـث 1848، 1477/3).

2 جمع عقبول، وهو الشديد من الأمور، والعقابيل الدواهي.

مضيعـةٌ للوقـت وللأجـر أيضًـا!![1]

عـلى أن آيـات الحاكميـة هـذه مـن سـورة المائـدة، لـو قُرئـت لفقًـا واحـدًا، وروعـي في فهمهـا سـباقها، لبـان أنهـا في مقصَـد غـير مـا أراد هـؤلاء تمامًـا، وهـو مقصـد تأكيـد «التعدديـة القانونيـة»[2] Legal pluralism في المجتمـع. وكأن اللـه أراد لفتنـا إلى هـذه الحقيقـة المهمـة فعقـب السـياق أدنـاه بقولـه: ﴿**لِـكُلٍّ جَعَلْنَـا مِنكُـمْ شِرْعَـةً وَمِنْهَاجًـا ۚ وَلَـوْ شَـاءَ اللَّـهُ لَجَعَلَكُـمْ أُمَّـةً وَاحِـدَةً وَلَٰكِـن لِّيَبْلُوَكُـمْ فِي مَـا آتَاكُـمْ ۖ فَاسْـتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّـهِ مَرْجِعُكُـمْ جَمِيعًـا فَيُنَبِّئُكُـم بِمَـا كُنتُـمْ فِيـهِ تَخْتَلِفُـونَ**﴾ [المائـدة: 48].

أمـا في سـباق آياتنـا، فنقـرأ قولـه تعـالى: ﴿**سَـمَّاعُونَ لِلْكَـذِبِ أَكَّالُـونَ لِلسُّـحْتِ فَـإِنْ جَـاءُوكَ فَاحْكُـمْ بَيْنَهُـمْ أَوْ أَعْـرِضْ عَنْهُـمْ وَإِنْ تُعْـرِضْ عَنْهُـمْ**

1 قطـب، **في ظـلال القـرآن**، 2012/4. وهـل هـي مجـرد صدفـة أن يُزَهِّـدَ حسـن البنـا - مـن قبـل - أتباعـه في قـراءة تفاسـير القـرآن الكريـم، فهـا هـو محمـود عبـد الحليـم يكتـب: سـألته مـرة (أي حسـن البنـا) أي التفاسـير تنصحنـي أن أقـرأ؟ فقـال لي: إن كنـت تريـد نصيحتـي فـلا داعـي لقـراءة تفاسـير، إن القـرآن واضـح، حسـبك أن تعـرف معـاني الكلـمات الغريبـة عليـك وهـي قليلـة ثـم اقـرأه وتدبـر معانيـه وافتـح لـه قلبـك، وأنـت تعـرف سـيرة رسـول اللـه ص، إذا فعلـت ذلـك فإنـك سـيفتح لـك مـن معانيـه مـا لا تظفـر بـه مـن كتـب التفسـير. (عبدالحليـم، محمـود، **الإخـوان المسـلمون: أحـداث صنعـت التاريـخ**، 1994، ص 188).

2 مفهـوم في علـوم القانـون والاجتـماع والأنثروبولوجيـا، يُشـير إلى وجـود أكـثر مـن نظـام قانـوني واحـد ضمـن مجتمـع واحـد، أو دولـة واحـدة. ووفـق هـذا المفهـوم، لا يُعتـبر القانـون الرسـمي (الصـادر عـن الدولـة) Formal law هـو النظـام القانـوني الوحيـد، بـل يُعـترف بوجـود قواعـد قانونيـة أخـرى اجتماعيـة، أو دينيـة، أو عرفيـة، أو محليـة، تعمـل بالتـوازي معـه وتؤثـر في حيـاة النـاس وتفاعلهـم الاجتماعـي. يـرى جـون غريفيـث John Griffiths، وبريـان تاماناهـا Brian Tamanaha أن هـذه الأنظمـة يجـب أن تُـدرس معًـا، معتبريـن أن القانـون الرسـمي ليـس سـوى شـكلٍ واحـدٍ مـن أشـكال التنظيـم الاجتماعـي إلى جانـب أشـكال وقواعـد أخـرى. بينـما يـرى روبرتـسSimon Roberts أن مصطلـح «قانـون» يجـب أن يظـل مرتبطًـا حصريًّـا بالدولـة ومؤسسـاتها، وأن الأنظمـة القانونيـة الأخـرى يجـب ألا تُعامـل بالمكانـة نفسـها أو الاعتبـار ذاتـه.

فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 42-43].

ومن ثم يقول سبحانه **﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45) وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (46) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47) وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48) وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ**

وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50)﴾ [المائدة: 44-50].

ونعلم أن من العلماء من زعم منسوخية الآية 42 بالآية 49، وهو ما أباه الشافعي رحمه الله، وتأول الآية 49 على معنى: إن حكمت بينهم فاحكم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم. وهو ما سار عليه الطبري وغير واحد من كبار المفسرين.[1]

ومراعاة التعددية القانونية أمرٌ يخدم استقرار المجتمع، ويعزز

1 انظر: الشافعي، محمد بن إدريس، **الأم**، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1983، 44/7. وقد أورد الطبري، القولين في نسخ الآية ومحكميتها، ثم عقب بقوله: «وإنما قلنا: ذلك أَوْلاهما بالصواب؛ لأن القائلين: إن حكم هذه الآية مَنْسوخٌ، زعَموا أنه نُسِخ بقوله: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، وقد دلَّلْنا في كتابِنا **كتاب البيانِ عن أصولِ الأحكامِ** أن النسخُ لا يكونُ نَسْخًا إلا ما كان نفْيًا لحكمٍ غيرِه بكلِّ مَعانيه، حتى لا يَجوزَ اجْتماعُ الحكمِ بالأمرَيْن جميعًا على صحتِه بوجهٍ مِن الوجوهِ، بما أَغْنَى عن إعادتِه في هذا الموضع». (الطبري، جامع البيان، 445/8). وقال القرطبي رحمه الله: قال ابنُ العربي: وهذه دعوى عريضة، فإن شروط النسخ أربعة، منها معرفة التاريخ بتحصيل المتقدم والمتأخر، وهذا مجهول من هاتين الآيتين، فامتنع أن يدعى أن واحدة منهما ناسخة للأخرى، وبقي الأمر على حاله. قلت: قد ذكرنا عن أبي جعفر النحاس أن هذه الآية متأخرة في النزول، فتكون ناسخة، إلا أن يقدر في الكلام ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ إن شئت، لأنه قد تقدم ذكر التخيير له، فآخر الكلام حذف التخيير منه لدلالة الأول عليه، لأنه معطوف عليه، فحكم التخيير كحكم المعطوف عليه، فهما شريكان، وليس الآخر بمنقطع مما قبله، إذ لا معنى لذلك ولا يصح، فلا بد من أن يكون قوله ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ معطوفًا على ما قبله من قوله ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ ومن قوله ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فمعنى ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أي احكم بذلك إن حكمت واخترت الحكم، فهو كله محكم غير منسوخ، لأن الناسخ لا يكون مرتبطًا بالمنسوخ معطوفًا عليه، فالتخيير للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك محكم غير منسوخ، قاله مكي رحمه الله. (القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964، 212/6).

روح التسامح فيه، ويقيم التعايش على أسسٍ قابلةٍ للبقاء والنماء، إذ هي ملتئمةٌ بروح احترام الاختلاف ومراعاته، ما يعني احترامها لروح الحرية، حرية المعتقد والضمير، وذلكم مقصدٌ ربانيٌّ عالٍ في الخلق، عبر عنه سبحانه بقوله ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ**﴾ [المائدة: 48]، وبقوله تعالى ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ**﴾ [هود: 118-119].

وقبل أن أغادر هذه النقطة أود أن ألفت إلى مغالطتين توجبان لبسًا كبيرًا لدى كثيرين:

أولاهما: استعمال «الحاكمية» بمعنى «الحكم» المدلول به في عصرنا هذا على السلطة السياسية، وهو ما يعبر عنه بالإنجليزية ب Gover-nance ومنه الحكومة Government، وهو استعمالٌ غالطٌ بالقطع، إذ إن «الحاكمية» التي يحاجون بها وعنها، كما وردت في القرآن العظيم والسنة المشرفة، لا تعني بتة السلطة السياسية، بل الحاكمية القضائية، وهي المعبر عنها بالإنجليزية ب Judiciary أي السلطة القضائية أو القضاء، ومنها الحكم Judgment الذي يصدره القاضي أو المحكمة. فوجب التنبيه على هذا الخلط الذي يمثل تحريفًا لكلام الله تعالى وتنزيلًا له على معانٍ لا يحتملها، فيكون من باب القول على الله بغير علم.

والمغالطة الثانية: دأبت جماعة الإخوان على ارتكابها؛ لما لمسته من

نجاحها في إقناع الجمهور بمشروعية وجودها ونشاطها، بل بضرورتهما، وتلكم هي الزعم بأن العمل الجماعي لخدمة الإسلام والدعوة إليه ضرورةٌ لا محيد عنها، تجد أدلتها في نصوص الشرع الحنيف، كما في المعقول، وتطورت بهم الحال حتى أنشؤوا ما سموه ب «الفقه الحركي» الذي زعموا أن أصوله وجذوره موجودةٌ في تراثنا الإسلامي، نصًّا واستنباطًا[1].

فمن المنقول احتجوا بمثل قوله تعالى ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ**﴾ [المائدة: 2]، وقوله تعالى ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ [آل عمران: 104]، وقوله تعالى ﴿**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ**﴾ [آل عمران: 146]، وقوله تعالى ﴿**قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ [يوسف: 108]، كما احتجوا بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي يحث فيها على الجماعة ويحذر فيها من الاختلاف والفرقة ومفارقة الجماعة[2].

---

1 انظر مثلا: الراشد، محمد أحمد، **المنطلق**، 1975، ص 143: فصل «أصول فقه العمل الجماعي عند السلف» 143، ثم ص 155: فصل «أصول فقه العمل الجماعي في صياغته الحديثة».

2 منها ما رواه مسلم وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عُمِّية، يغضب لعَصَبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل فقتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي بعهد ذي عهدها، فليس مني ولست منه». (**صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، رقم الحديث 1848، 1477/3)، وبأدنى تأملٍ يتضح أن هذه الأحاديث وأشباهها إنما وردت في الإمامة العامة، أي المعقودة للخليفة ومن في معناه، فعمد هؤلاء فزيفوا وكذبوا على الناس إذ أوهموهم أنها تنطبق على أمير الجماعة ومن سموه «إمامًا» و«مرشدًا»، وقد انجر عن هذا فتنة وضرر كبير، حيث جعلوا إمامهم المزعوم بمنزلة الإمام العام، ونزلوا عليه ما ورد من نصوص في الإمام العام، وذلك لعمر الحق من الغش للأمة والتغرير في الدين.

ومن المعقول، احتجوا قائلين: إن جهود الأفراد بالغةً ما بلغت تبقى محدودة الأثر، وأن الجماعة تنجز، في يسير من الوقت، ما لا يستقل الأفراد بإنجازه في طويل الأعمار، وإذن فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فوجب العمل الجماعي.

وتلكم خدعةٌ يحملون بها الناس على الإيمان بضرورة الالتحاق بهم، وليس صعبًا بالمرة كشف غلط استدلالهم بهذه النصوص على غرضهم. نعم، إن التبرير العقلي المذكور في كلامهم، أعلاه، صحيحٌ بلا شك، لكن المسكوت عنه، هو لبُّ المغالطة، وهو حمل الجماعة، وما في معناها، الواردة في النصوص على الجماعة التنظيمية التي ترادف «التنظيم» بالمعنى المعاصر، حيث التراتبية «الهايراركية» التي تقتضي ارتباطًا دائمًا، قائمًا على الطاعة التامة، مدفوعةً بروح التعصب والانتماء الضيق، الأمر الذي يشق المجتمع رأسيًّا، وذلكم بعيدٌ البعد كله مما دعا إليه القرآن وحثَّ عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من التعاون على البر والتقوى، والانحياز إلى الحق والبعد عن التعصب الذميم.

وبهذه الأخدوعة المغالطية أنابوا جماعتهم مناب الخلافة، ومرشدهم مناب الخليفة، وطالبوا الناس بحقوق ليست إلا للخلافة الشرعية، وللخليفة الشرعي، فاتسع الخرق على الراقع والفتق على الراتق، فإذا بهم في شق والوطن في شق، وها نحن أولاء نراهم

من يوم لفظهم الشعب المصري من سدة الحكم، لا يألون جهدًا في التحريض على مصر وجيشها الحامي لها، ويتربصون بها الدوائر، ثم إذا هم بين الحين والآخر، لا في مصر وحدها بل في بلاد كثيرة، منخرطون في أعمال تمردٍ وشغبٍ وترهيبٍ وتخريبٍ، كما رؤي ذلك مرات كثيرةٍ.

ولتقف على طرفٍ من تدميرية وفوضوية هذه اللعبة الخطرة، سل عما عساه يكون حين توجد عشرات الجماعات، تطالب كلٌّ منها لمرشدها بحقوق الخليفة؟ هل ننتظر إلا التصارع الجبار والاحتراب الدامي، وتمزيق الأمة شيعًا، وإغراء بعضها ببعضٍ، كل حزبٍ بما لديهم فرحون.

الركن الثالث: الأمة في مقابل الوطن

من المهم اللفت إلى أن جماعة البنا برزت إلى الوجود عام 1928، عشر سنوات، فقط بعد الثورة المجيدة، ثورة 1919 ضد الاحتلال الإنجليزي لمصر، وهو ما يلزمنا بإنعام النظر في موقف الجماعة من «الوطن».

وعلى الرغم من مراوغة حسن البنا وتدليسه بإظهار الاحتفاء بالوطن، إلا أنه يعود فينقض غزله أنكاثًا، حين يجعل حدود الوطن على غير ما تعارفت الأمم والدول كلها في عصرنا، وهي الحدود الجغرافية، بل يجعلها حدود العقيدة، وقد كتب في رسالة «دعوتنا» أولى رسائله، يقول:

«أما وجه الخلاف بيننا وبينهم فهو أننا نعتبر حدود الوطنية بالعقيدة، وهم يعتبرونها بالتخوم الأرضية والحدود الجغرافية، فكل بقعة فيها مسلم يقول «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وطن عندنا له حرمته وقداسته وحبه والإخلاص له والجهاد في سبيل خيره... ودعاة الوطنية فقط ليسوا كذلك، فلا يعنيهم إلا أمر تلك البقعة المحدودة الضيقة من رقعة الأرض».[1]

ومن ورائه كتب سيد قطب في معالمه:

1 **مجموعة رسائل حسن البنا**، ص 21.

«ولقد كان من النتائج الواقعية الباهرة للمنهج الإسلامي في هذه القضية، ولإقامة التجمع الإسلامي على آصرة العقيدة وحدها، دون أواصر الجنس والأرض واللون واللغة والمصالح الأرضية القريبة الحدود الإقليمية السخيفة! ولإبراز « خصائص الإنسان « في هذا التجمع وتنميتها وإعلائها، دون الصفات المشتركة بينه وبين الحيوان».[1]

إذن الحدود الإقليمية سخيفةٌ، ولا تصلح لتشكل آصرةً تجمع شركاء الوطن، لكنها العقيدة وحدها! بل عد قطب «الوطن» ضمن الآلهة الجديدة التي لا تسمع ولا تبصر، فكتب في الظلال:

«إن الناس يقيمون لهم اليوم آلهةً يسمونها «القوم» ويسمونها «الوطن» ويسمونها «الشعب» إلى آخر ما يسمون، وهي لا تعدو أن تكون أصنامًا غير مجسدةٍ، كالأصنام الساذجة التي كان يقيمها الوثنيون، ولا تعدو أن تكون آلهةً تشارك الله سبحانه في خلقه، وينذر لها الأبناء كما كانوا ينذرون للآلهة القديمة، ويضحون لها كالذبائح التي كانت تقدم في المعابد على نطاق واسع! إن الناس يعترفون بالله ربا، ولكنهم ينبذون أوامره وشرائعه من ورائهم ظهريًّا، بينما يجعلون أوامر هذه الآلهة ومطالبها «مقدسةً» تخالف في سبيلها أوامر الله وشرائعه، بل تنبذ نبذًا. فكيف تكون الآلهة؟ وكيف يكون الشرك؟ وكيف يكون نصيب الشركاء في الأبناء.. إن لم يكن هو هذا الذي

1 قطب, معالم في الطريق, ص52.

تزاولـه الجاهليـة الحديثـة!! ولقـد كانـت الجاهليـة القديمـة أكـثر أدبًـا مـع اللـه.. لقـد كانـت تتخـذ مـن دونـه آلهـة تقـدم لهـا هـذه التقدمـات مـن الـشرك في الأبنـاء والثـمار والذبائـح لتقـرب النـاس مـن اللـه زلفـى! فـكان اللـه في حسـها هـو الأعـلى. فأمـا الجاهليـة الحديثـة فهـي تجعـل الآلهـة الأخـرى أعـلى مـن اللـه عندهـا. فتقـدس مـا تأمـر بـه هـذه الآلهـة وتنبـذ مـا يأمـر بـه اللـه نبـذًا! إننـا نخـدع أنفسـنا حـين نقـف بالوثنيـة عنـد الشـكل السـاذج للأصنـام والآلهـة القديمـة، والشـعائر التـي كان النـاس يزاولونهـا في عبادتهـا واتخاذهـا شـفعاء عنـد اللـه.. إن شـكل الأصنـام والوثنيـة فقـط هـو الـذي تغـير، كـما أن الشـعائر هـي التـي تعقـدت، واتخـذت لهـا عنوانـات جديـدةٍ.. أمـا طبيعـة الـشرك وحقيقتـه فهـي القائمـة مـن وراء الأشـكال والشـعائر المتغـيرة.

وهـذا مـا ينبغـي ألا يخدعنـا عـن الحقيقـة! إن اللـه سـبحانه يأمـر بالعفـة والحشـمة والفضيلـة. ولكـن «الوطـن» أو «الإنتـاج» يأمـر بـأن تخـرج المـرأة وتتـبرج وتغـري وتعمـل مضيفـةً في الفنـادق في صـورة فتيـات الجيشـا في اليابـان الوثنيـة! فمـن الإلـه الـذي تتبـع أوامـره؟ أهـو اللـه سـبحانه؟ أم إنهـا الآلهـة المدَّعـاة؟

إن اللـه سـبحانه يأمـر أن تكـون رابطـة التجمـع هـي العقيـدة.. ولكن «القوميـة» أو «الوطـن» يأمـر باسـتبعاد العقيـدة مـن قاعـدة التجمـع وأن يكـون الجنـس أو القـوم هـو القاعـدة.. فمـن هـو الإلـه الـذي تتبـع

أوامـره؟ أهـو اللـه سـبحانه أم هـي الآلهـة المدعـاة؟![1]».

ثـم يقـول أيضًـا: «وإذا كانـت آلهـة العـرب السـاذجة لا تسـمع، وعيونهـا المصنوعـة مـن الخـرز أو الجوهـر تنظـر ولا تبـصر! فـإن بعـض الآلهـة الجديـدة كذلـك لا تسـمع ولا تبـصر.. الوطـن، والقـوم، والإنتـاج، والآلـة، وحتميـة التاريـخ! إلى آخـر تلـك الآلهـة المدعـاة في الجاهليـة الحديثـة![2]».

ولسـنا نـدري سر الرابطـة الضروريـة بـين «الوطـن» وبـين الـشرك ونبذ شرائـع اللـه وأسـس الأخـلاق والقيـم الفاضلـة، ولسـنا نفهـم لم يجـب أن تكـون العلاقـة بـين الوطـن وبـين الديـن علاقـة تعـارض لا علاقـة تطـاول؟

وبفـرض أن يكـون هـذا الـكلام أعلاه كتـب في زمن الاحتـلال الإنجليزي لمـصر فهـي إحـدى الكـبر، أو يكـون كتـب بعـد نيـل مـصر اسـتقلالها مباشرة فليـس هـذا مـا ينتظـره وطـنٌ وليـدٌ مـن أبنائـه، وطـنٌ لا يـزال في غـير مأمـنٍ مـن مكـر عـدوه وبغيـه الخبـال.

لا أحسـب أن مـن العسـير أن يـدرك المـرء الخطـورة المتفجـرة في مثـل هـذا التصويـر العاطفـي، الفضفـاض، العـازف بالباطـل عـلى وتـر الديـن، المسـتخف بالأوطـان وحرمتهـا، بـل المحـرض عليهـا، الحـاث بـكل قـوةٍ وحـماسٍ عـلى الكفـر بهـا والانخـلاع مـن حبهـا، والمبـدي

1 قطب، **في ظلال القرآن**، 1413/3.

2 **السابق**، 1417/3.

والمعيد في أن «شركها وجاهليتها» شر من «شرك الجاهلية الأولى»، إنه التصوير الذي سمح للمؤمنين به بالتواصل مع دولٍ أخرى غير دولتهم بذريعة الأمة الواحدة، وأفهمهم أن من يلتقي معهم في أيديولوجيتهم الإسلاموية، من أي بلدٍ كان، هو أقرب إليهم وأولى بهم من شركائهم في الوطن، ممن لا يشاركونهم أيديولوجيتهم، مسلمين كانوا، ومن باب أولى، غير مسلمين. وهو التصوير الذي سمح للمرشد السابع للجماعة محمد مهدي عاكف أن يصرح في حوار صحفي مع مجلة روزاليوسف عام 2006، في غير تردد أو تحرج، بأنه لا يرى أي بأس في أن يحكمه ماليزي، وفي لحظة انفعال صاح «طز في مصر، وأبو مصر، واللي في مصر»، وكرر العبارة ذاتها «طز في مصر» عام 2012 في حوار متلفز!

وهو التصوير الذي سمح لمحمود الزهار أن يشبه فلسطين بسواكٍ يتخلل به المرء، وأن مشروعهم أكبر من فلسطين.

ويكفي في الكشف عن مدى خطورة هذا التصوير، الذي قد لا يفطن بعض الناس إليه، أن نذكر بحقيقة استسهال المساومة على كل ما لا نعتقد أهميته البالغة، بل التخلي عنه حين تقتضي الظروف ذلك، وهو الموقف المقابل على طول الخط للروح الوطنية التي توجب على صاحبها التضحية بنفسه في سبيل الدفاع عن وطنه ﴿**قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا**﴾ [البقرة: 246].

قد يستبعد معظمنا أن يبلغ سوء تأثير هذا الفهم المختل لمكانة الوطن إلى حيث يستشعر المرء الإثم من جهاده وتضحيته في سبيل وطنه، لكن عضو الهيئة التأسيسية لجماعة الإخوان ومؤرخ الجماعة، والقائد الأول للنظام الخاص قبل السندي، محمود عبد الحليم، متحدثًا عن الفترة التي سبقت انخراطه في الجماعة، يعترف في كتابه بأن نفسه كانت تشمئز من الانتماء للتراب، واتخاذ مصر إلها تقدم له القرابين[1] - وهي، كما ترى: عبارات سيد قطب - ثم يحدثنا عما كان منه أثناء مشاركته في تظاهرات كوبري عباس ضد الإنجليز سنة 1946، التظاهرات التي خلدها العالم فجعلها «ذكرى يوم الطالب العالمي»:

ودنوت لحظةً من بعض الزملاء، ودوي الرصاص يصم آذاننا، وهنا تمثلت صورة لي وقد أصبت وتضرجت بدمائي وقابلت ربي، فماذا أقول له حين يسألني: في سبيل ماذا قتلت؟ سأقول له: في سبيل دستور 1923، أهو الدستور الذي أنزله الله ليحكم هذا العالم؟ هل هو الدستور الذي قال الله في شأنه ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة: 44][2].

ولَمَ نذهب بعيدًا، وقد شهد التاريخ القريب، وفي غير مرةٍ، أن المؤمنين بهذا الفكر المسموم خبوا وأوضعوا في زعزعة أمن بلادهم بشتى الوسائل

1 عبد الحليم، **الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ**، ص 36.

2 **السابق**، ص 46.

بما فيها الإرهاب وسفك الدماء المعصومة وترويع الآمنين

ثم إن من يجيل النظر في أحوال العالم الإسلامي، سواءً في زمننا هذا، أم عبر أزمان خلت، يجد أن كل دولةٍ مسلمةٍ تجتهد في توفير أمنها وتحقيق مصالحها، غير عابئةٍ في بعض الأحوال، أو غالبها، بمصالح الدول المسلمة الأخرى، واعتبر هذا بالنظر في حال تركيا اليوم، وإيران، وماليزيا، وباكستان، وكيف تورطت بعضها في التآمر على دولٍ مسلمةٍ عربيةٍ، وزعزعة استقرارها والعبث بأمنها، في الوقت الذي تجد الإسلاميين يمحضون هذه الدول، المتآمرة ببلادهم، ولاءهم، ويصدقونها ودهم، وما سوغ هذا الموقف الخسيس النذل إلا ذلك التصوير الضال والفهم الخائن.

ولضيق الوقت، لن نخوض في إبطال هذا الفهم الخؤون، فبطلانه لا يعمى إلا على عريقٍ في العمى والبلادة، ولكن يكفي أن نحيل على صحيفة المدينة التي أرست مفهوم «الأمة المواطنية» فأوجبت لشركاء الوطن من الحقوق ورتبت عليهم من الواجبات أقدارًا متكافئةً من غير اعتبار لاختلاف الدين والمعتقد. ومن المثير للغاية أن القرآن العظيم نفسه منح شريك الوطن غير المسلم من حقِّ الحماية والدفاع عنه ما لم يمنح مثله للمسلم غير «المواطن» وذلك في قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ**

يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: 72].

قال الطبري: «يعني بقوله تعالى ذكرُه: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾ باللَّهِ ورسولِه ﴿**وَلَمْ يُهَاجِرُوا**﴾ قومَهم الكفارَ، ولم يُفارِقوا دارَ الكفرِ إلى دارِ الإسلامِ، ﴿مَا لَكُمْ﴾ أيُّها المؤمنون باللَّهِ ورسولِه المهاجرون قومَهم المشركين وأرضَ الحربِ ﴿**مِنْ وَلَايَتِهِمْ**﴾ يعني: من نُصرتهم وميراثِهم، وقد ذكَرتُ قولَ بعضِ من قال: معنى الوَلايةِ ههنا الميراثُ... ﴿مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ قومَهم ودورَهم من دارِ الحربِ إلى دارِ الإسلامِ ﴿**وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ**﴾ يقولُ: إن استنصركم هؤلاء الذين آمنوا، ولم يُهاجروا ﴿**فِي الدِّينِ**﴾ يعنى: بأنهم من أهلِ دينِكم على أعدائِكم وأعدائِهم من المشركين، فعليكم أيُّها المؤمنون من المهاجرين والأنصار النصرُ، إلا أن يَستَنصروكم ﴿**عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ**﴾ يعني: عهدٌ قد وثَّق به بعضُكم على بعضٍ أن لا يحارِبَه ﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ يقولُ: واللَّهُ بما تعمَلون فيما أمَرَكم ونهاكم من وَلايةِ بعضِكم بعضًا أيُّها المهاجرون والأنصارُ، وتركِ وَلايةِ من آمن ولم يُهاجِرْ، ونُصْرتِكم إياهم عندَ استنصارِكم في الدين، وغير ذلك من فرائضِ اللَّهِ التي فَرَضَها عليكم ﴿**بَصِيرٌ**﴾ يراه ويبصرُه، فلا يخفَى عليه من ذلك ولا من غيرِه شيءٌ».[1]

1 الطبري، **جامع البيان**، 11/293-294.

وأخيرًا، كيف يراد إفهام المسلم أن الإسلام لا يقر وحدةً كالوطن في الوقت الذي اعتد بوحدات أدنى وأقل خطرًا، كالقبيلة، فالإسلام لم يقصد قط إلى إلغاء البنى الاجتماعية الوسيطة، بل عمل على توظيفها لصالح البنية الأوسع، وهي الدولة أو الوطن، ومعلومٌ أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يَدْعُ أصحابه إلى الانخلاع من ولائهم لقبائلهم، بذريعة توحيد الولاء للدين وحده، فما من عائق يعوق وقوع الولاءين في طول بعضهما، بل قال صلى الله عليه وسلم: «خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم»[1]، وهو صلى الله عليه وسلم القائل: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»[2]، وقد حفظت لنا سيرته العطرة كيف كان عليه الصلاة والسلام يعقد لكل قبيلةٍ رايةً، وكانت رايته هي الراية الأم، وكانت سوداء، وكان لواؤه أبيض، كما روى الترمذي عن ابن عباس[3].

والخلاصة أنه كما أن الوطن لا يلغي ما دونه من وحدات أو روابط، كوحدة القبيلة ورابطة الدم، فكذلك لا تلغي الأمة، بأوسع

1 **سنن أبي داود**، أول كتاب الأدب، باب في العصبية، رقم الحديث 5119، 440/7. والحديث ضعيف، لكن يشهد لمعناه مثل قوله تعالى ﴿**وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ**﴾ [الأنفال: 75]، وكل الآيات الموصية بذوي القربى والحاثة على وصلهم.

2 **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب من صف أصحابه عند الهزيمة ونزل عن دابته واستنصر، رقم الحديث 2930، 43/4.

3 **سنن الترمذي**، أول كتاب الجهاد، باب في الرايات والألوية، رقم الحديث 2591، 235/4، واللواء هو ما يعقد في طرف الرمح ويلوى عليه، ويقال له أيضًا «العلم» وقيل: سمي لواء لأنه يلوي لكبره فلا ينشر إلا عند الحاجة، ويكون علامة على محل أمير الجيش، يدور معه حيث دار، أما الراية فهي التي تدفع إلى الجيش، وتعقد في الرمح أو السارية وتترك حتى تصفقها الرياح.

مصداق لها متمثل في المسلمين جميعًا، وحدة الوطن، وكما أن من السخف والعبث أن يُخَفَّض من قيمة رابطة الدم ومن الوحدة القبلية باسم الوطن، إذ لا تعارض بتة بين هذه الوحدات، فإن من السخف أيضًا والعبث أن يُزَهَّد في توقير الأوطان ويخفض من اعتبارها باسم الولاء للأمة.

الفصل الثاني

وسائل جماعة الإخوان المسلمين في تحقيق أهدافها

الفصل الثاني

وسائل جماعة الإخوان المسلمين في تحقيق أهدافها

وهنا نستعرض الأساليب والوسائل التي توسلتها الجماعة في تحقيق أهدافها الحقيقية لا المدعاة أنها إسلامية.

الوسيلة الأولى: التنظيم التراتبي الصارم

لسنا في حاجةٍ إلى التذكير بأن التعاون على الخير، المدعو إليه كل مسلم ومسلمة، كلٌّ بحسبه، ووفق ما يقدر ويُحسن، لا علاقة له بالتنظيم الحزبي التراتبي، الخاضع في كل حالة للوائح الداخلية المعمول بها في التنظيم، والحامل للمنخرط في التنظيم على جعل ولائه وانحيازه للتنظيم، والناجم عنه المنافسة على المناصب، والمنازعة عليها، وبالتالي بروز الإحن والعداوات، وما ينجر عنها في معظم الحالات، من وقوع الانقسامات، وولادة تنظيمات جديدة، قد يبلغ الصراع بينها حدًّا دمويًّا استباحيًّا، وهو ما خبرته جماعة الإخوان المسلمون[1].

هذا، فضلًا عما تتعرض له مثل هذه التنظيمات «الدينية

1 راجع واقعة اغتيال التنظيم الخاص للجماعة سيد فايز، أحد قيادات هذا التنظيم لما وقعت الفرقة بينهم، وللوقوف على نماذج من المنازعات الداخلية، حتى في أيام البنا نفسه، والانشقاقات، انظر مثلًا في كتاب: عشماوي، علي، **التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين**، وانظر أيضًا: ماهر، محمد، **حركة الإخوان المسلمين: عرض ونقد.**

المسيسة» من اختراقات من قوى وأطراف لها أغراضها الخاصة في النيل من الدين وتوظيفه في مآرب خسيسةٍ أبعد ما تكون عن قدسيته ورحمانيته، من بينها، مثلا، الماسونية[1].

ثم إن ثمة شواهد ومؤشرات على تشابهٍ بين تنظيم حسن البنا وتنظيم حسن الصباح قديمًا، والماسونية حديثًا، من الضروري توسيع البحث حولها بشكل علميٍّ توثيقيٍّ.

وفي حوار سليمان الحكيم مع المستشار الدمرداش زكي العقالي[2]

1 للوقوف على شيء من التفاصيل حول علاقة الماسونية بجماعة الإخوان، انظر كتاب: الغزالي، محمد، **من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث**، دار الكتب الحديثة، ط2، 1963، ص. ص 260-264، وكتاب: عشماوي، **التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين**، بدءًا من ص 66: وهو يروي عن سيد قطب نفسه كيف اخترقت الماسونية الجماعة، ففي ص 81 ذكر أن البنا كان يعلم أن الجماعة مستهدفة من الخارج من القوى المعادية للإسلام، وأنهم أدخلوا إليها بعض أعضائهم، أو جندوا من داخلها أفرادًا يعملون لصالحهم، على سبيل المثال ذكر أن الدكتور محمد خميس حميدة كان ماسونيًّا بدرجةٍ عاليةٍ من الماسونية، وقد وصل إلى أن أصبح وكيل عام الجماعة، وأن الحاج حلمي المنياوي كان ممثلًا للمخابرات الإنجليزية داخل الجماعة، ثم ذكر في ص 82 أن قطب صرح بأنه بعد اختفاء حسن البنا، لم يكن أحد غيره يعلم بوجود هؤلاء الناس الذين يعملون للقوة المعادية داخل الجماعة، وانظر أيضًا كتاب: أبو علبة، عبدالرحيم، **ماسونية حسن البنا في نشأته ودعوته**، وكذلك كتاب: الدسوقي، وائل، **الماسونية والماسون في مصر**، وكتاب الغمري، عاطف، **الإخوان الماسون: وثائق الارتباط بين الجماعة والماسونية العالمية**.

2 الدمرداش زكي مرسي العقالي (ت: 2019 م) مستشارٌ بمحكمة استئناف القاهرة، ومستشارٌ سابقٌ للرئيس المصري حسني مبارك، ومستشارٌ سابقٌ للملك فهد بن عبد العزيز. تزوج من د. آمنة نصير أستاذ العقيدة والفلسفة بالأزهر، ثم افترقا بعد ذلك. انضم في شبابه إلى جماعة الإخوان وكان عضوًا في التنظيم الخاص، وزعيم الطلبة الإخوان في الجامعة، ثم ترك الجماعة. وتحول في آخر حياته إلى المذهب الشيعي.

يـروي الأخـير كيـف أن صديقـه سـيد قطـب[1]، وذلـك قبـل انخراطـه في صفـوف الإخـوان، كان إذا جـاء إلى قريتـه «مـوشى» والتقـى مـع ابـن أختـه، الإخـواني أحمـد محمـد مـوسى وهـو شـقيق د. آمنـة نصـير، ومـع أحمـد عـددٌ كبـيرٌ مـن رفاقـه أتبـاع حسـن البنـا، كان سـيد يكـثر مـن سـباب حسـن البنـا أمامهـم، وفي بعـض المـرات سـمعته، يقـول العقـالي، يسـأل ابـن أختـه هـذا: مـاذا فعـل بـك «حسـن الصبـاح» وجماعـة الحشاشـين؟ كان سـيد قطـب كثـيرًا مـا يعقـد مقارنـات بـين جماعـة الإخـوان المسـلمين، وجماعـة الحشاشـين الشـهيرة التـي كان يتزعمهـم «حسـن الصبـاح» والـذي كان سـيد قطـب يـرى، في ذلـك الوقـت مـن أواسـط الأربعينـات، شـبهًا كبـيرًا بينـه وبـين حسـن البنـا زعيـم الإخـوان المسـلمين، فـكان ابـن أختـه حـين يسـمع خالـه سـيد قطـب يقـول ذلـك عـن جماعتـه وزعيمهـا يدخـل في شـجار عنيـف معـه، لم يكـن ينتهـي إلا بتدخلنـا لإنهائـه[2].

1 كان بـين العقـالي وسـيد قطـب صداقـة مـن الطفولـة، بحكـم انتمائهـما إلى البلـدة نفسـها وهي أسـيوط، وقـد انتمـى العقـالي إلى الإخـوان قبـل قطب، ومـن جهة أخرى كان قطـب خال زوج المستشـار العقالي د. آمنـة نصـير. انظـر: الحكيـم، سـليمان، **أسرار العلاقة الخاصـة بين عبدالنـاصر والإخوان المسـلمين**، ومطلع الكتـاب عبـارة عن تحقيـقٍ توثيقـيٍّ لاعترافـات العقالي.

2 الحكيـم، سـليمان، **أسرار العلاقـة الخاصـة بـين عبدالنـاصر والإخـوان المسـلمين**، مركـز الحضـارة العربيـة للإعـلام والنـشر، القاهـرة، 1996، ص 48.

ومـن المثـير للغايـة أن يقـر عبـد العزيـز كامـل[1] في مذكراتـه بهـذه الحقيقـة المقلقـة، فيكتـب:

بـل تسـتطيع القـول: إن هـذا الأسـلوب كان أقـرب إلى النظام الماسـوني أو الجماعـات السريـة التـي أفرزتهـا عهـود التآمـر منهـا إلى عهـود الصفـاء والنقـاء الإسـلامي الأول.[2]

وقـد أكـد هـذه الواقعـة سـكرتير حسـن البنـا د. محمـود عسـاف، حيـث كتـب يقـول:

في يـوم مـن أيـام 1944 دعيـت أنـا والمرحـوم الدكتـور عبـد العزيـز كامـل لـكي نـؤدي بيعـة النظـام الخـاص... دخلنـا في غرفـة معتمـة يجلـس فيهـا شـخص غـير واضـح المعـالم، بيـد أن صوتـه معـروف هـو صـوت صالـح عشـماوي، وأمامـه منضـدة منخفضـة الأرجـل، وهـو جالـس أمامهـا متربعًـا، وعـلى المنضـدة مصحـف ومسـدس، وطلـب مـن كل منـا أن يضـع يـده اليمنـى عـلى المصحـف والمسـدس، ويـؤدي البيعـة بالطاعـة للنظـام الخـاص، والعمـل عـلى نـصرة الدعـوة الإسـلامية. كان هـذا موقفًـا يبعـث

1 عبـد العزيـز كامـل (1919-1991) حاصـل عـلى الدكتـوراه في الجغرافيـا البشريـة، اتصـل بحسـن البنـا وانضـم إلى جماعتـه في عـام 1936، وكان عضـوًا في التنظيـم الخـاص للجماعـة، كـما كان عضـو مكتـب الارشـاد، اعتقـل في 1948 بعـد حـل الجماعـة، كـما اعتقـل في عـام 1954 بعـد حادثـة المنشـية، وبعـد خروجـه مـن السـجن الحـربي تغـير منهجـه وفكـره وأصبـح مقربًـا مـن عبـد النـاصر، وتـولى منصـب وزيـر الأوقـاف. نـشر مذكراتـه تحـت عنـوان **في نهـر الحيـاة**، والـذي ضمنـه بعـض التفاصيـل الحساسـة عـن جماعـة الإخـوان.

2 كامل، عبدالعزيز، **في نهر الحياة**، المكتب المصري الحديث، 2006، ص 58.

عـلى الرهبـة، وخرجنـا سـويًّا إلى ضـوء الطريـق، ويـكاد كلٌّ منـا يكتـم غيظـه، قـال عبـد العزيـز كامـل: هـذه تشـبه الطقـوس السريـة التـي تتسـم بهـا الحـركات السريـة، كالماسـونية والبهائيـة.[1]

وهـا هـو عصـام تليمـة، أحـد الإخـوان المعاصريـن، في مقالـةٍ لـه، يعـترف هـو الآخـر بـأن حسـن البنـا اسـتفاد مـن تشـكيلات الشـيوعيين وغـير الإسـلاميين في تشـكيلات الإخـوان المسـلمين، وهـي نظـام السـر في الإخـوان، والخلايـا في الشـيوعيين، واسـتفاد مـن تجربـة النظـام الخـاص مـن بقيـة الأحـزاب المصريـة في هـذا الوقـت.[2]

إلى ذلـك، هنـاك سـمةٌ لا تخطئهـا العـين في مثـل هـذه التنظيـمات، وهـي «السريـة» بحيـث إن مـن كبـار أعضائهـا مـن يكـون مغيبًـا عـن أسرار وتدبـيرات، قـد تكـون بالغـة الأهميـة والخطـر، مثـل الـذي اتفـق للشـيخ أحمـد حسـن الباقـوري، وهـو مـن هـو، فقـد كان وكيـل المرشـد حسـن البنـا، حـين اكتشـف وجـود تنظيـمٍ سريٍّ خطِـرٍ أنشـأه البنـا نفسـه، فشـعر بحنـقٍ شـديدٍ عـلى البنـا حـين استشـعر أنـه كان يسـتغله أو لا يمنحـه الثقـة التـي كان يـرى أنـه جديـرٌ بهـا كوكيـلٍ لـه.[3]

ومبنـى الديـن عـلى الوضـوح والعلانيـة وانعـدام المسـافة بـين الباطـن

1 عساف، محمود، **مع الإمام الشهيد حسن البنا**، مكتبة عين شمس، القاهرة، 1993، ص 154.

2 تليمـة، عصـام، «الإخـوان وحـل التنظيـم»، مقـال منشـور في **الوسـط التونسـية**، بتاريـخ 8 مـن فبرايـر 2008. مـع اللفـت إلى ركاكـة التعبـير وعـدم دقتـه.

3 الحكيم، **أسرار العلاقة الخاصة بين عبدالناصر والإخوان المسلمين**، ص. ص 17-18.

والظاهـر، وكانـت الباطنيـة والاسـتخفائية، عـبر تاريخنـا، مـن نصيـب الجماعـات المنحرفـة، والمتزندقـة، وقـد روى أبـو داود وغـيره بسـند صحيـح عـلى شرط مسـلم، عـن سـعد بـن أبي وقـاص قـال: لمـا كان يـوم فتـح مكـة، أمَّـنَ رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم النـاس، إلا أربعـة نفـر وامرأتـين، وسـماهم وذكـر منهـم ابـن أبي سرح قـال سـعد: وأمـا ابـن أبي سرح فإنـه اختبـأ عنـد عثـمان بـن عفـان، فلـما دعـا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم النـاس إلى البيعـة جـاء بـه، حتـى أوقفـه عـلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فقـال: يـا نبـي اللـه، بايـع عبـد اللـه، فرفـع رأسـه فنظـر إليـه ثلاثًـا، كل ذلـك يـأبى، فبايعـه بعـد ثـلاثٍ، ثـم أقبـل صـلى اللـه عليـه وسـلم عـلى أصحابـه فقـال: «أمـا كان فيكـم رجـلٌ رشـيدٌ، يقـوم إلى هـذا حيـث رآني كففـت يـدي عـن بيعتـه فيقتلـه؟»، فقالـوا: مـا نـدري يـا رسـول اللـه مـا في نفسـك، ألا أومـأت إلينـا بعينـك؟ قـال: إنـه لا ينبغـي لنبـيٍّ أن تكـون لـه خائنـة الأعـين.[1]

كـما روى أبـو داود والترمـذي وابـن ماجـه عـن أنـس رضي اللـه عنـه قـال: غـزوت مـع رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم حنينًـا، فخـرج المشركـون، فحملـوا علينـا، حتـى رأينـا خيلنـا وراء ظهورنـا، وفي القـوم رجـلٌ يحمـل علينـا، فيدقنـا ويحطمنـا، فهزمهـم اللـه، وجعـل يجـاء بهـم فيبايعونـه عـلى الإسـلام. فقـال رجـلٌ مـن أصحـاب النبـي صـلى اللـه عليـه

1 **سنن أبي داود**، أول كتاب الحدود، باب الحكم فيمن ارتد، رقم الحديث 4359، 414/6.

وسلم: إن عليَّ نذرًا إن جاء الله بالرجل الذي كان منذ اليوم يحطمنا لأضربن عنقه، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجيء بالرجل فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: يا رسول الله تبتُ إلى الله، فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبايعه ليفي الآخر بنذره، قال: فجعل الرجل يتصدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليأمره بقتله، وجعل يهابُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يقتله - أي من غير إذن من رسول الله - فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه - أي الناذر - لا يصنع شيئًا بايعه. فقال الرجل: يا رسول الله، نذري؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «إني لم أمسك عنه منذ اليوم إلا لتوفي بنذرك»، فقال الناذر: يا رسول الله، ألا أومضت إليّ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنه ليس لنبي أن يومض».[1]

ففي ديننا العظيم من الخيانة أن يومئ مسلمٌ بعينه في غفلةٍ من الشخص المعني، حتى لو كان مستحقًّا لعقوبةٍ بجرمٍ عظيمٍ أتاه، فما بالك بتنظيمٍ بقضه وقضيضه قائمٍ على السرية والتقية والاختداع والخيانة؟

وما كان أحكم عمر بن عبد العزيز وأصوبه حين قال: إذا رأيتَ

1 **سنن أبي داود**، أول كتاب الجنائز، باب أين يقوم الإمام من الميت إذا صلى عليه، رقم الحديث 3194، 103/5، وفيه قصة. والإيماض هو الرمز بالعين، والإيماء بها، ومنه وميض البرق، وهو لمعانه.

قومًا يتناجون في دينهم بشيء دون العامّةِ فاعلم أنهم على تأسيس ضلالةٍ.[1]

وإذا كان أمر التنظيم الديني المسيس بهذه المثابة من الخطورة والمجازفة، فما الذي يحمل «داعيةً» إلى الدين على التورط فيه واصطناعه؟ إنها الرغبة في استتباع الناس وتطويعهم لرأيه وهواه، بحيث يستحيلون أدوات طيعة، قلَّ أن تُحَكِّمَ عقلًا، أو تحتكم إلى ضميرٍ، يخوض بهم معاركه، التي قد تنتهي بهم إلى هلاك الدنيا وخسار الآخرة.

ومن شك في صحة هذا الجواب، فلينظر فيما يلي من سائر الوسائل التي تتوسلها هذه التنظيمات المريبة، فلا يعود يرتاب في صحته.

1 اللالكائي، أبو القاسم، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، تحقيق أحمد الغامدي، دار طيبة، السعودية، ط 8، 2003، 153/1، وابن عبدالبر، يوسف، **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق أبو الأشبال الزهيري، 1994، 932/2، والأصبهاني، إسماعيل، **الترغيب والترهيب**، تحقيق أيمن صالح، دار الحديث، القاهرة، 1993، 531/1.

الوسيلة الثانية: الحصرية واحتكار الدين

نبدأ هنا بعرض نماذج صاعقةٍ من كلام البنا وأتباعه، مما لوحوا فيه وصرحوا باحتكار الفهم الصحيح للإسلام، وأن كل فهمٍ لا يتطابق معه باطلٌ لا صلة له بالإسلام! وذلك وجهٌ جديدٌ يفسر حقيقة تناسل جماعات التكفير والعنف الإرهابي من هذه الجماعة التي استبدت بها النزعة الحصرية، وصرعها عجبها وغرورها، فأحدثت في الأمة فسادًا عظيمًا لا تزال تكابد آثاره، في غير ناحيةٍ، إلى يوم الناس هذا. ثم نعقب بمقارنة هذه الروحية بما كان عليه سلفنا الصالح، الصحابة فمن تلا، من تواضع فكري، وسعة صدر في التعامل مع الفهوم المختلفة.

- **حسن البنّـــا:**

لقد نهج حسن البنا لنفسه، وأتباعه، نهجًا غير نهج السلف البين المستقيم، فكان يعد فهمه للإسلام هو وحده، دونًا عن سائر فهوم معاصريه من كبار العلماء، هو الفهم الصحيح الذي يعادل الإسلام نفسه، ويطابق فهم النبي من غير أدنى فرقٍ أو فاصلةٍ، وبالتالي عدَّ - بكل طمأنينة - كل من لم ينضو تحت لوائه في جماعته: أذنابًا لا قيمة لهم... إما ثاروا وإما غاروا. وفي نهجه المضلل هذا سار خلفاؤه وسار أتباعه، ولا يزالون.

ودونك نماذج من كلامه تشهد لما نقول:

قال حسن البنا في رسالة المؤتمر الخامس: «على أن التجارب في الماضي والحاضر قد أثبتت أنه لا خير إلا في طريقكم، ولا إنتاج إلا في خطتكم، ولا صواب إلا فيما تعملون.»[1]

وفي رسالة المؤتمر السادس، المنعقد في يناير 1941، والتي استهلها بعنوان «من هم الإخوان المسلمون» كتب: فاذكروا جيدًا أيها الإخوة أنكم الغرباء الذين يصلحون عند فساد الناس، وأنكم العقل الجديد الذي يريد الله أن يفرق به للإنسانية بين الحق والباطل في وقت التبس عليها فيه الحق بالباطل، وأنكم دعاة الإسلام، وحملة القرآن، وصلة الأرض بالسماء، وورثة محمد صلى الله عليه وسلم، وخلفاء صحابته من بعده، وبهذا فضلت دعوتكم الدعوات، وسمت غايتكم على الغايات، واستندتم إلى ركن شديد، واستمسكتم بعروة وثقى لا انفصام لها، وأخذتم بنور مبين، وقد التبست على الناس المسالك وضلوا سواء السبيل ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ [يوسف: 21].

ثم تحت عنوان «فهم» كتب: واذكروا جيدا أيها الإخوان أن الله قد من عليكم، ففهمتم الإسلام فهمًا نقيًّا صافيًا، سهلًا شاملًا، كافيًا وافيًا، يساير العصور ويفي بحاجات الأمم، ويجلب السعادة للناس... وعرفتموه على وجهه: عقيدة وعبادة، ووطن وجنس، وخلق ومادة، وسماحة وقوة، وثقافة وقانون، واعتقدتموه على حقيقته: دين ودولة، وحكومة وأمة، ومصحف وسيف، وخلافة من الله للمسلمين في أمم الأرض أجمعين

1 **مجموعة رسائل حسن البنا**، ص 127.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]... واذكروا جيدًا أيها الإخوة أن دعوتكم أعف الدعوات، وأن جماعتكم أشرف الجماعات...

اذكروا هذا جيدًا، أيها الإخوان، لا للفخر ولا للمباهاة، ولكن لتعلموا أن الله قد كتب لدعوتكم من الإيمان والإخلاص والفهم والوحدة والتأييد والتضحية ما لم يكتبه لكثيرٍ من الدعوات الرائجة السوق، العالية البوق، الفخمة المظاهر.[1]

وختم البنا رسالة «الإخوان المسلمون تحت راية القرآن» بالقول: نحن أيها الناس، ولا فخر، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحملة رايته من بعده، ورافعو لوائه كما رفعوه، وناشرو لوائه كما نشروه، وحافظوا قرآنه كما حفظوه، والمبشرون بدعوته كما بشروا، ورحمة الله للعالمين ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص 88]. أيها الإخوان المسلمون: هذه منزلتكم فلا تصغروا في أنفسكم، فتقيسوا أنفسكم بغيركم، أو تسلكوا في دعوتكم سبيلًا غير سبيل المؤمنين، أو توازنوا بين دعوتكم التي تتخذ نورها من نور الله، ومنهاجها من سنة رسوله، بغيرها من الدعوات التي تبررها الضرورات، وتذهب بها الحوادث والأيام... فمن تبعنا الآن فقد فاز بالسبق، ومن تقاعد عنا من المخلصين اليوم

1 **مجموعة رسائل حسن البنا**، ص. ص 201-204.

فسيلحق بنا غدًا، وللسابق عليه الفضل[1]، ومن رغب عن دعوتنا زهادةً، أو سخريةً بها، أو استصغارًا لها، أو يائسًا من انتصارها[2]، فستثبت له الأيام عظيم خطئه، وسيقذف الله بحقنا على باطله، فيدمغه فغذا هو زاهقٌ. فإلينا أيها المؤمنون العاملون، والمجاهدون المخلصون، فهنا الطريق السوي، والصراط المستقيم، ولا توزعوا القوى والجهود ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153].[3]

فهل يُستغرب بعد ذلك أن ينظر البنا إلى فهمه على أنه ميزان الحق، لا حق إلا ما وافقه، وكل ما خالف باطلٌ وضلالٌ، فلننظر ماذا كتب الرجل المعجب برأيه المدل بفهمه، في رسالة «دعوتنا» تحت عنوان «موقفنا من الدعوات»: حيث يقول: «موقفنا من الدعوات المختلفة التي طغت في هذا العصر، ففرقت القلوب، وبلبلت الأفكار، أن نزنها بميزان دعوتنا، فما وافقها فمرحبًا، وما خالفها فنحن برآء منه، ونحن مؤمنون بأن دعوتنا عامةٌ محيطةٌ، لا تغادر جزءًا صالحًا من أية دعوة إلا ألمت به، وأشارت إليه.»[4]

1 إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: 10].

2 مرة أخرى نحن إزاء قسمة رباعية، مع التعامي التام عن قسم خامس ممثلٍ في مؤمنٍ صادقٍ لا يرى ما يراه البنا، وله فهم مختلفٌ.

3 رسالة «الإخوان المسلمون تحت راية القرآن»، ضمن **مجموع رسائل البنا**، ص 198.

4 **مجموعة رسائل البنا**، ص 19.

وفي رسالة دعوتنا، تحت عنوان «براءة» كتب البنا: «ويجب مع هذا أن يعلم قومنا، وكل المسلمين قومنا، أن دعوة الإخوان المسلمين دعوةٌ بريئةٌ نزيهةٌ، قد تسامت في نزاهتها حتى جاوزت الأطماع الشخصية، واحتقرت المنافع المادية وخلفت وراءها الأهواء والأغراض، ومضت قدمًا في الطريق التي رسمها الحق تبارك وتعالى للداعين إليه ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108].» [1]

ثم تحت عنوان «أصنافٌ أربعةٌ» من الرسالة نفسها، قال: وكل الذي نريده من الناس أن يكونوا أمامنا واحدًا من أربعةٍ:

1. مؤمن

إما شخصٌ آمن بدعوتنا وصدق بقولنا وأعجب بمبادئنا، ورأى فيها خيرًا اطمأنت إليه نفسه، وسكن له فؤاده، فهذا ندعوه أن يبادر بالانضمام إلينا والعمل معنا حتى يكثر به عدد المجاهدين ويعلو بصوته صوت الداعين، ولا معنى لإيمان لا يتبعه عمل، ولا فائدة في عقيدة لا تدفع صاحبها إلى تحقيقها والتضحية في سبيلها...

2. متردد

وإما شخصٌ لم يستبن وجه الحق، ولم يتعرف في قولنا معنى الإخلاص والفائدة، فهذا نتركه لتردده ونوصيه بأن يتصل بنا عن

1 **مجموعة رسائل البنا**، ص 13.

كثبٍ، ويقرأ عنا من قريبٍ أو بعيدٍ، ويطالع كتاباتنا ويزور أنديتنا ويتعرف إلى إخواننا، فسيطمئن بعد ذلك لنا إن شاء الله، وكذلك كان شأن المترددين من أتباع الرسل من قبل!!

3. نفعي

وإما شخصٌ لا يريد أن يبذل معونته إلا إذا عرف ما يعود عليه من فائدة، وما يجره هذا البذل له من مغنمٍ...فالله غنيٌّ عمن لا يرى لله الحق الأول في نفسه وماله ودنياه وآخرته وموته وحياته، وكذلك كان شأن قومٍ من أشباهه حين أبوا مبايعة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يجعل لهم الأمر من بعده، فما كان جوابه صلى الله عليه وسلم إلا أن أعلمهم أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.[1]

4. متحامل

وإما شخصٌ أساء فينا ظنه، وأحاطت بنا شكوكه، فهو لا يرانا

1 ورد في سيرة ابن هشام: وَقَدْ كَانَ مُسَيْلِمَةُ بْنُ حَبِيبٍ، قَدْ كَتَبَ إلى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مِنْ مُسَيْلِمَةَ رَسُولِ اللَّهِ، إلى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ: سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ أُشْرِكْتُ فِي الْأَمْرِ مَعَكَ، وَإِنَّ لَنَا نِصْفَ الْأَرْضِ، وَلِقُرَيْشٍ نِصْفَ الْأَرْضِ، وَلَكِنَّ قُرَيْشًا قَوْمٌ يَعْتَدُونَ. فَقَدِمَ عَلَيْهِ رَسُولَانِ لَهُ بِهَذَا الْكِتَابِ. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ أَشْجَعَ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُعَيْمِ بْنِ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيِّ، عَنْ أَبِيهِ نُعَيْمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ لَهُمَا حِينَ قَرَأَ كِتَابَهُ: فَمَا تَقُولَانِ أَنْتُمَا؟ قَالَا: نَقُولُ كَمَا قَالَ، فَقَالَ: أَمَا وَاَللَّهِ لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا. ثُمَّ كَتَبَ إلى مُسَيْلِمَةَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، إلى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ: السَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورَثُهَا مَنْ يُشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. وَذَلِكَ فِي آخِرِ سَنَةِ عَشْرٍ. (ابن هشام، عبدالملك، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ط 2، 1955، 2/600-601). ويذكرنا صنيع البنا هذا بما علق البخاري في صحيحه، ووصله الطبري، قول ابن عمر في وصف الخوارج: أنه كان يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار، فجعلوها على المؤمنين. (انظر: **صحيح البخاري**: 16/9).

إلا بالمنظار الأسود القاتم، ولا يتحدث عنا إلا بلسان المتحرج المتشكك، ويأبى إلا أن يلج في غروره، ويسدر في شكوكه، ويظل مع أوهامه، فهذا ندعو الله لنا وله أن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، وأن يلهمنا وإياه الرشد، ندعوه إن قبل الدعاء، ونناديه إن أجاب النداء، وندعو الله فيه، وهو أهل الرجاء، ولقد أنزل الله على نبيه الكريم في صنف من الناس ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾ [القصص 56]، وهذا سنظل نحبه ونرجو فيأه إلينا واقتناعه بدعوتنا، وإنما شعارنا معه ما أرشدنا إليه المصطفى صلى الله عليه وسلم من قبل: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون!

نحب أن يكون الناس معنا واحدًا من هؤلاء، وقد حان الوقت الذي يجب فيه على المسلم أن يدرك غايته، ويحدد وجهته، ويعمل لهذه الوجهة، حتى يصل إلى غايته المنشودة، أما تلك الغفلة السادرة والخطرات اللاهية والقلوب الساهية والانصياع الأعمى واتباع كل ناعقٍ فما هو من سبيل المؤمنين في شيءٍ.[1]

عجبت لمثل هذا المنطق الجائر، فهو أولًا لا ينطلق من ملاحظة الواقع ثم التعليق عليه، بل ينطلق من رغبته في أن يكون الواقع كما يحب هو أن يكون، مفصلًا على قد هواه، بما في هذا الواقع من

1 **مجموعة رسائل البنا**، ص. ص 14-15.

نورٍ وظلامٍ، وخيرٍ وشرٍّ، نورٍ يدعيه ويرحب به، وظلامٍ يشجبه ويلعنه. ثم هو ثانيًا لا يفسح موضعًا لقسمٍ خامسٍ لا يخفى وجوده على ذي عينين، وبعشر ذكاء يلوح أنه قسم غالبٌ، مثله جمهرة العلماء في عصر البنا، وفيما سبقه وتلاه من عصور، وذلكم القسم هو رجلٌ مسلمٌ صادق العقد، خالص القصد، لكنه مختلفٌ قليلًا أو كثيرًا، في فهمه للإسلام. لكن البنا كان رجلًا ممتلئًا بذاته، لا يتخالجه أدنى ريبٍ في امتلاكه الحقيقة الكاملة المطلقة، الأمر الذي جعله شديد الحساسية إزاء كل من يتساءل بخصوص فهمه أو دعوته، وفي هذا السياق يقع تقسميه المتشنج في جوابه عن سؤال مفترض ظاهر البراءة، وهو سؤال عن جماعته هل هي جماعة عملية، وعن أعضائها هل هم قوم عمليون؟ وانظر كيف أجاب البنا عن السؤال:

وهذا السائل أحد أصنافٍ من الناس:

1. إما شخصٌ متهكمٌ مستهترٌ لا يعنيه إلا أمر نفسه، ولا يقصد بهذا السؤال إلا أن يهزأ بالجماعات والدعوات والمبادئ والمصلحين، لأنه لا يدين بغير مصلحته الشخصية، ولا يهمه من أمر الناس إلا الناحية التي يستغلهم منها لفائدته فقط.
2. أو شخصٌ غافلٌ عن نفسه وعن الناس جميعًا، فلا غاية ولا وسيلة ولا فكرة ولا عقيدة.

3. وإما شخصٌ مغرمٌ بتشقيق الكلام وتنميق الجمل والعبارات وإرسال الألفاظ فخمةً ضخمةً ليقول السامعون إنه عالم...

4. وإما شخصٌ يحاول تعجيز من يدعوه ليتخذ من عجزه عن الإجابة عذرًا للقعود وتعلةً للخمول والمكسلة، وسببًا للانصراف عن العمل للمجموع.[1]

وما لوَّح به البنا وداوره في غير موضعٍ من كلامه صرح به في رسالته إلى الشباب حيث قال:

وإنما نعلن في وضوحٍ وصراحةٍ أن كل مسلمٍ لا يؤمن بهذا المنهاج ولا يعمل لتحقيقه لاحظَّ له في الإسلام، فليبحث له عن فكرةً أخرى يدين بها ويعمل لها.[2]

هل بعد هذا التصريح من تصريح؟ فالرجل يرى أن كل من لا يؤمن بمنهاجه ليس مسلمًا.

وقد روى حسين أحمد أمين، نجل المفكر الشهير، كيف التقى بحسن البنا، الذي كان قبلها بفترةٍ قصيرةٍ نشر رسالةً مفتوحةً موجهةً إلى أحمد أمين يدعوه فيها إلى الالتحاق بالجماعة، وأن مكانه محفوظٌ فيها في الصفوف الأولى، ويروي حسين أحمد أمين كيف اندفع البنا في

1 **مجموعة رسائل البنا**، رسالة هل نحن قوم عمليون، ص. ص 59-60.

2 **السابق**، رسالة إلى الشباب، ص 178.

إلقاء ما يشبه درسًا محفوظًا، بسرعةٍ واسترسال، يعرب فيه عن بالغ استنكاره ممن لا يرى الربط بين السياسة والدين، مثل أحمد أمين، وشيخ الأزهر مصطفى المراغي، ومحمد حسين هيكل، الذين ذكرهم البنا بأسمائهم، ولم يدع لحسين أحمد أمين يكمل جملته، في المرات اليسيرة التي حاول فيها الدفاع عن وجهة نظر والده، وانتهى الكلام بقول البنا:

إن رفض الانضمام إلى جماعة الإخوان المسلمين إعراضٌ عن الإسلام بأسره، قل هذا لأبيك![1]

ولئلا يغرر بك إخوانيٌّ يتعاطى طريقتهم في الاختداع والروغان، فيقول لك: لكن الإمام المؤسس كان يحتمل الخلاف، بل يعذر مخالفيه، ألم تر أنه كتب في رسالة «دعوتنا» تحت عنوان «نعتذر لمخالفينا»؟ نقول: نعم، كتب هذا، لكن انظر فيما كتب:

نعتقد هذا فنلتمس العذر - كل العذر - لمن يخالفوننا في «بعض الفرعيات.»[2].

«بعض الفرعيات» أما دعوته، التي هي عنده الفهم الأوحد الكامل الصحيح للإسلام، فلا تدخل في هذه الفرعيات.

1 أمين، حسين أحمد، **في بيت أحمد أمين ومقالات أخرى**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1989، ص. ص 106-110.

2 **مجموعة رسائل البنا**، ص 26.

وقد ختم هذه الرسالة بعرض الطريقة الوحيدة لعلاج الأمة وإنهاضها، وتقوم على أركانٍ ثلاثةٍ:

1. المنهج الصحيح: وقد وجده الإخوان...
2. العاملون المؤمنون: ولهذا أخذ الإخوان بتطبيق ما فهموه من دين الله تطبيقًا لا هوادة فيه ولا لين.
3. القيادة الحازمة الموثوق بها: وقد وجدها الإخوان المسلمون كذلك، فهم لها مطيعون وتحت لوائها يعملون.[1]

فهل تظن أن عطن البنا كان يتسع للاختلاف معه في هذه الأركان، التي لا مجال بتة لعدها من تلك الفرعيات التي يعتذر لمخالفيه فيها؟

وفي **مذكرات الدعوة والداعية** كتب البنا يقول: «فأحب أن أقول لكم هنا بكل وضوح أن دعوتكم هذه أسمى دعوة عرفتها الإنسانية، وأنكم ورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه على قرآن ربه، وأمناؤه على شريعته، وعصابته التي وقفت كل شيءٍ على إحياء الإسلام، في وقتٍ تصرفت فيه الأهواء والشهوات وضعفت عن هذا العبء الكواهل. وإذ كنتم كذلك فدعوتكم أحق أن يأتيها الناس ولا تأتي هي أحدًا، وتستغني عن غيرها، إذ هي جماع كل خيرٍ، وما

1 **مجموعة رسائل البنا**، ص 30.

عداها لا يسلم من النقص، إذن فأقبلوا على شأنكم، ولا تساوموا على منهاجكم، واعرضوه على الناس في عزٍّ وقوةٍ.»[1]

كما كتب فيها:

خامسا: منهاج الإخوان المسلمين

1. اعتبار عقيدة الإخوان رمزًا لهذا المنهاج.
2. على كل مسلمٍ أن يعتقد أن هذا المنهج كله من الإسلام، وأن كل نقص منه نقص من الفكرة الإسلامية الصحيحة.
3. على كل أخٍ مسلمٍ أن يعمل على نشر هذه المبادئ في جميع البيئات...
4. كل أخٍ لا يلتزم هذه المبادئ، لنائب الدائرة أن يتخذ معه العقوبة التي تتناسب مع مخالفته، وتعيده إلى التزام حدود المنهاج.[2]

والرجل استحواذيٌّ بشكلٍ مرعبٍ، وليس فقط على مستوى الفهم، بل أيضًا على مستوى السلوك والموقف من الآخرين، فتراه يعد مزيةً ومفخرةً أن يتماهى أعضاء جماعته فلا يبرز من بينهم من يعرب عن رأيٍ مختلفٍ أو اجتهادٍ مغايرٍ، ويجعل هذه الحالة التنميطية الآلية، التي لا تليق إلا بالآلات والأدوات المادية، تفسيرًا لحديث رسول الله

1 البنا، حسن، **مذكرات الدعوة والداعية**، مكتبة آفاق، الكويت، 2012، ص. ص 289-290.

2 البنا، **مذكرات الدعوة والداعية**، ص 240.

صلى الله عليه وسلم، وذلك فيما كتب: «والواقع أن هذا المظهر كان جديدًا وغريبًا على أوضاع الإخوان التي لم تعرف إلا الوحدة الكاملة، والاندماج التام، فرأي أحدهم هو رأي جميعهم[1]، يتمثل فيهم قول نبيهم صلى الله عليه وسلم: «ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «المسلمون عدول بعضهم على بعض، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم». ولكن أخذت به إيثارًا للحسنى وسدًّا للذريعة، واجتمعنا وكنت أعلم من نفوسهم فوق ما أعلنوا، فأوعزت إلى الأخ الشيخ علي أنه إذا ظهرت نتيجة الانتخابات في جانبه أن يعلن تنازله عن مرتبه، وأنه سيعمل في المسجد متطوعًا. وقد كان: اجتمع الإخوان وظهرت نتيجة الانتخابات، فإذا هي إجماعٌ رائعٌ، عدا أصوات هؤلاء، فقط، على اختيار أخيهم الشيخ علي، وإذا به يفاجئهم بهذا الإعلان في تأثرٍ عميقٍ نال من نفوسهم جميعًا، وأخذوا يستغربون لموقفه هذا، وموقف هذا العدد منه، أربعة يأبون إلا أن يفرضوا أنفسهم على أكثر من خمسمئة، فإذا لم ينفذ رأيهم كان الخمسمئة مخطئين؛ لأن الأربعة يأبون إلا أن يكونوا في نظر أنفسهم مصيبين، وهذا من أغرب الأوضاع في الجماعات، ولقد كان الإسلام حكيمًا أعظم الحكمة في وصيته بأخذ مثل هؤلاء الخوارج على رأي الجماعة!! بمنتهى الحزم

1 وهل يمكن أن يكون هذا «الواحد» غير البنا نفسه؟ والمعنى واضح (ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) فوصف هذه الاستحواذية بالفرعونية سائغ تمامًا

«من أتاكم وأمركم جميع، يريد أن يشق عصاكم، فاضربوه بالسيف، كائنًا من كان»[1].

هل من لا يزال مترددًا في فهم حقيقة هذا الفكر الاستحواذي المرعب؟

ومن شدة وضوح هذه السمة في شخصية البنا لم يخطئ سيد قطب ملاحظتها، فقال: إن شخصية الأستاذ البنا كانت طاغيةً، لدرجة أنه حتى كان يتدخل في كيفية وضع الكراسي أثناء الاجتماعات، وأن المعاونين له كانوا معتمدين عليه كليةً، وليس في داخلهم الابتكار

1 البنا، **مذكرات الدعوة والداعية**، مكتبة آفاق، ص. 141-142. وبمناسبة الاحتفاء بالإجماع على رأي واحد، وقمع الرأي المخالف، وتنزيل حديث رسول الله الوارد في شأن السلطة العامة، على كل خلاف جزئي بين مجاميع من الناس، قارن بقول جون ستيوارت مل في كتابه عن الحرية: لو كانت البشرية كلها، باستثناء رجل واحد، على رأي واحد، لما كان لهم حق في إسكاته بأكثر من حقه هو أيضًا في إسكاتهم، في حال كانت له السلطة ليفعل ذلك.
ومن المناسب أن نقف على تفاصيل مسألة الأربعة في مقابل الخمسمئة، كما سردها البنا نفسه في مذكراته، والقصة هي أن الإخوان في الإسماعيلية رغبوا إلى مرشدهم أن يقيم من بينهم من يخلفه قبل تحوله إلى القاهرة، فاختار لهم رجلا اسمه علي الجداوي، مرضي الخلق والدين عند البنا، وعلى قدرٍ مناسبٍ من العلم والمعرفة، حسن التلاوة للقرآن، ومن **السابق**ين إلى الدعوة، ومقربٌ إلى قلوب الإخوان، كل ذلك وفق ما يصفه البنا، ولكن الرجل كان نجارًا، ولم يكن عالمًا مؤهلًا تأهيلًا شرعيًا. وقبل الاخوان بالرجل، وفرض له مرتبٌ شهريٌّ؛ لأنه سيترك عمله ويتفرغ لمسجد الإخوان، لكن شيخًا عالمًا وصفه البنا بأنه شيخٌ أريبٌ أديبٌ عالمٌ فقيهٌ لبقٌ ذلق اللسان واضح البيان، ذو مواهب، يحمل شهادة العالمية، شاعرٌ، خطيبٌ، محترمٌ من الجميع، يعرف كيف ينشر الدعوة ويتصل بالناس، وهو أيضًا من **السابق**ين للدعوة، ومن المخلصين للبنا أشد الإخلاص، كان يتطلع إلى أن يكون هو خلف البنا في الإسماعيلية، وتشيع له ثلاثة من أصدقائه، إلخ ما سرده البنا أعلاه، وما دلسه البنا في كلامه هو أنه هو من اختار علي الجداوي وتجاوز العالم المذكور، وقبلت الجماعة بالجداوي، وهو المتوقع منهم، كيف والمرشد هو من اختاره، فلم يكن الأمر كما صوره البنا انتخابًا حرًّا نزيهًا، بل رشحه البنا وعرضه عليهم فقبلوا به، ولم يتساءلوا لم تجاوز مرشدهم عالمًا كفؤًا؟ وهل يستحق الأمر أن يوصم ومن معه بأنهم «خوارج» وأن يلوح البنا بالقتل؟ انظر: البنا، **مذكرات الدعوة والداعية**، ص. ص 137-142.

المطلـوب، ولا القـوى الزعاميـة أو القياديـة التـي تسـتطيع أن تتقلـد مقاليـد الأمـور مـن بعـده.[1]

ومـما يشـهد لـكلام قطـب، مـا ورد في رسـالةٍ أرسـل حسـن البنـا إلى أخيـه عبـد الرحمـن بتاريـخ 3 أبريـل 1940 يقـول فيهـا: سـألتني لمـاذا؟ ولمـاذا لا أتفـرغ للمهـمات الأهـم وأدع المهـمات الصغـيرة... وهـذه الأسـئلة تثـير في نفـسي شـجنًا كامنًـا وألمًـا دفينًـا، ليـس أحـب إلى نفـسي مـن هـذا التفـرغ ولكـن هـذه المهـام الصغـيرة نفسـها هـي الآن مشـكلة دعـوة الإخـوان ودارهـم ومحـور حركتهـم إذا لم ألاحـظ المطبعـة والجريـدة والـدار والنظافـة والاسـتقبال وحسـن النظـام فمـن يلاحـظ هـذا؟[2]

وبلـغ بالبنـا إعجابـه بمـا هـو عليـه أن ميـز أتباعـه بشـارة تخصهـم، وقـد وثـق هـذه الخطـوة الغريبـة في المذكـرات:

وقـد اقـترح الإخـوان عمـل شـارةً تميزهـم عـن بقيـة الهيئـات، ووافـق المكتـب عـلى هـذا الاقـتراح، وعـلى أن تكـون الشـارة عبـارةً عـن خاتـمٍ مـن الفضـة ذي عـشرة أضـلاعٍ ترمـز إلى الآيـة الكريمـة ﴿**قُـلْ تَعَالَـوْا أَتْـلُ مَـا حَـرَّمَ رَبُّكُـمْ عَلَيْكُـمْ**﴾ [الأنعـام: 151]... ويلبـس الخاتـم في خنـصر اليـد اليمنـى.[3]

1 عشماوي، **التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين**، ص 82.

2 المطعني، عبدالعظيم، **رسالة من حسن البنا إلى قيادات الدعوة الإسلامية**، دار الأنصار، القاهرة، 1979، ص 71.

3 البنا، **مذكرات الدعوة والداعية**، ص 259.

ولم يكتـف البنـا بهـذا التمييـز الغريـب، بـل جعلـه أولى الواجبـات العـشر: الواجبـات العـشر، وأولهـا «حمـل شـارتنا»[1].

وتحت عنوان «شارة الإخوان المسلمين» كتب عباس السيسي:

بـدأت شـارة الإخـوان أول مـا بـدأت في الإسـماعيلية عبـارة عـن وشـاحٍ أخـضر يلبـس مـن أعـلى الكتـف إلى الوسـط مكتوبًـا عليـه اسـم « الإخـوان المسـلمون «، ثـم أصبـح بعـد ذلـك « هـلال وفي وسـطه مصحـف «، ثـم بعـد ذلـك صـار إلى «سـيفين وبينهـما مصحـف»، وفي عـام 1937 وأنـا طالـب بمدرسـة محمـد عـلي الصناعيـة، بالسـنة الثالثـة، قسـم البـرادة، كان مـدرسي، وهـو حسـن أفنـدي محمـد إسـماعيل، قـد انضـم إلى الإخـوان المسـلمون وقـام بعمـل نمـوذج مـن النحـاس لشـارة الإخـوان المسـلمون، كنـا نعلقـه في فتحـة الجاكيـت «سـيفين وبينهـما مصحـف»، وبعـد ذلـك أرسـلنا هـذا النمـوذج إلى فضيلـة المرشـد العـام، فأعجـب بـه، ولم تمـض شـهورٌ حتـى ابتكـر الإخـوان الشـارة التـي انتـشرت بينهـم، وهـذا خـلاف شـارة أخـرى كانـت تعطـى للإخـوان الذيـن يبايعـون فضيلـة الأسـتاذ المرشـد وهـي عبـارةٌ عـن خاتـمٍ مـن الفضـة لـه عـشرة أضلـع - وهـي أركان البيعـة - مكتـوبٌ عـلى الخاتـم الإخـوان المسـلمون[2].

واتخـاذ الخاتـم شـارةٌ قـد لا يكـون بريئًـا تمامًـا، فمـن المعـروف أن

1 البنا، **مذكرات الدعوة والداعية**، ص 279.

2 السيسي، عباس، **في قافلة الإخوان المسلمين**، 1986، 30/1.

من بين شارات الماسون خواتم معينة يلبسونها في أصابعهم، وهم لا يتخذونها للزينة، بل للرمز بها إلى ما يؤمنون به من قيمٍ ومبادئ.

ومن عجبٍ أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يميز أصحابه من المشركين بشارة معينة، بل لم يميز عليه الصلاة والسلام نفسه من أصحابه بزيٍّ خاصٍّ أو بشارةٍ خاصةٍ، ولهذا لما جاء ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر فدخل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم سأل: أيكم محمد؟ والنبي متكئ بين ظهرانيهم...[1]، فسأل عنه؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يميز نفسه بما يدل عليه، لكن حسن البنا استحسن تمييز أتباعه من المسلمين حولهم! وفي كلام علمائنا ما يصرح بأن هذا مما يذم، وأنه يعمل على تفريق المسلمين.

أما وقد فرغنا من اقتباس البنا، بما يفي بغرضنا، فلنعلق ملاحظةً ذات خطرٍ، قبل المضيِّ إلى اقتباس أتباعه.

بالنظر في مقبوساتنا من البنا أعلاه، يلحظ أن ثمة أمرًا بالغ الغرابة والنكر، لم يسلط عليه ضوءٌ كافٍ، وهو ما يتردد كثيرًا في كلام البنا، من تشبيه دعوته وما يتصل بها، سلبًا وإيجابًا، بما وقع للأنبياء والرسل، واتصل برسالاتهم، سلبًا وإيجابًا.

وأمرٌ آخر غير بعيدٍ منه، بل لعله أشنع، وهو قذف الرجل،

1 **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم، رقم الحديث 63، 23/1.

في غير تحرجٍ - بالغيب - جراءةً على الله تعالى، فيقطع – مثلًا- بأن جماعته مرضيةٌ عند الله، وأن نورها من نوره، وأن دعوته ستظل صالحةً عبر الأزمان، وأن وأن وأن، مما يحار المرء في فهم تورط الرجل فيه حيرته في غفلة من سمعوا كلامه أو قرؤوه ثم لم يفطنوا إلى ما فيه من ضلال وجسارة منكرة. ولو كان وحيٌ ينزل بعد رسول الله لاحتمل الناس أن يقال: لعل الرجل ممن يوحى إليه، فهو عن وحي الله يفرغ، فلم يبق إلا الغرق في التوهم والخرص بالغيب، افتراءً واغترارًا.

وقد كان ذلك - لعمر الحق - أكثر من كافٍ ليفتح العينين على خطورة تفكير الرجل وغرابة شخصيته، وهذه مناسبةٌ لإطلاق دعوة إلى إعادة تقويم هذه الشخصية من طرف علماء نفس أخصائيين يتعمقون درسها، ويكشفون عن أعمق سماتها وأخص صفاتها، وما فيها من شذوذ وانحراف.

ودونك أنموذجين اثنين، ضمهما إلى سائر ما مررت به من كلام مشابه، للناحيتين المذكورتين:

كتب البنا في مذكراته تحت عنوان «معاكسات» التالي: «ولكن دعوة الحق في كل زمانٍ ومكانٍ لا بد أن تجد لها من المعارضين والمناوئين من يقف في طريقها، ويعمل على معاكساتها وإحباطها، ولكن النصر لها في النهاية، سنة الله: فلن تجد لسنة الله تبديلًا، ولن تجد لسنة الله

تحويلًا، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: 31]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 112]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: 52]، وكذلك كان نصيب الدعوة بالإسماعيلية فإنه ما كاد يظهر إعجاب الناس بها، والتفافهم حولها وتقديرهم للعاملين لها، حتى أخذت عقارب الحسد والضغينة تدب في نفوس ذوي الأغراض، وراحوا يصورون الدعوة والداعين للناس بصور شتى.[1]

وقال في رسالة المؤتمر السادس: فاذكروا جيدًا أيها الإخوة أنكم الغرباء الذين يصلحون عند فساد الناس، وأنكم العقل الجديد الذي يريد الله أن يفرق به للإنسانية بين الحق والباطل.

وفي رسالة «الإخوان المسلمون تحت راية القرآن» كتب: ومن رغب عن دعوتنا زهادةً، أو سخريةً بها، أو استصغارًا لها، أو يائسًا من انتصارها[2]، فستثبت له الأيام عظيم خطئه، وسيقذف الله بحقنا على باطله، فيدمغه فإذا هو زاهقٌ.

1 البنا، **مذكرات الدعوة والداعية**، ص. ص 94-95.

2 مرة أخرى نحن إزاء قسمة رباعية، مع التعامي التام عن قسم خامس ممثل في مؤمن صادق لا يرى ما يراه البنا، وله فهم مختلف

وسيمرُّ بنا قريبا قول محمود الصباغ: لقد شهد الله سبحانه وتعالى بصدق الإخوان فيما أسروا وما أعلنوا!!

ومثله قول أحمد أنس الحجاجي[1]: فدونكم دم الشهيد - أي البنا - فإنه قائمٌ فيكم، يناديكم ويذكركم: أن يا أيها الناس، نحن خالدون خلدنا القرآن، وزكى خلودنا الرحمن، فلن يدرك ذكرانا جفافٌ ولا نسيان... أوليس الإخوان أنفسهم من آيات الخلود ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21] ... اذكروا هذا كله في كتاب الخلود، الذي لا يفنى ولا ينسى، وإذا ذكرتم حسن البنا، فاذكروا رجلًا عاش معجزًا في كل شيءٍ حتى أتعب خصومه وصرعهم جميعًا، وبقي هو حيًّا مع الزمن خالدًا مع التاريخ معجزًا فوق قمة المعجزات.[2]

- **سيد قطب:**

وبدوره صرّح سيد قطب بما يفيد معصومية الجماعة:

إن دعوة الإخوان المسلمين دعوة مجردة من التعقب! وإن الذين يقاومونها هم المتعقبون، أو هم الجهلاء الذين لا يعرفون ما يقولون.[3]

يبدو أن من كان يصف البنا ب «حسن الصباح» زعيم الحشيشية

1 من أصحاب حسن البنا، وكتب عن سيرته كتابا بعنوان روح وريحان.

2 رزق، جابر، **الإمام الشهيد حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه**، 1986، ص. ص 119-121.

3 جامع، محمود، **وعرفت الإخوان**، دارا التوزيع والنشر الإسلامية، 2003، ص 173.

قد فعل فيه حشيش الجماعة فعله. فهل يصف عاقل جماعة بشرية بأنها لا معقب لها، الوصف الذي لم نجد الرسول الكريم نفسه وصف به، ولم يوصف به إلا الله تعالى ﴿**وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ [الرعد: 41].

- **المرشد الثاني: حسن الهضيبي:**

أما المرشد الثاني، ففي حفل أقيم في الإسكندرية، بمناسبة الإفراج عن مساجين الإخوان بعد قيام ثورة 23 يوليو، وقف يلقي كلمته، فكان مما قال:

دعوة الإخوان هي لا غيرها الملاذ والإنقاذ والخلاص، وعلى الإخوان ألا يشركوا بها شيئًا، وألا تلفتهم الأحداث مهما لمعت عن شمول دعوتهم فهي فضلًا عن أنها دعوةٌ إصلاحيةٌ فهي أيضًا دعوةٌ عالميةٌ، فوق المكان والزمان، لهذا فهي أكبر من حدود هذا البلد، وأعظم من أن تقارن بمناهج البشر على الإطلاق.[1]

هل ننكر مثل هذا التعبير الأثيم «ألا يشركوا بها شيئًا»؟ ولمَ، والبنا نفسه هو من علمهم «السحر»، فبعد أن فرغ من تقسيم الناس إزاء دعوته أقسامًا أربعةً، كتب يقول:

ويجب أن يعلم قومنا إلى جانب هذا أن هذه الدعوة لا يصلح

1 السيسي، **في قافلة الإخوان المسلمين** 79/2.

لها إلا من حاطها من كل جوانبها ووهب لها ما تكلفه إياه من نفسه وماله ووقته وصحته... فهي دعوةٌ لا تقبل الشركة!![1]

- **المرشد السابع: محمد مهدي عاكف:**

وها هو المرشد السابع محمد مهدي عاكف يقول: وليس هناك أحق من أن يقول الحق كما أنزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم إلا الإخوان المسلمون.[2]

- **سعيد حوى[3]:**

استهل المنظر الإخواني السوري سعيد حوى كتابه **في آفاق التعاليم** بالقول: ثم إنه قد نبتت هنا وهناك أفكارٌ مريضةٌ تريد أن تتخلص من دعوة حسن البنا ومن أفكاره، فكان لا بد أن يعرف هؤلاء وغيرهم أن الانطلاقة على غير فكر الأستاذ البنا في عصرنا قاصرةٌ أو مستحيلةٌ أو عمياء، إذا ما أردنا عملًا كاملًا متكاملًا في خدمة الإسلام والمسلمين. ثم إن هناك هجومًا جاهلًا على كثيرٍ مما طرحه الأستاذ البنا ينزلق إليه ناسٌ لم يرزقهم الله آفاق النظر التي أعطاها الله للأستاذ، فاقتضى ذلك كله أن يكتب تلاميذه والملتزمون بخطه مبينين

1 **مجموعة رسائل البنا**، ص 16.

2 إخوان أون لاين 2006/4/22.

3 انظر عنه:
https//:www.ikhwan.wiki/index.php?title%=D8%B3%D8%B9%D98%A%D8%AF%_D8%AD%D988%%D98%

ومقيمين الحجة، ولعل هذا الكتاب يؤدي دوره في ذلك... وقد يأخذ الإنسان العجب إذا عرف أن رسالة التعاليم هذه لا تخرج عن كونها صفحات قليلةً جدًّا، ولكنها رسمت معالم الطريق للأجيال الكثيرة، بل إننا لا نبالغ إذا قلنا: إنها رسمت معالم الطريق للأمة الإسلامية نحو النصر وفيما بعد النصر إلى آمادٍ بعيدةٍ جدًّا.[1]

- **محمود الصباغ[2]:**

وأما محمود الصباغ فيقول، في غير تأثم، على الله بغير علم:

لقد شهد الله سبحانه وتعالى بصدق الإخوان فيما أسروا وما أعلنوا، فنصرهم على مدى جيلٍ واحدٍ في أربع معارك قاصمةٍ.[3]

وأحسب أن الوقوف على مثل هذا الهوس يعين في تفسير حالة العمى التام التي يتميز بها القوم حتى ليقدمون على ما الانتحار أهون منه، ثم لا يتلاومون ولا يعتذرون، واسأل بهم خبيرًا، وذلك عبد العزيز كامل الذي قال:

ولقد كان من الأعراف الفكرية عند الإخوان أن يد الله التي ترعاهم قادرةٌ على أن تحول خطأ تصرفهم إلى صوابٍ، نسير في خطإٍ

1 سعيد حوى، **في آفاق التعاليم**، مكتبة وهبة، القاهرة، 5

2 انظر عنه: https://www.ikhwan.wiki/index.php?title=%D9%85%D8%AD%D9%85%D9%88%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%A8%D8%A7%D8%BA

3 الصباغ، محمود، **حقيقة التنظيم الخاص ودوره في دعوة الإخوان المسلمين**، 1989، ص 18.

فإذا برحمة الله تتداركنا فنتحول إلى صواب، نقصد أمرًا فتوجهنا عناية الله إلى غيره، هكذا كنت أسمع وسمع كثيرون غيري من الأستاذ حسن البنا - رحمه الله - فإذا كان ذلك كذلك فلا داعي لتضييع كثيرٍ من الوقت والجهد في تقليب القرار والدراسة العميقة المتأنية لملابساته، فإننا إذا أخطأنا تكفلت عناية الله بإصلاح هذا الخطأ.[1]

ولنقارن الآن هذه الحزمة الرديئة من الصفات الإخوانية: النرجسية، والعجب، والوثوقية المصمتة، بما كان عليه سلفنا الصالح من تواضعٍ فكريٍّ، وروحٍ علميةٍ حقيقيةٍ تحتمل الاختلاف وتثمنه. والمقارنة في هذا الصدد بالغة الأهمية، فبأضدادها تتميز الأشياء، ما يوقظ الوسنى من نوم الاغترار بالزخارف الفكرية المتمسحة باسم الدين وخدمة الدين.

إن من شدا من العلم حروفًا عَلم عِلم اليقين أن مجال الاختلاف فسيحٌ، فيما عدا المعلوم من الدين بالضرورة، بما يوجب على العالم الاتصاف بروح التواضع والاحتمالية، على نحو ما اشتهر عن الأئمة الكبار، فها هو عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، يقول: السُّنَّةُ مَا سَنَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، لَا تَجْعَلُوا خَطَأَ الرَّأْيِ سُنَّةً لِلْأُمَّةِ.[2]

1 كامل، **في نهر الحياة**، 70

2 ابن عبدالبر، **جامع بيان العلم وفضله**، 1047/2

وعنه رضي الله عنه أنه لقي رجلًا فقال: ما صنعتَ؟ قال: قضى عليٌّ وزيدٌ بكذا. قال: لو كنتُ أنا لَقضيتُ بكذا. قال: فما منَعك، والأمرُ إليك؟ قال: لو كنتُ أرُدُّك إلى كتاب الله أو إلى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم لفعلتُ، ولكنِّي أردُّك إلى رأيي، والرأيُ مشترك. فلم ينقُضْ ما قال عليٌّ وزيد.[1]

قال محمد بن مسلمة: إنما على الحاكم الاجتهاد فيما يجوز فيه الرأي، وليس أحدٌ في رأيٍ على حقيقة أنه الحق، وإنما حقيقته الاجتهاد.[2]

وعن سالم بن عبد الله بن عمر، أن رجلًا، سأل عن شيء، فقال له: لم أسمع في هذا بشيءٍ، فقال له الرجل: إني أرضى برأيك، فقال له سالم: لعلي أن أخبرك برأيي ثم تذهب، فأرى بعدك رأيًا غيره فلا أجدك.[3]

وقد مر بنا كيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه لم يعنف أحدًا من أصحابه، وقد افترقوا فريقين في فهم مقصوده لما قال لهم: لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة.

وقد روى مسلم وأبو داود والترمذي، وهذه رواية مسلم، عن

1 **جامع بيان العلم وفضله**، 853/2.

2 **السابق**، 646/2.

3 **السابق**، 470/2.

بُرَيْدةُ بن الحصيب رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا أمَّرَ أميرًا على جيشٍ، أو سريَّةٍ، أوْصَاهُ في خاصَّته بتقْوى الله، ومَنْ معهُ من المسلمين خيرًا، ثم قال: اغْزُوا باسْمِ الله في سبيل الله، قاتِلوا مَنْ كفر بالله، اغزوا ولا تغُلُّوا، ولا تغْدِروا، ولا تُمثِّلوا، ولا تقْتُلوا وَليدًا... وإذا حَاصَرْت أهل حصْنٍ، فأرادُوكَ أنْ تجعلَ لهم ذِمَّةَ اللهِ وذِمَّة نبيِّه، فلا تجعلْ لهم ذِمَّة اللهِ ولا ذمّة نبيِّهِ، ولكن اجعل لهم ذِمَّتَكَ وذِمَّةَ أصحابِكَ، فإنَّكمْ أنْ تُخْفِرُوا ذِمَمكم وذِمَّةَ أصحَابِكمْ أهْوَنُ مِنْ أنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وذِمَّةَ رسولِه، وإذا حاَصرْتَ أَهلَ حِصْنٍ، وأرادُوكَ أن تُنْزِلهم على حُكْمِ اللهِ، فلا تُنْزِلهمْ على حُكمِ الله، ولكن أَنْزِلْهم على حكمك، فإنك لا تدري: أتُصيبُ فيهم حُكمَ اللهِ، أم لا؟

وما من إمامٍ قدوةٍ، يُتبع، إلا نُقل عنه ما يؤكد هذه الروح العلمية العالية، فقد قال عمرو بن دينار: يسألوننا عن رأينا فنخبرهم فيكتبونه كأنه نقرٌ في حجرٍ، ولعلنا أن نرجع عنه غدًا.[1]

وكان ابن سيرين - إذا سئل عن شيءٍ - قال: ليس عندي فيه إلا رأيٌ أتهمه، فيقال له: قل فيه على ذلك برأيك. فيقول: لو أعلم أن رأيي يثبت لقلت فيه، ولكني أخاف أن أرى اليوم رأيًا، وأرى غدًا

1 ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى**، تحقيق علي محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001، 41/8.

غـيره؛ فأحتـاج أن أتبـع النـاس في دورهـم.[1]

وقـال الحكـم بـن عتيبـة: ليـس أحدٌ مـن خلق اللـه إلا يؤخذ مـن قوله ويـترك إلا النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم، وعـن مجاهـد مثلـه.[2]وفي **مختـصر المؤمـل في الـرد إلى الأمـر الأول** قـال أبـو شـامة: وروي عـن مالـك بـن أنـس رحمـه اللـه أنـه قـال: - أي: زيادةً على قولـة مجاهدٍ والحكـم - : إلا صاحب هـذا القـبر، وأشـار إلى قـبر النبـي صـلى الله عليه وسـلم.[3]

ومالـكٌ يقـول: إنمـا أنا بـشرٌ، أخطـئ وأصيب، فانظـروا في رأيـي فكل ما وافـق الكتـاب والسـنة فخـذوه، وكل ما لم يوافقـه الكتاب والسـنة فاتركوه[4].

وقـال أيضًـا: قـال لي ابـن هرمـز (شـيخه): لا تمسـك عـلى شيءٍ مـما سـمعت منـي مـن هذا الـرأي، فإنمـا افتجرتـه أنـا وربيعة، فلا تمسـك[5].

ومعـروفٌ كيـف أبى مالـكٌ على المنصـور أن يحمل فقهـاء الأمصار كلهم عـلى الموطـأ، وهـا هو يـروي ما وقع لـه رحمه اللـه فيقول:

لَـمَّا حَـجَّ أَبُـو جَعْفَـرٍ الْمَنْصُورُ، دَعَـانِي فَدَخَلْتُ عَلَيْـهِ فَحَادَثْتُهُ، وَسَـأَلَنِي فَأَجَبْتُـهُ، فَقَـالَ: إِنِّي عَزَمْـتُ أَنْ آمُـرَ بِكُتُبِـكَ هَـذِهِ الَّتِـي قَـدْ وَضَعْـتَ - يَعْنِي

1 ابن عبدالبر، **جامع بيان العلم وفضله**، 469/2.

2 **السابق**، 925/2.

3 المقـدسي، أبـو شـامة، **مختـصر المؤمـل في الـرد إلى الأمـر الأول**، مكتبـة الصحـوة الإسـلامية، الكويـت، 1403، ص. ص 155-158.

4 ابن عبدالبر، **جامع بيان العلم وفضله**، 775/1.

5 **السابق**، 776/1.

الْمُوَطَّـأَ - فَتُنْسَـخَ نُسَـخًا، ثُـمَّ أَبْعَثُ إِلى كُلِّ مِـصْرٍ مِنْ أَمْصَارِ الْمُسْـلِمِينَ مِنْهَا نُسْـخَةً وَآمُرُهُـمْ أَنْ يَعْمَلُـوا بِمَا فِيهَـا وَلا يَتَعَدَّوْهَا إِلى غَيْرِهَا، وَيَدَعُوا مَا سِـوَى ذَلِـكَ مِـنْ هَـذَا الْعِلْمِ الْمُحْـدَثِ، فَإِنِّي رَأَيْـتُ أَصْلَ الْعِلْـمِ رِوَايَةَ أَهْـلِ الْمَدِينَةِ وَعِلْمَهُـمْ، قَـالَ: فَقُلْـتُ: يَـا أَمِـيرَ الْمُؤْمِنِـينَ لَا تَفْعَـلْ هَـذَا، فَـإِنَّ النَّـاسَ قَـدْ سَـبَقَتْ إِلَيْهِـمْ أَقَاوِيـلُ، وَسَـمِعُوا أَحَادِيـثَ، وَرُوُّوا رِوَايَاتٍ، وَأَخَـذَ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا سـبق إِلَيْهِـمْ وَعَمِلُـوا بِـهِ، وَدَانُـوا بِـهِ مِـنَ اخْتِـلافِ أَصْحَـابِ رَسُـولِ اللَّهِ صلى اللـه عليـه وسـلم وَغَيْرِهِـمْ، وَإِنَّ رَدَّهُمْ عَمَّا اعْتَقَدُوهُ شَـدِيدٌ، فَـدَعِ النَّاسَ وَمَا هُـمْ عَلَيْـهِ، وَمَـا اخْتَـارَ أَهْـلُ كُلِّ بَلَـدٍ لأَنْفُسِـهِمْ. فَقَالَ: لَعَمْـرِي لَـوْ طَاوَعْتَنِي عَـلَى ذَلِكَ لأَمَـرْتُ بِهِ.[1]

وقـال الإمـام أبـو حنيفـة: حـرامٌ عـلى مـن لم يعـرف دليـلي أن يفتـي بكلامـي، زاد في روايـةٍ: فإننـا بـشرٌ، نقـول القـول اليـوم، ونرجـع عنـه غـدًا.

وفي أخـرى: ويحـك يـا يعقـوب[2] لا تكتـب كل مـا تسـمع منـي، فإني قد أرى الـرأي اليـوم، وأتركـه غـدًا، وأرى الـرأي غـدًا، وأتركـه بعـد غـدٍ. واشـتهر عنـه قولـه: قولنـا هذا رأيٌ، وهو أحسـن ما قدرنـا عليه، فمن جاءنا بأحسـن منـه قبلناه.

وأمـا الشـافعي فدونـك مـا افتتـح به المزني مختـصره لأم الشـافعي، قال بعد البسـملة:

1 ابـن عبـد الـبر، يوسـف، **الانتقـاء في فضائـل الأئمـة الثلاثـة الفقهـاء: مالـك والشـافعي وأبي حنيفـة رضي اللـه عنهـم**، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، ص 41.

2 يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وهو أبو يوسف القاضي، أحد صاحبي الإمام.

قال أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني رحمه الله: اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله، ومن معنى قوله؛ لأقربه على من أراده، مع إعلامه نهيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحتاط فيه لنفسه، وبالله التوفيق.

وقال أحمد: لا تقلدني، ولا تقلد مالكًا، ولا الثوري، ولا الأوزاعي، وخذ من حيث أخذوا، وقال: من قلة فقه الرجل أن يقلد دينه الرجال.[1]

وقال أبو بكرٍ الأثرم: سمعت أبا عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - وقد عاوده السائل في عشرة دنانير ومائة درهم، فقال أبو عبد الله: برأي أستعفي منها، وأخبرك أن فيها اختلافًا، فإن من الناس من قال: يزكي كل نوع على حدة، ومنهم من يرى أن يجمع بينهما، وتلحُّ عليَّ، تقول: فما تقول أنت فيها؟ ما تقول أنت فيها؟ وما عسى أن أقول فيها؟ وأنا أستعفي منها، كلٌّ قد اجتهد. فقال له رجلٌ: لا بد أن نعرف مذهبك في هذه المسألة؛ لحاجتنا إليها، فغضب وقال: «أي شيءٍ بدٌّ إذا هاب الرجل شيئًا يحمل على أن يقول فيه، ثم قال: وإن قلت؛ فإنما هو رأيٌ، وإنما العلم ما جاء من فوق، ولعلنا أن نقول القول ثم نرى بعده غيره، ثم ذكر أبو عبد الله حديث عمرو بن دينار، عن جابر بن زيد أنه قيل له: يكتبون رأيك، قال: يكتبون ما عسى أن أرجع عنه غدًا[2].

1 ابن قيم الجوزية، **إعلام الموقعين**، 139/2.

2 ابن عبدالبر، **جامع بيان العلم وفضله**، 463/2.

ولم يكن السلف يحتملون، فقط الخلاف، بل كانوا يباركونه ويثمنونه، وقد رووا عن عمر بن عبد العزيز قال: ما أحب أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا؛ لأنه لو كانوا قولًا واحدًا كان الناس في ضيق، وإنهم أئمةٌ يقتدى بهم، فلو أخذ رجلٌ بقول أحدهم كان في سعةٍ. كما رووا عن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال: لقد نفع الله باختلاف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في أعمالهم، لا يعمل العامل بعمل رجلٍ منهم إلا رأى أنه في سعة، ورأى أن خيرًا منه قد عمله.[1]

وكتب إسحق بن بُهلول الأنباري كتابًا ضمنه المسائل التي كان يسأل أحمد فيها، وجوابات أحمد عنها على مذهبه، ومنها قال: سمعت أحمد ابن حنبل يقول: يصام عن الميت في النذر، فأما الفريضة فالكفارة، وسماه كتاب الاختلاف، فقال له الإمام أحمد: سمه كتاب السعة.[2]

فالحق غير مرهونٍ برأي رجلٍ، بالغًا ما بلغ من العلم والفهم، والرجال ليسوا ميزانًا، بل هم الموزونون بميزان الحق، وما أحسن كلمة الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه حين قال له الحارث بن حوط الليثي: أترى طلحة والزبير وعائشة اجتمعوا على باطل؟ فقال:

1 البغدادي، الخطيب، **الفقيه والمتفقه**، تحقيق عادل يوسف، ط 2، 1421، 116/2.

2 الحنبلي، أبو يعلى، **طبقات الحنابلة**، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، دارة الملك عبد العزيز، السعودية، 1999، 297/1.

يـا حـارث أنـت ملبـوسٌ عليـك، إن الحـق والباطـل لا يعرفـان بأقـدار الرجـال، وبإعـمال الظـن، اعـرف الحـق تعـرف أهلـه، واعـرف الباطـل تعـرف أهلـه.[1]

فحـذار مـن كل مـن يـرى نفسـه ميزانًـا، فاتباعـه سـيخل بـكل ميـزان، وسـينجم عنـه شرٌّ طويـلٌ وفسـادٌ عريـضٌ.

نختم بما قال الإمام الكبير أَبُو الْمُظَفَّرِ السَّمْعَانِيُّ 489هـ في هذا المضمار:

«كُلُّ فَرِيـقٍ مِـنَ الْمُبْتَدَعَـةِ يَعْتَقِـدُ أَنَّ مَـا يَقُولُـهُ هُـوَ الْحَـقُّ الَّـذِي كَانَ عَلَيْـهِ رَسُـولُ اللَّـهِ صـلى اللـه عليـه وسـلم وَأَصْحَابُـهُ؛ لِأَنَّ كُلَّهُـمْ يَدَّعُـونَ شَرِيعَـةَ الْإِسْـلَامِ مُلْتَزِمُـونَ فِي الظَّاهِـرِ شِـعَارَهَا يَـرَوْنَ أَنَّ مَـا جَـاءَ بِـهِ مُحَمَّـدٌ هُـوَ الْحَـقُّ غَـيْرَ أَنَّ الطُّـرُقَ تَفَرَّقَـتْ بِهِـمْ بَعْـدَ ذَلِـكَ، وَأَحْدَثُـوا فِي الدِّيـنِ مَـا لَـمْ يَـأْذَنْ بِـهِ اللَّـهُ وَرَسُـولُهُ صـلى اللـه عليـه وسـلم فَزَعَـمَ كُلُّ فَرِيـقٍ أَنَّـهُ هُـوَ الْمُتَمَسِّـكُ بِشَرِيعَـةِ الْإِسْـلَامِ، وَأَنَّ الْحَـقَّ الَّـذِي قَـامَ بِـهِ رَسُـولُ اللَّـهِ صـلى اللـه عليـه وسـلم هُـوَ الَّـذِي يَعْتَقِـدُهُ وَيَنْتَحِلُـهُ.»[2]

1 البـلاذري، أحمـد بـن يحيـى، **أنسـاب الأشراف**، تحقيـق سـهيل زكار وريـاض زركلي، دار الفكـر، بـيروت، 1996، 35/3.

2 ابـن الموصـلي، محمـد، **مختـصر الصواعـق المرسـلة عـلى الجهميـة والمعطلـة**، تحقيـق سـيد إبراهيـم، دار الحديـث، القاهـرة، 2001، 598.

الوسيلة الثالثة: الطاعوية [1]

مـن يطالـع مـا كتبـه البنـا عـن الطاعـة التـي كان يطالـب بهـا أتباعـه يأخـذه العجـب مـن تجـاسر الرجـل عـلى المطالبـة بمـا لم يطالـب بـه رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم لنفسـه، بـل ثمـة مـا هـو أغـرب مـما لا يجمـل ذكـره الآن، فنرجئـه ريثـما نفـرغ مـن اجتـلاب بعـض مقبوسـات الرجـل.

في رسـالة التعاليـم عـدد البنـا أركان البيعـة، وهـي عـشرة: الفهـم والإخـلاص والعمـل والجهـاد والتضحيـة والطاعـة والثبـات والتجـرد والأخـوة والثقـة.

ثـم شرع في الـكلام عليهـا، ركنًـا ركنًـا، حتـى إذا بلـغ الطاعـة قـال: وأريـد بالطاعـة: امتثـال الأمـر وإنفـاذه تـوًّا، في العـسر واليـسر، والمنشـط والمكـره، وذلـك أن مراحـل هـذه الدعـوة ثـلاثٌ:

1. التعريـف: بنـشر الفكـرة العامـة بـين النـاس، ونظـام الدعـوة في هـذه المرحلـة نظـام الجمعيـات الإداريـة، ومهمتهـا العمـل للخـير العـام ووسـيلتها الوعـظ والإرشـاد تـارةً، وإقامـة المنشـآت النافعـة تـارةً أخـرى، إلى غـير ذلـك مـن الوسـائل العمليـة، وكل شـعب الإخوان القائمـة الآن تمثـل هـذه المرحلـة مـن حيـاة الدعـوة، وينظمهـا القانون

1 مصطلـح سـككته لأعـبر بـه عـن التـزام الطاعـة بشـكلٍ مطلـقٍ وكأنهـا مقصـودة لذاتهـا بـصرف النظـر عـن نتائجهـا، مـا يعنـي وقوفهـا في الطـرف المقابـل تمامًـا لروحيـة التسـاؤل وعقليـة النقـد.

الأساسي، وتشرحها وسائل الإخوان وجريدتهم، والدعوة في هذه المرحلة عامةٌ. ويتصل بالجماعة فيها كل من أراد من الناس متى رغب المساهمة في أعمالها ووعد بالمحافظة على مبادئها، وليست الطاعة التامة لازمةً في هذه المرحلة بقدر ما يلزم فيها احترام النظم والمبادئ العامة للجماعة.

2. التكوين: باستخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد وضم بعضها إلى بعضٍ، ونظام الدعوة، في هذه المرحلة، صوفيٌّ بحتٌ من الناحية الروحية، وعسكريٌّ بحتٌ من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين (أمرٌ وطاعةٌ) من غير ترددٍ ولا مراجعةٍ ولا شكٍّ ولا حرجٍ، وتمثل الكتائب الإخوانية هذه المرحلة من حياة الدعوة، وتنظمها رسالة المنهج سابقًا، وهذه الرسالة الآن.

والدعوة فيها خاصة لا يتصل بها إلا من استعد استعدادًا تامًّا حقيقيًّا لتحمل أعباء جهادٍ طويل المدى كثير التبعات، وأول بوادر هذا الاستعداد كمال الطاعة.

3. التنفيذ: وهي مرحلة جهادٍ لا هوادة فيه، وعملٍ متواصلٍ في سبيل الوصول إلى الغاية، وامتحانٌ وابتلاءٌ لا يصبر عليهما إلا الصادقون، ولا يكفل النجاح في هذه المرحلة إلا كمال الطاعة كذلك، وعلى هذا بايع الصف الأول من الإخوان المسلمين في يوم 5 ربيع الأول سنة 1359هـ

وأنت بانضمامك إلى هذه الكتيبة، وتقبلك لهذه الرسالة، وتعهدك بهذه البيعة، تكون في الدور الثاني، وبالقرب من الدور الثالث، فقدّر التبعة التي التزمتها وأعدّ نفسك للوفاء بها [1].

ولم يكتف البنا بالطاعة في حدودها المرسومة هنا، بل عاد لدى كلامه عن ركن الثقة فكتب: الثقة: وأريد بالثقة: اطمئنان الجندي إلى القائد في كفاءته وإخلاصه اطمئنانًا عميقًا ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: 65].

والقائد جزءٌ من الدعوة، ولا دعوة بغير قيادةٍ، وعلى قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود تكون قوة نظام الجماعة، وإحكام خططها، ونجاحها في الوصول إلى غايتها، وتغلبها على ما يعترضها من عقبات ﴿**فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ۝٢٠ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ**﴾ [محمد: 20-21].

وللقيادة في دعوة الإخوان حق الوالد بالرابطة القلبية، والأستاذ بالإفادة العلمية، والشيخ بالتربية الروحية، والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة، ودعوتنا تجمع هذه المعاني جميعًا، والثقة بالقيادة هي كل شيءٍ في نجاح الدعوات.

1 **مجموعة رسائل البنا**، ص 362.

ولهذا يجب أن يسأل الأخ الصادق نفسه هذه الأسئلة ليتعرف على مدى ثقته بقيادته:

1. هل تعرَّف إلى قائده من قبل ودرس ظروف حياته؟
2. هل اطمأن إلى كفايته وإخلاصه؟
3. هل هو مستعدٌّ لاعتبار الأوامر التي تصدر إليه من القيادة، في غير معصيةٍ طبعًا، قاطعةً لا مجال فيها للجدل ولا للتردد، ولا للانتقاص ولا للتحوير، مع إبداء النصيحة والتنبيه إلى الصواب؟
4. هل هو مستعدٌّ لأن يفترض في نفسه الخطأ وفي القيادة الصواب، إذا تعارض ما أمر به مع ما تعلم في المسائل الاجتهادية التي لم يرد فيها نصٌّ شرعيٌّ؟
5. هل هو مستعدٌّ لوضع ظروفه الحيوية تحت تصرف الدعوة؟ وهل تملك القيادة في نظره حق الترجيح بين مصلحته الخاصة ومصلحة الدعوة العامة؟

بالإجابة على هذه الأمثلة وأشباهها يستطيع الأخ الصادق أن يطمئن على مدى صلته بالقائد، وثقته به، والقلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء ﴿**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ إِمَا فِي الرُّضِ جَمِيعا إِمَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [الأنفال: 63].[1]

1 **مجموعة رسائل البنا**، ص. ص 364-365.

وبالنظر في الحقوق الأربعة التي أوجبها البنا للقائد على التابع، وهي حق الوالد، والمعلم، والشيخ المسلِّك، والقائد العسكري، يحتمل أن البنا كان يريد نفسه، فليس من الشائع أن يجمع قائدٌ هذه الحيثيات الأربع، هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى فأي نوعٍ هو من القيادة ذلك الذي يحوز أربعة هذه الحقوق جميعها؟ سؤال يؤشر إلى أمر ربما لم يجر الالتفات إلى دلالته، إنها النزعة الشمولية الصارمة، فالبنا لا يروم أن يترك لتابعيه أدنى هامشٍ من حريةٍ أو اختيارٍ، وذلك أن الأمر إن كان من طبيعةٍ علميةٍ فقائدك يلعب هذا الدور، وإن تعلق بشأنٍ عسكريٍّ فكذلك، أو تعلق بشأنٍ روحيٍّ تسليكيٍّ فالقائد ضمينٌ بالمطلوب، ولم يبق إلا حق الوالد الطبعي في الثقة والمحبة، وهو أيضًا واجب للقائد! إنه القائد الذي يتركك مطموس الشخصية، باهتًا بلا لونٍ، هوائيًّا بلا وزنٍ، مجرد آلةٍ تتلقى الأوامر فتصدع بها دونما ترددٍ أو تساؤلٍ.

ومن رأيي أن هذا ما يقف في مقدم أسباب إدمان هذه الجماعة الفشل، ونجاحها المميز في استدامة الفشل، فمثل هذه العقلية بهذه المفاهيم لا تنتج غير العجز والفشل. ولئن ظن البنا أو غيره أن المفروض في القائد أن يكون مجمع فضائل وصاحب ملكات، فكأين من قائد شقي به أتباعه، حيث ظفر منهم بالطاعة العمياء، ولم يرجعوا هم منه إلا بعقابيل الجهل الراسخ. وهذا ما أدركه البنا لكن

متأخـرًا جـدًّا، قبيـل قتلـه بأيـام حـين كاشـف الغـزالي بالقـول: ليـس لنـا حـظٌّ في السياسـة.

وفي رسـالة كتبهـا حسـن البنـا إلى شـقيقه عبـد الرحمـن يخاطبـه وأعضـاء جمعيتـه «جمعيـة الحضـارة» التـي أسسـها، بالروحيـة ذاتهـا التـي تبـدت في كلامـه عـلى الطاعـة والثقـة في رسـائله، فيقـول:

ذلـك أني أريـد منكـم أن تثقـوا بي أكـثر مـن ثقتكـم بنفسـكم، فتتهمون رأيكـم وملاحظاتكـم، ولا تتهمـون ملاحظـاتي ونفـسي، فـإني أكـبر منكـم سـنًّا مـن ناحيـة، وتجربـةٍ مـن ناحيـةٍ أخـرى، وقـد بايعتمـوني عـلى ذلـك، فـلا تناقشـوني لا خوفًـا مـن نقاشـكم، ولكـن أخـذًا بالواجـب، ونـزولًا عـلى اللائـق...إن أردتـم سـلامة الوحـدة فعـدوني وعـدًا صادقًـا بأمـورٍ، أولهـا أن تعالجـوا أنفسـكم في معاملتهـا للنـاس، وأن تثقـوا بعمـلي أكـثر مـن ثقتكـم بعملكـم، وذلـك يسـتتبع الطاعـة طبعًـا.[1]

إذن هـو مـا جلينـاه أعـلاه؛ دع رأيـك، وثـق برأيـي دون رأيـك، ودع عملـك، وثـق بعمـلي دون عملـك!![2]

أيـن البنـا مـن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، الـذي بلـغ مـن

1 الحـراني، السـيد، **الوثائـق المجهولـة للإخـوان المسـلمين: آل البنـا بـين التكفـير والتفكـير**، زيـن للنـشر والتوزيـع، القاهـرة، 2017، ص 62.

2 أيـن هـذا الاسـتتباع أو الاسـتغنام مـن قـول ألبـير كامـو: لا تمـش خلفـي، قـد لا أقـودك، ولا تمـش أمامـي قـد لا أتبعـك، وامـش بجانبـي وكـن صديقـي. وينسـب إلى رالـف وادو إيمرسـون: ليـس أعظـم الرجـال مـن يقـود الأتبـاع، بـل مـن يلهـم القـادة، أمـا الرئيـس الأمريـكي الأسـبق رونالـد ريغـان فقـال: ليـس العظيـم مـن يفعـل أشـياء عظيمـةً، لكنـه مـن يلهـم النـاس لينجـزوا أشـياء عظيمـةً.

تواضعـه في نفسـه مـا لم يدانـه فيـه قائد مـن عموم القـادة، وهـذا مع كونه نبيًـا رسـولًا، وذلـك فيـما يرويـه أنـس بن مالـكٍ، قـال: صَلَّيْنَا مَـعَ رَسُـولِ اللَّهِ صَـلَّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ صَـلَاةَ الصُّبْحِ قَـالَ: فَبَيْنَمَا هُـوَ فِي الصَّلَاةِ مَدَّ يَـدَهُ، ثُمَّ أَخَّرَهَـا، فَلَـمَّا فَـرَغَ مِـنَ الصَّـلَاةِ، قُلْنَا: يَا رَسُـولَ اللَّـهِ، صَنَعْـتَ فِي صَلَاتِكَ هَذِهِ مَـا لَـمْ تَصْنَـعْ فِي صَلَاةٍ قَبْلَهَا قَـالَ: «إِنِّي رَأَيْـتُ الْجَنَّةَ قَدْ عُرِضَتْ عَـلَيَّ، وَرَأَيْتُ فِيهَـا. . . . قُطُوفُهَـا دَانِيَـةٌ، حَبُّهَـا كَالدُّبَّـاءِ، فَـأَرَدْتُ أَنْ أَتَنَـاوَلَ مِنْهَـا، فَأُوحِـيَ إِلَيْهَـا أَنِ اسْـتَأْخِرِي، فَاسْـتَأْخَرَتْ، ثُـمَّ عُرِضَـتْ عَلَيَّ النَّـارُ، بَيْنِـي وَبَيْنَكُمْ حَتَّى رَأَيْـتُ ظِـلِّيَ وَظِلَّكُـمْ، فَأَوْمَـأْتُ إِلَيْكُـمْ أَنِ اسْـتَأْخَرُوا، فَأُوحِـيَ إِلَيَّ أَنْ أَقِرَّهُـمْ، فَإِنَّـكَ أَسْـلَمْتَ وَأَسْـلَمُوا، وَهَاجَـرْتَ وَهَاجَـرُوا، وَجَاهَـدْتَ وَجَاهَـدُوا، فَلَمْ أَرَ لِي عَلَيْكُـمْ فَضْـلًا إِلَّا بِالنُّبُوَّةِ.[1] وبهـذا التواضـع الجم، منضافًـا إلى ملكات وقدرٍ لا مثيـل لهـا في بـشرٍ - عـبر تاريـخ البـشر - نجـح صـلى اللـه عليه وسـلم كما لم ينجـح بـشرٌ - مـن قبـل ولا مـن بعـد - في إخراج جيلٍ مـن القـادة، طلعوا عـلى الدنيـا شموسًـا وأقـمارًا، فغيروا وجـه الدنيـا وأهدوهـا تاريخًـا يفاخـر بـه التاريخ.

وهنـا يثـور سـؤالٌ مهـمٌّ، لم كان البنـا حريصـا ذلـك الحـرص كلـه عـلى إذعـان أتباعـه لـه بشـكل مطلـق تـام، تحـت عنـوان «الطاعـة»؟

لعـل الرجـل كان واعيًـا بمقصـده الأكـبر، وهـو افتـكاك السـلطة

1 أخرجـه ابـن خزيمـة وغـيره، (ابن خزيمة، محمـد، **صحيح ابن خزيمـة**، بيروت، رقم الحديـث 892، 50/2)، وهـو صحيح.

وحيازتها، مع علمه بكثرة الحوائل دون ذلك، مع إدراكه أن ذلك يستلزم وجود أتباع مخلصين يكونون بمثابة أدوات تصدع بالأمر من غير ترددٍ، أيًّا كان الأمر، وسيتضح هذا عند الكلام على وسيلة العنف والإرهاب.

هذا راجحٌ، لكنه لا يتعارض مع تفسيرٍ آخر عليه دلائل وشواهد، أن الرجل كان صريعًا لنزعةٍ نفسيةٍ في الاستتباع والهيمنة التامة على رجاله، بلغت أن وصفها هو ب «الإيمان»، نعم «الإيمان» أن يؤمنوا به، وإليك ما كتبه محمد عساف حول ذلك، غير مستنكرٍ له بل مؤيدٍ مدافعٍ تحت عنوان: اختبارات:

كان الإمام الشهيد إذا وقع اختياره على شخصٍ ما ليكون مساعدًا له أو أمينًا على سرٍّ من أسرار الدعوة، يختبره أولًا في إخلاصه وصدقه، ثم يتبين له بالتجربة معه ما إذا كان صالحًا، أو غير صالحٍ للعمل الذي يوكل إليه، فإذا نجح يختبره مرةً أخرى ليتعرف على قدرته على تحمل المسئولية وعلى الإخلاص والصدق في النصيحة. من حيث الإخلاص كان يسأل الشخص المرشح سؤالًا: هل إذا حدث انقلابٌ في الإخوان وأُبعد حسن البنا، هل تظل تعمل في الجماعة؟

كان هذا السؤال يلح عليه، حيث انشق بعض الإخوان من قبل معارضين فكر الجماعة، مثل شباب محمد وغيرهم، الذين لم يعجبهم أسلوب حسن البنا في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة،

ويرون في العنف وتغيير المنكر باليد وسيلةً للإصلاح. ولم يحس أمثال هؤلاء بمدى تجسيد الدعوة في شخص حسن البنا وما اتسم به خلقه الرفيع وسلوكه السوي المتزن، ومن كان مثلهم فإنه يجيب بأن الدعوة باقيةٌ، وحسن البنا زائلٌ، ولعل هذا يكون ردًّا معقولًا لصاحب التفكير السطحي! فيقول له الإمام: وماذا لو حدث ذلك في حياة حسن البنا؟

حدث ذلك معي قبل أن أعمل معه أمينًا للمعلومات ومطلعًا على أسرار النظام الخاص، فقلت له: إن دعوة الإخوان المسلمين بغير حسن البنا ستكون شيئًا آخر غير دعوة الإخوان التي تعلمناها وعرفناها وتربينا فيها.

قال لي: انظر يا محمود! إن الإيمان بالإسلام يقوم على شهادتين: ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. ولا تصلح الشهادة الأولى وحدها ليصير الشخص مسلمًا، ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم يتجسد الإسلام في شخصه، ويمكن الإحساس به في خلقه وسلوكه صلى الله عليه وسلم.

فإذا آمن الشخص بألا إله إلا الله، ولم يؤمن بأن محمدا رسول الله، فهو كأهل الكتاب الذين يؤمنون بالله فقط، ولا يعترفون برسول الله صلى الله عليه وسلم.

يجب أن يكون الإيمان بالفكرة وصاحبها معًا. فلسنا جمعية ولا تشكيلًا اجتماعيًّا، إن كنا كذلك فلا أهمية للقائد، ويمكن أن يكون أيًّا من أعضاء الجماعة أو الجمعية أو التشكيل. أما ونحن دعوة فلا بد من الإيمان بها والسير على نهج داعيتها والعمل على تطبيق أفكاره متى اقتنعنا به عن رضا. ولا تظنن أن طاعة القائد واجبةٌ في كافة الظروف، ولكنها تقتصر فقط على اقتناعنا الخاص وثقتنا في القائد بالدرجة التي تبعد الشك به أو سوء الظن به.

كان للإمام سحره النابع من إخلاصه، والإخلاص ينتقل كالعدوى، لذلك كان كل معاونيه من الصادقين المخلصين[1].

ولعل عساف هذا هو المعني بكلام الشيخ محمد الغزالي:

قال لي ذات يومٍ، واحدٌ من أقرب رجال المرشد إليه: إن الإيمان بالقائد جزءٌ من الإيمان بالدعوة، ألا ترى أن الله ضم الإيمان بالرسول إلى الإيمان بذاته، جل شأنه؟ ذلك لأن المظهر العملي للطاعة والأسوة هو في اتباع القائد اتباعًا مطلقًا. ثم استدرك محدثي يقول: لا أعني بهذا أن أسوي بين المرشد والرسول في حقيقة الطاعة، إنما أقصد دعم مشاعر الولاء نحو الرجل الذي يحمل راية الدعوة، فأنا أضرب مثلًا فحسب.[2]

1 عساف، **مع الإمام حسن البنا**، ص. ص 61-63.

2 الغزالي، **من معالم الحق**، 246.

والمعنى أكثر من واضحٍ: عليكم أن تؤمنوا بالدعوة وبصاحبها - الذي هو أنا - حسن البنا- ولهذا لم يكن الرجل يمانع أن يقبل أتباعه يديه، وكان منهم من يُقْبِلُ على هذا بشغف عباديٍّ، فها هو كامل الشافعي - من رعيل الإخوان الأول - يقول: لقد كنت أقبل يدين وأشعر حين تقبيلهما أنني أعبد الله! أما الأولى فيد أبي - رحمه الله - لأنه سر وجودي، وأما الثانية فيد صاحب الذكرى (حسن البنا) لأنه أنار لي هذا الوجود.[1] وماذا إذن عن الشورى والاستنارة بآراء الرجال، في تنظيمٍ تراتبيٍّ صارمٍ، سيتورط في أعمالٍ بالغة الخطورة، تصل إلى حد الجرمية؟ ليس البنا، بهذه الشخصية الاستبدادية الاستحواذية، بالذي يذهب إلى إلزامية الشورى، وقد كتب عبد العزيز كامل في مذكراته:

كان من رأي الأستاذ المرشد أن الشورى غير ملزمةٍ للإمام، كتب هذا صراحةً ودافع عنه، ولم يتحول عن هذا الرأي، وسرى منه إلى من حوله. وفي أواخر الثلاثينات، وهي السنوات الأولى لحياتي في الإخوان، كنت أسمع كثيرًا كلمة «بالأمر» وهي كلمة عسكرية، تعني أن تفعل هذا كما هو مأمورٌ به من مستوى أعلى.[2]

ثم ذكر كامل أن البنا قال له مرةً:

ستأتي أيامٌ وظروفٌ قد نختلف فيها، وأود في هذه الظروف أن

1 رزق، **الإمام الشهيد حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه**، ص 157.

2 كامل، **في نهر الحياة**، 53.

تـترك رأيـك لرأيـي، ألا تطمـئن إلي؟ وكثـيرًا مـا كان يسـألني عنـد أول لقائنـا: مـاذا تقـرأ هـذه الأيـام؟ في كثـيرٍ مـن الأحيـان كانـت ردودي لا تتعـدى مؤلفـات ثلاثـة مـن أئمتنـا الكبـار: ابـن حـزم، وابـن تيميـة، وابـن القيـم. مصادفـات كانـت تحـدث، وتكـون ردودي مركـزةً عـلى هـؤلاء الأعـلام، فيبتسـم قائـلًا: دائمًـا معهـم؟![1]

وكان الشـيخ محمـد الغـزالي عـبّر عـن انزعاجـه الشـديد مـن هـذه النزعـة الطاعويـة التـي تطابـق «عصمـة القائـد» فكتـب يقـول محتـدًّا، في فصـل عنونـه «السـمع والطاعـة»:

الأحـزاب المناوئـة للحـكام عندمـا تفقـد نعمـة العلانيـة في التنفيـس عـن رغباتهـا، والإبانـة عـن مقاصدهـا أو غاياتهـا، لا تـرى بـدًّا مـن جمـع فلولهـا في الظـلام، ونـشر تعاليمهـا في شـكل رسـائل أو منشـورات مقتضبـةٍ حاسـمةٍ، والوسـيلة الوحيـدة عندهـم هـي المقاومـة السريـة، حيـث يتلقـى الأتبـاع الأوامـر الصـادرة مـن فـوق، عـلى أنهـا نصـوصٌ واجبـة الطاعـة، لا مجـال البتـة لمناقشـتها أو التملـص منهـا، إلا أن شـيئًا مـن هـذا لا يجـول بخاطـر أحـدٍ مـن الأتبـاع؛ لأن تنفيـذ هـذه الأوامـر ديـنٌ، تقبـل عليـه النفـس بلـذة وشـغف، ولـو كانـت عقبـاه العطـوب. وفي هـذه الدائـرة المظلمـة تتحـول الثقـة في القيـادة إلى قولٍ بعصمـة الأئمة... وأظـن أن الفرق الكثـيرة التـي نهشـت جوهـر الإسـلام، مـن باطنيـةٍ وقرامطـةٍ وغيرهـم، لم

1 **كامل، في نهر الحياة**، 53ـ54

تتولـد إلا في هـذه البيئـة. إن الأوامـر التـي يصدرهـا أشـخاصٌ فقـدوا قـوة العمـل في النـور قلـما تخضـع لتمحيـص المنطـق وتحقيـق الشـورى، حتـى بعـد أن تواتيهـم السـلطة ويقيمـوا حكـمًا يرعـى أمـور النـاس في وضـح النهـار. وهكـذا ينتقـل مبـدأ تقديـس الزعامـة مـن صفـوف المعارضـة إلى صفـوف الحكـم نفسـه، والإسـلام بـريءٌ مـن هـذا كلـه. وقـد رأيـت جـمًّا غفـيرًا مـن شـباب الإخـوان المسـلمين ينظـرون إلى مرشـدهم نظـرةً يجـب أن تـدرس وأن تحـذر. قـال أحدهـم في اجتـماع ضخـمٍ للهيئـة التأسيسـية: إن المرشـد لا يخطـئ... قـال لي ذات يـومٍ واحـدٌ مـن أقـرب رجـال المرشـد إليـه: إن الإيمـان بالقائـد جـزءٌ مـن الإيمـان بالدعـوة، ألا تـرى أن اللـه ضـم الإيمـان بالرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم إلى الإيمـان بذاتـه جـل شـأنه؟ ... أمـا الـذي تحـار البريـة فيـه فهـو إطبـاق قبيـل مـن النـاس عـلى تقديـس شـخصٍ ليسـت لديـه ذرةٌ مـن خصائـص الأمجـاد، أينـما توجهـه لا يـأت بخـيرٍ.[1] ثـم شرع الغـزالي يتكلـم عـن اخـتراق الجماعـة بالقـوى الاسـتعمارية والماسـون.

1 الغزالي، **من معالم الحق**، ص. ص 245-247.

الوسيلة الرابعة: التقية والكذب والتلون

ربما تكون الكتابة حول هذا الأسلوب – خصوصًا - من أصعب المهام، وذلك لكثرة الشواهد، عبر تاريخ هذه الجماعة، الناطقة بتلونهم ومهارتهم في الاختداع والتقية ومزاولة الكذب.

ومن مظاهر ذلك، ما ثبت عنهم من التسلل والاندساس في الأحزاب والتنظيمات الأخرى ليقفوا على أسرارها، وليتمكنوا من تنفيذ بعض خططهم، كما اتفق في حادث اغتيالهم لرئيس الوزراء النقراشي باشا، ومن قبله أحمد ماهر باشا. وهذه الطريقة مأخوذةٌ بحذافيرها عن الحشاشين الذين اغتالوا الوزير السني السلجوقي نظام الملك الطوسي، والخليفة العباسي المسترشد بالله، والأفضل شاهنشاه - الوزير المملوكي -، وحاولوا اغتيال صلاح الدين الأيوبي - على الأقل مرتين - ولكنهم فشلوا في ذلك.

ومنها تغيير مواقفهم، وخطابهم - من حالةٍ إلى أخرى - بما يخدم مقاصدهم من جهةٍ، وينجيهم من التبعات من جهةٍ أخرى.

ومنها - ولعله أخطرها وأوغلها في المكر والدهاء - تقاسم الأدوار بينهم، بحيث يضطلع فريقٌ منهم بدورٍ ما، بينما يقوم فريقٌ ثانٍ بدورٍ مخالفٍ، حتى إذا ما حوققوا دفعوا عن أنفسهم بأن ذلك لا يمثلهم وليس حجةً عليهم، بدليل أن فلانًا وعلانًا لهم موقفٌ مختلفٌ.

وسأتخير بعض الشواهد الدالة على أشباهها، مما يحسن أن يتتبعها باحثٌ مهتمٌ ويستقصيها - أو أكثرها - نصحًا للمسلمين، وتحذيرًا من دجل جماعةٍ غررت ولا تزال بالكثيرين.

أ. سفالة بسفالة:

يروي محمود عساف كيف أن الوفد لما أحس بقوة الإخوان وأنهم سحبوا البساط الشعبي من تحت رجليه، بدأت جرائد الوفد؛ صوت الأمة، والبلاغ، والجمهور، والنداء، هجومًا عنيفًا على الإخوان، اتسم بالخروج على الأعراف والأخلاق. ويعرض لنا عساف أنموذجًا من إسفاف صحف الوفد:

ما ورد في صوت الأمة لسان حزب الوفد يوم 9 مايو 1947 حيث تقول تحت عنوان: « الشيخ راسبوتين... يفقد عقله وأدبه »:

استطاع هذا الشيخ الملتاث أن يكتب خطابًا إلى رفعة زعيم الوادي ويحشوه بالمطاعن والسباب، ويصور فيه نفسه وما فطر عليه من خلقٍ. يا مولانا الشيخ: أنت أحقر من أن تكتب إلى وفديٍّ عاديٍّ. فما بالك بهذه الجرأة المجنونة التي دفعتك بالكتابة إلى زعيم الوادي والدين، وانفض من جماعتك كل غيورٍ على كرامة الإسلام والمسلمين؟ من أنت يا مدرس الخط حتى تجعل من نفسك شيئًا فتتكلم إلى رجلٍ بينك وبينه ما بين الأرض والسماء؟ هل بعد تذبذبك وحقارة

تصرفك ضد إخوانك وخيانتك لمبادئ الإسلام الشريف... أبعد هذا أيها المستعبد لشهواته ونزواته الوضيعة تجد من نفسك الجرأة على أن تقوم بدور الممثل التافه في دور المصلح الهادي؟

يقول عساف: أيدري القارئ لماذا هذه السفالة والسباب؟ لأن الإمام البنا وجه خطابًا مفتوحًا لمصطفى النحاس على صدر جريدة الإخوان المسلمين اليومية، يسأله أن يتضامن مع الإخوان في طلب تطبيق الشريعة الإسلامية وإغلاق المواخير ودور القمار. وفي آخر المقال وعد الإمام مصطفى النحاس بأنه إذا فعل ذلك فإن الإمام سيسلمه جموع الإخوان أنصارًا له.

ازدادت حملة الصحف الوفدية عنفًا. وأورد الأستاذ محسن محمد في كتابه من قتل حسن البنا نماذج مما قالته تلك الصحف في مايو ويونية 1947 ومن ذلك:

- يمعن الشيخ في التضليل فيزعم أنه ليس حزبًا سياسيًّا، إذن ماذا أنت وجماعتك يا هذا. أنت تزاول نوعًا من السياسة هو أرخص وأقذر الأنواع.
- انحسر آخر قناع عن وجه الشيخ حسن البنا، فإذا به أقبح سياسيٍّ لعب على مسرح السياسة في الجيل الحاضر، إن العفن والقاذورات والألفاظ النابية، بل والجرائم المنكرة مصدرها وكر الإخوان.

- أما من الذي أيقظ الفتنة فهو أنت أيها « المرشد « المضلل.
- شيخ متآمر متستر خلف الدين.
- أيها الشيخ الماجن لقد أفصحت عن حقيقة أمرك، بعبثك وخداعك، فانكشف سترك ووضحت جنايتك السافرة.
- إلى زعيم عصابة الإخوان: صليتم تظاهرًا، وتصدقتم تفاخرًا، واتخذتم هيئة الصلاح لتتسلطوا على عقول البسطاء.
- إن جماعة الإخوان المسلمين فضيحة قومية للمصريين في العصر الحاضر.
- أصبحت ذمة الشيخ مطاطةً. الشيخ المصلي العارف بالله يكذب علنًا في جريدته.
- شيخ سوءٍ ينحدر هابطًا، كلما انتفخ جيبًا فهو يتعمق في الإسفاف كلما أفعم جيبه بالمال، أجير لا يكتب من وحي قلمه. وإنما يدافع عن انتفاخ جيبه. ومقياس الصالح من الطالح عنده هو مقدار ما تمتد له به الأيدي من نفحات وعطايا فإن قرأت فجورًا وقحةً فاعلم أنه قد قبض.
- الشيخ الأفاق، الشيخ الأشر.
- الإسلام ليس لحيةً ولا عمامةً، ولا سفسطةً، بل هو تعاليم نبيلةٌ رفيعةٌ تطبع المؤمنين بطابع الشرف والأخلاق، والسمو وعدم

الإسفاف، لا الجري وراء المال الحرام باستخدام التهريج، والدجل والضحك على الذقون.

وعرض عساف أنموذجًا مما كتبته جريدة الإخوان عن الوفد، فانظره ثم احكم أنت: هل هو قولٌ جميلٌ مهذبٌ:

إن كل ما قالته جريدة الإخوان ردًّا على جرائد الوفد كان كالآتي:

صحف الوفد تفيض إباحيةً وفجورًا، وعلى الوفديين أن يجددوا إسلامهم!! فهم في تصرفاتهم خصم للإسلام وحرب على تقاليده وتشريعه، وأن النحاس بعد 4 فبراير صار متعاونًا مع الإنجليز تعاونًا كاملًا... ويخاف الوفد على زعامته الشعبية... وزعماؤه يدجلون على الشعب ويغررون بالسذج البسطاء. وصحف الوفد تلغ في أعراض الأبرياء بلا تورعٍ ولا حياءٍ.

يقول عساف: رد مهذب لا سباب فيه ولا شتائم مقذعة مثلما ورد في جرائد الوفد من سفالات.

تكفير صريح، ورمي بمعاداة الإسلام ومخاصمته، وبالتدجيل والتغرير بالبسطاء من الناس، واتهام زعيم الوفد بالعمالة للإنجليز... إلخ ثم لا يرى عساف فيه إلا التهذيب والبعد عن الإقذاع! لكن فيم العجب، فشعب الله المختار يرى القذاة في عين الخصم ويعمى عن الجذع في عين نفسه. صدق جورج أورويل حين قال: اللغة السياسية مصممة لجعل الأكاذيب تبدو صادقة، والقتل محترمًا، والفراغ الصرف كأنه شيءٌ متماسكٌ.

يستتلي عساف بعد ذلك:

فكرَّ الإمام حسن البنا فيما ينبغي فعله لمواجهة شتائم جرائد الوفد والرد على سفالاتهم، وكانت الفكرة جديدةً لم تخطر على بال أحدٍ، وكلفني بتنفيذها.. تلك الفكرة هي إصدارٍ مجلةٍ مستقلةٍ تنبري للرد على جرائد الوفد بذات الأسلوب.

استدعاني الإمام إلى مكتبه وشرح لي الفكرة موضحًا أنه لا سبيل للرد على سباب الوفد إلا بمثله، بأسلوبٍ رادعٍ بشرط ألا يمس تاريخ وأدب الإخوان، وعلى ذلك ينبغي أن تنأى جريدة الإخوان اليومية عن هذا الأسلوب فهي جريدة للتاريخ، وسيكتب عنها المؤرخون فيما بعد، ولا يجب أن تنزل عن المستوى الرفيع الذي احتلته في نفوس الناس، جمعني الإمام مع الأخ الأستاذ أمين إسماعيل، وجلسنا سويًّا نتداول في الأمر، واخترنا هيئة التحرير من كبار الكتاب الساخرين في ذلك الوقت.

رأيت والأستاذ أمين إسماعيل أن نتقدم باستقالتنا من الهيئة التأسيسية للإخوان حتى لا نجرح الجماعة ونسيء إلى تاريخها، ونتحمل عبء ما يقع من أخطاء أو إسفاف في الأسلوب الذي كان يناسب ظروف ذلك الوقت.[1]

أيًّا ما كان، فهذا أنموذجٌ من المعارك التي كان البنا وحزبه

1 عساف، **مع الإمام حسن البنا**، 181 .

ينخرطون فيها، عوض أن يشكلوا جامعًا مشتركًا بين مكونات الشعب، دعاةً إلى المعروف بالمعروف، كما زعموا أنها رسالتهم الأصلية ومهمتهم الكبرى. محالٌ أن تنازع على الدنيا ثم ترتقب من خصومك أن يحبوك أو يصدقوك. أما كان لهم اسوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أبى على قريشٍ موافقتهم في نيل شيءٍ مما عرضوه عليه من ملكٍ ومالٍ ونساءٍ، أسوةً منه صلى الله عليه وسلم بإخوانه النبيين الذين كانوا جميعهم يخاطبون أقوامهم ﴿**وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ**﴾ [الشعراء: 109]، أوما كان لهم درسٌ فيما وقع بين خير القرون، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، بسبب الخلاف على الملك، أوما علموا أن الدنيا كما وصفها الشافعي فيما ينسب إليه:

وما هي إلا جيفةٌ مستحيلةٌ عليها كلابٌ همهن اجتذابها
فإنْ تجتنبها كنتَ سلمًا لأهلها وإن تجتذبها تنازعتك كلابها

ب. البنا يخادع باعتراف أتباعه:

بعد حادثة السيارة الجيب، وما تلاها من محاولة الإخوان تدبير تفجير في المحكمة لإتلاف وثائق تتعلق بقضيتهم، ولكن العملية فشلت، واضطر حسن البنا إلى إصدار بيانه الشهير «ليسوا إخوانًا وليسوا مسلمين» (مرة أخرى نحن في مواجهة التكفير، لكن هذه المرة في حق فريق من أتباعه!!)، كل هذا سرده محمود الصباغ، أحد المقربين من البنا، وقائد مجموعات التنظيم الخاص في بور سعيد،

ومؤرخ التنظيم الخاص، لكنه – وللعجب - لم ير في بيان البنا ما يستنكر، وقد رمى أدواته بالكفر وسلخهم من جماعته، لم ينكره لأنه موقنٌ أن البنا فعل ذلك تقيةً وخداعًا! كتب يقول:

مما اضطر المرشد العام إلى إصدار بيانه «ليسوا إخوانًا وليسوا مسلمين» ليساعد على تخفيف الضغط على الإخوان، وهو أمرٌ جائزٌ شرعًا في الحرب!! ويعد من خدعه... ولكن الأخ عبد المجيد أحمد حسن (قاتل النقراشي) لم ينتبه إلى ذلك وتأثر بالبيان تأثرًا قاده إلى الاعتراف على إخوانه (أي في جريمة اغتيال النقراشي). ولكن باقي الرجال كانوا يعلمون أنهم إخوان وأنهم مسلمون.[1]

والظاهر أن مؤرخ الجماعة، محمود عبد الحليم، لم يطلع على ذاكم التدبير الماكر من البنا وعساف، ما يُفهم أن البنا كان يصطنع التقية حتى مع كبار أتباعه، ربما لعلمه أنه إذا شهر بذلك اضمحلت الثقة به، ولم يعد أتباعه يأمنون جانبه.

كتب محمود عبد الحليم معلقًا على ما كانت تنشره صحف الوفد في حق مرشده:

لقد خلع الوفد العذار في هجومه على الإخوان وتخلى عن الأخلاق والآداب والمثل، واندفع كالمجنون الذي فقد عقله...ولم يقابل

1 الصباغ، **حقيقة التنظيم الخاص**، ص. ص 451-452.

الإخوان هذا الهجوم الغادر بمثله، بل تذرعوا بالصبر وواصلوا مسيرتهم في هدوء، وكان الأستاذ المرشد يتمثل بقول الشاعر:

من كان يخلق ما يقولُ فحيلتي فيه قليلة.[1]

والأنموذجان السابقان يشيران إلى طريقة البنا الميكافيلية في التنصل من الجرائم والشناعات، إما بتحميل بعض أتباعه لتبعاتها، وإما بالتقية والاختداع يمارسهما بنفسه، الأمر الذي يلزمنا بإعادة النظر في كل ما أنكره مما ارتكب من جرائم في حياته.

ج. التقية والملق والدهان:

وكان رائدهم في هذا المؤسس، فمن جهةٍ كان البنا يكيل المدح للملك بشكلٍ لا يخلو من غلوٍّ، بينما كان رأيه وأتباعه في الباطن غير ذلك. وبلغ من غلو البنا في الملك أن أثار استياء سائر الأحزاب العاملة على الساحة، ودونك نماذج يسيرة من تملق البنا للملك فاروق والغلو في مدحه وتعظيمه:

- عاد فاروق في مطلع عام 1945 من زيارته الأولى للمملكة العربية السعودية، فأرسل البنا برقية تهنئةٍ إلى القصر، هذا نصها:

حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس الديوان العالي:

1 عبد الحليم، **الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ**، ص 476.

أرجو أن ترفعوا إلى سدة الملك المحبوب أخلص آيات التهنئة والتبريك لسلامة العودة من الأرض المقدسة، وكمال التوفيق في توثيق روابط المودة بين مصر وجارتها العزيزة مع أسمى آيات الولاء والإخلاص، والله نسأل أن يعز الإسلام والعروبة بالفاروق العظيم.

- خطاب نشرته مجلة الإخوان في أبريل 1946، كان البنا أرسله إلى القصر:

حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ملك وادي النيل - حفظه الله - السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،

فأنت يا صاحب الجلالة موضع الأمل، ومعقد الرجاء لوادي النيل ولأبناء العروبة ولشعوب الإسلام، عاطفة من الولاء والحب غرسهما الله لك في قلوب الناس، لإرادة يعلمها وحكمة يريدها، لعلها أن تجتمع بك الكلمة ويرأب الصدع وتلتقي في ساحتك الأماني والآمال.

ومصر الآن يا صاحب الجلالة تجتاز أدق مراحل تاريخها الحديث...حتى يحيا (الوطن) حياة الحرية والكرامة والاستقلال في ظل عرشك العزيز وتاجك المقدس!!... وتلك ليس لها إلا نظرك السامي ورأيك الثاقب السديد، فتفضل يا مولاي وآس بيدك الكريمة هذه الجراح، وأنت نعم الطبيب...[1]وكان البنا من قبل وصف فاروق بالخليفة المنتظر.[2]

1 النمنم، حلمي، **حسن البنا الذي لا يعرفه أحد**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2013، ص. ص 143-145.

2 **السابق**، ص 146.

- وفي رسالة وجهها البنا إلى الملك، كتب يقول:

يـا مـولاي، لقـد برهنتـم جلالتكـم في كل موقـفٍ عـلى اعتزازكـم بتعاليـم الإسـلام، وحرصكـم عـلى أن تسـود الـروح الإسـلامي النبيـل مظاهر حيـاة شـعبكم المخلـص، وكنتـم في ذلـك خـير قـدوةٍ.

وورد في رسالة أخرى مؤرخة في شهر أكتوبر من عام 1946:

إن جلالتكـم وأنتـم الوطنـي الأول، خـير مـن تتحقـق عـلى يديـه الآمـال، وتنصلـح بسـامي حكمتـه وجميـل إشـارته وتوجيهـه الأحـوال.[1]

وفي آثـار مرشـدهم وعـى خطـاه كان الإخـوان أيـام البنـا يتظاهـرون ويهتفـون بحيـاة الملـك، قـال محمـود عبـد الحليـم:

كنـا أكـثر مـن مئـة جـوالٍ يتقدمنـا الأسـتاذ المرشـد بملابـس الجوالـة، وحـضر الركـب الملـكي يتقدمـه الملـك وبجانبـه أحمـد ماهـر... فحيينـاه هاتفـين لـه وللإسـلام، فأخـذ ماهـر بيـد الأسـتاذ المرشـد وقدمـه للمـلك فسـلم عليـه الأسـتاذ مصافحًـا باحـترامٍ.

وقـال أحمـد رائـف: وكانـوا ينظمـون المظاهـرات تهتـف بحيـاة الملـك أثناء ذهابه إلى البرلمان، وحتى يطمئن الأمن ويسـمح للمظاهرة ويفسـح لها الطريـق وتقـترب مـن موكب فـاروق أكثر، هنـا ترتفـع الهتافـات الإخوانية.[2]

1 الوصيفـي، عـلي السـيد، **الإخـوان المسـلمون بـين الابتـداع الدينـي والإفـلاس السـياسي**، دار سـبيل المؤمنـين، القاهـرة، 2012، ص 318.

2 **السابق**، ص. ص 319-320.

وإلى الآن لا شيء غـير مألـوفٍ، فمـدح الملـوك والسـلاطين شـائعٌ في تاريخنـا، عـلى ألسـنة الشـعراء والأدبـاء والعلـماء والكاتبـين، لكـن غـير المألـوف، بـل غـير المقبـول شرعًـا وخلقًـا، أن يُمـدح الملـك ويُغـالى في مدحـه في العلـن، بينـما يُـذم ويوصـف بأبشـع الأوصـاف وأرذلهـا في الـسر، فهـذا مـن التلـون والحربائيـة التـي لا يسـمح بهـا الديـن، ففتحـي العسـال، في كتابـه الإخـوان بـين عهديـن ينقـل عـن البنـا أنـه قـال في الملـك وأعوانـه: إننـا لا نثـق بهـؤلاء الطغـاة... الذيـن يسـتمدون سـلطانهم مـن الطاغيـة الأكـبر! وكان يسـميهم «العبارقـة» أي عبيـد فـاروقٍ.

كان (البنـا) يعلـم أن المجـد وأن العـز وأن الحريـة لـن تنـال بمغـرم يتصـدق عليـه بـه طاغيـةٌ مجـرمٌ مفتـونٌ، يريـد بذلـك الملـك فـاروق، ثـم رمـاه «بالكفـر» وجعلـه مـن أهـل النـار، قائـلًا: لا يسـعنا أن نقـول لمثـل هـؤلاء ونوجـه إلى كل آثـم منهـم ﴿**قُـلْ تَمَتَّـعْ بِكُفْـرِكَ قَلِيـلًا ۖ إِنَّـكَ مِـنْ أَصْحَـابِ النَّـارِ**﴾ [الزمـر: 8].[1]

لقد كان السلف الصالح يرون هذا التلون من النفاق:

فقـد روى الإمـام أحمـد، وغـيره عـن أَبِي الشَّـعْثَاءِ قَـالَ: قِيلَ لِابْـنِ عُمَرَ: إِنَّـا نَدْخُـلُ عَـلِى أُمَرَائِنَـا، فَنَقُـولُ الْقَـوْلَ، فَـإِذَا خَرَجْنَـا قُلْنَـا غَـيْرَهُ. فَقَـالَ: كُنَّـا نَعُـدُّ هَـذَا عَـلِى عَهْـدِ رَسُـولِ اللَّـهِ، صـلى الله عليه وسـلم: النِّفَـاقَ.[2]

1 **الوصيفي، الإخوان**، 321-322.

2 **مسـند أحمـد بـن حنبـل**، رقـم الحديـث 5829، 87/10. وقـال المحقـق: إسـناده صحيـح عـلى شرط الشـيخين.

كما روى أحمد أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ لَقِيَ نَاسًا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِ مَرْوَانَ فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ جَاءَ هَؤُلاءِ؟ قَالُوا: خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ الأَمِيرِ مَرْوَانَ، قَالَ: وَكُلُّ حَقٍّ رَأَيْتُمُوهُ تَكَلَّمْتُمْ بِهِ، وَأَعَنْتُمْ عَلَيْهِ؟ وَكُلُّ مُنْكَرٍ رَأَيْتُمُوهُ أَنْكَرْتُمُوهُ، وَرَدَدْتُمُوهُ عَلَيْهِ؟ قَالُوا: لا وَاللَّهِ، بَلْ يَقُولُ مَا يُنْكَرُ، فَنَقُولُ: قَدْ أَصَبْتَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ؛ قُلْنَا: قَاتَلَهُ اللَّهُ مَا أَظْلَمَهُ وَأَفْجَرَهُ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «كُنَّا بِعَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعُدُّ هَذَا نِفَاقًا لِمَنْ كَانَ هَكَذَا».[1]

وروى أبو داود عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كان له وجهانِ في الدُنيا، كان لهُ يومَ القيامَةِ لسانانِ من نار.[2]

د. توزيع الأدوار:

وهذا ملمحٌ من أخطر ما تتوسل به هذه الجماعة المتلونة، وهو وحده كفيلٌ بإسقاط الثقة فيهم بالمرة، إذ كيف تثق بأناسٍ يوزعون الأدوار بينهم، بحيث يقوم بعضهم بعملٍ، فإذا كشف، وجرموا به، انبرى فريقٌ ثانٍ منهم لإعلان البراءة منه، وأنه لا يمثل الجماعة ولا يعبر عن موقفها الرسمي، فشابهوا بهذا من قال الله فيهم ﴿**أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ**﴾ [البقرة: 8]، ومر بنا

1 **مسند أحمد بن حنبل**، رقم الحديث 5373، 273/9. وقال المحقق: حديث صحيح.

2 **سنن أبي داود**، أول كتاب الأدب، بابٌ في ذي الوجهين، 4873، 235/7.

كيف اتفق البنا مع عساف على توزيع الأدوار، بحيث يقوم عساف بالعمل القذر، ويظل البنا متظاهرًا بالطهر والنزاهة.

وإليك ما كتبه الإخواني صلاح الصاوي، تحت عنوان «عدم التورط في إدانة بقية الفصائل العاملة للإسلام» أنقله - على طوله - لتعرف كيف يفكر هؤلاء النهازون المتلونون:

ولهذا، فإن المشتغلين في هذا المجال مدعوون إلى توثيق الصلة مع الفصائل العاملة للإسلام كافةً، والحذر من إسقاط الشرعية من أعمالهم الدعوية أو الجهادية، ولو بإشارةٍ عارضةٍ، إلا إذا كان ذلك ضمن منظومةٍ كاملةٍ من التنسيق والتكامل. وسبيلهم إلى ذلك ما يلي:

التأكيد على أن العمل السياسي هو أحد المجالات التي تمارس من خلالها الحركة الإسلامية دعوتها الشاملة للإصلاح والتجديد. وأن العمل لنصرة الإسلام لا ينحصر في هذا الإطار. وأنها إن كانت قد رابطت على هذا الثغر فإن بقية الفصائل العاملة للإسلام مدعوةٌ للمرابطة على بقية الثغور.

عدم التورط في إدانة الفصائل الأخرى العاملة للإسلام إدانةً علنيةً، تحت شعار الغلو والتطرف، مهما تورطت هذه الفصائل في أعمال تبدو منافيةً للاعتدال والقصد والنضج. فإن كان لا بد من حديث للتعليق على بعض هذه الأعمال الفجة، فليبدأ أولًا بإدانة الإرهاب

الحكومي في قمع الإسلام والتنكيل بدعاته، والذي كان من نتائجه الطبيعية هذه الأعمال، التي تبدو غاليةً وحادةً، والتي تمثل رد فعل متوقعٍ لما تمارسه الحكومات من تطرف في معاداتها للإسلام، وغلو في رفضها لتحكيم شريعته. وأنه لا سبيل إلى حسم هذه التداعيات وسد الذريعة إلى التطرف من الفريقين إلا بتحكيم الشريعة وإقامة كتاب الله في الأمة، فيردع الغلاة والجفاة.

وذلك لأن الإدانة المطلقة لهذه الأعمال الجهادية ستكرس بطبيعة الحال الخصومة مع هذه الفصائل، وتملأ ساحة العمل الإسلامي بالفتن والتهارج، اللهم إلا إذا كان ذلك كما سبق، بتنسيقٍ مسبقٍ، وتوزيعٍ متبادلٍ للأدوار.

وإن الجاهلية لأحرص ما تكون على استنطاق الإسلاميين في هذه المجالس لإدانة الأعمال الجهادية التي تقوم بها الفصائل الأخرى، تحت شعار نبذ الإرهاب، ومحاربة التطرف وسوف تمارس من الضغوط في ذلك ما لا يقوى على لأوائه إلا الصابرون، وقد تتهمهم بالتواطؤ مع المتورطين في هذه الأعمال، إنْ لم يصدر عنهم إدانةٌ صريحةٌ لها، وبراءةٌ ظاهرةٌ من أصحابها. وهي بذلك تحقق أهدافها بكل دقةٍ، فتشقق التيار الإسلامي، وتؤجج الفتن بين فصائله من ناحيةٍ، وتنكل بهذه الاتجاهات الجهادية بكل شرعيةٍ من ناحيةٍ أخرى.

ومن هنا تأتي ضرورة الحرص البالغ والدقة المتناهية فيما يصدر

عن الإسلاميين في هذه المجالس من تصريحات ومقولات تمس إحدى هذه الفصائل. هذا، ولا يبعد القول بأن مصلحة العمل الإسلامي قد تقتضي أن يقوم فريقٌ من رجاله ببعض هذه الأعمال الجهادية، ويظهر النكير عليها آخرون، ولا يبعد تحقيق ذلك عمليًّا إذا بلغ العمل الإسلامي مرحلةً من الرشد أمكنه معه أن يتفق على الترخص في شيءٍ من ذلك، ترجيحًا لمصلحة استمرار رسالة الإسلاميين في هذه المجالس بغير تشويشٍ ولا إثارةٍ.[1]

ووقائع توزيع الأدوار بينهم تستحق دراسةً بحيالها، ليقف الناس على مبلغ القوم في التمثيل والتدجيل، ونكتفي هنا بواقعةٍ واحدةٍ منها لها علاقة بسيد قطب والهضيبي، فعلي عشماوي - من قيادات التنظيم الخاص - في مذكراته يذكر: أن سيد قطب لم ينضم إلى تنظيمهم السري المسلح ليكون قائده الأول إلا بعد أن استأذن المرشد العام حسن الهضيبي،[2] وهو أيضًا ما ورد في كتاب زينب الغزالي أيامٌ من حياتي:

فكان الهضيبي قد أوكل كل المسؤوليات لسيد قطب، وكانت اتصالاتنا كلها به حسب أمر الهضيبي.[3] لكن في المقابل يدعي فريد عبد الخالق أن المرشد لم يكن لديه أي علمٍ بهذا التنظيم أصلًا!! قال:

1 الصاوي، صلاح، **الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر**، دار الإعلام الدولي، القاهرة، 1994، ص. ص 257-259.

2 عشماوي، **التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين**، ص 77.

3 الغزالي، زينب، **أيام من حياتي**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1999، ص 48.

فكانت المفاجأة الكبيرة والأليمة أن لا علم للمرشد بهذا الأمر، وأنه لم يأذن بشيءٍ من ذلك قط، وأن الأمر بالغ الخطورة على الجماعة كلها لا على التنظيم فحسب.[1]

وهكذا يشتغل هذا التكتيك الشيطاني، على حد قول الشاعر:

إني لأكثر مما سمعتني عجبًا يدٌ تشج وأخرى منك تأسوني

وأصله قول العرب في أمثالها: يشج ويأسو، وقولها: يكلم بيد ويأسو بأخرى.

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الصنيع، فقد روى البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تجدون من شر الناس عند الله تعالى يوم القيامة ذا الوجهين؛ الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه.[2]

هـ. الكذب:

وهم لا يتعاطون هذه الرذيلة المهلكة فقط مع الجماهير، بل فيما بينهم أيضًا، ما يدل على عراقتهم في هذا الباب،وهذا نزر يسير من وقائع كذبهم الكثيرة، منها لما نشر الغزالي، وصالح عشماوي، وأحمد عبد العزيز جلال، من الخارجين على الهيئة التأسيسية للجماعة، بيانًا ذكروا فيه أن

1 عبدالخالق، **الإخوان المسلمون في ميزان الحق**، ص 113.

2 **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب ما قيل في ذي الوجهين، رقم الحديث 6058، 18/8.

المرشد العام حسن الهضيبي استقال من منصبه، قررت الهيئة التأسيسية فصلهم بتهمة افتراء الكذب، وأقسم أعضاء الهيئة أغلظ الأيمان أن المرشد لم يستقل،بعد عام واحد، تراجع الأعضاء المذكورون، واعترفوا أن الهضيبي كان بالفعل قد استقال وذلك في نشرة من وضع السكرتير العام الأستاذ عابدين وبموافقة الهضيبي نفسه، يشرح فيها الأحداث الأخيرة من وجهة نظره تبريرًا لموقفه من قرار الفصل المزعوم للإخوان الثلاثة، وجاء في النشرة اعتراف صريح باستقالة الهضيبي في الصيف الماضي![1]

- **زينب الغزالي و[أيام من حياتي]**

لطالما أثار هذا الكتاب هواجس قارئيه، بسبب ما اشتمل عليه من مبالغات تعز على التصديق، فصور التعذيب التي تعرضت لها الغزالي، كما تصفها في كتابها، لو نزلت بعشرة رجال لقضت عليهم، فكيف احتملتها وهي امرأة ضعيفة واهنة؟

ظل أمر هذا الكتاب الغريب سرًا مكتومًا، إلى أن أذن الله بفضحه، وذلك حين نشر الدكتور محمد السعيد إدريس مقالا بجريدة الأهرام، عنوانه «الكذب والسياسة: الإخوان نموذجًا» وذلك في الأول من إبريل 2014[2] ذكر فيها أن المهندس أبو العلا ماضي، الإخواني السابق، ومؤسس حزب الوسط، أخبره أن يوسف ندا، أحد أكبر قادة

1 الوصيفي، **الإخوان المسلمون بين الابتداع الديني والإفلاس السياسي**، 272ـ273

2 رابط المقال: https://www.ahram.gate.eg/Daily/NewsQ/273199.aspx

وممولي الإخوان، مفوض العلاقات الدولية لتنظيم الإخوان، والحاصل على الجنسية الإيطالية، ومؤسس بنك التقوى، وأحد المتهمين في قضية محاولة اغتيال جمال عبد الناصر عام 1954، زاره في مكتبه، ودار بينهما جدال ساخن بسبب مقاله «بيننا وبينكم الجنائز» التي كان أبو العلا ماضي نشرها في صحيفة «العربي» لسان حال الحزب الناصري، وامتداح فيها عبد الناصر، وعاب ندا عليه ذلك، لأن عبد الناصر كان مسؤولًا عن تعذيب الإسلاميين في سجونه، إلا أن ماضي فاجأه بسؤال: بالنسبة لروايات تعذيب الإخوان، هل تستطيع أن تقول إنها صحيحة، وبأي نسبة؟ ويا ليت تخص بكلامك روايات التعذيب الواردة في كتاب زينب الغزالي [أيام من حياتي]، وهنا انفجر ندا ضاحكًا، وقال: أنا مؤلف هذا الكتاب!! كانت صدمة أبو العلا ماضي هائلة، وقال لندا:

كيف تؤلف، وأنت مقيم في سويسرا، كتابًا يحوي كل تلك التلفيقات عن عبد الناصر، وانت بعيد عن تفاصيل أحداث عام 1965 التي تكلم عليها كتاب زينب الغزالي؟ أليس هذا محرمًا دينيًا؟ وجاءت الصدمة الثانية عن ما أجابه ندا بقوله: اللي تغلب به العب به.

لم يقف أمر افتراء الكذب عند هذا الحد، يتابع محمد السعيد إدريس:

ما سمعته من المهندس أبو العلا دعمته رسالة تلقيتها من الدكتور عبد الجليل مصطفي، علي بريدي الإلكتروني، تعيد تأكيد

رواية المهندس أبو العلا معي، وتتحدث علي لسان الأستاذ هيثم أبو زيد، الإخواني السابق، الذي انضم إلي حزب الوسط، وعمل مديرًا تنفيذيًا للحزب، وهي عبارة عن شهادة مطابقة، نشرها الأستاذ هيثم أبو زيد في مجلة الوعي الإسلامي تحت عنوان: «قصة كذبة خالدة» تتحدث عن وثيقة زائفة كتبها أيضًا يوسف ندا ونشرت في كتاب [قذائف الحق] للشيخ محمد الغزالي، الذي تعتبره جماعة الإخوان انجيلها الذي تربى عليه شبابُها وأعضاؤها، وتزعم أن الأجهزة الأمنية والمخابراتية في عهد الرئيس عبد الناصر وتزعم تلك الوثيقة خطة للقضاء علي جماعة الإخوان واستئصال وجودها، وتضمنت (تلك الخطة) خطوات شديدة القسوة، تتجاوز محاربة الإخوان تنظيميًا وفكريًا، إلى محاربة الدين الإسلامي والمتدينين من غير الإخوان.

يقول هيثم أبو زيد في شهادته ما سمعه على لسان المهندس أبو العلا ماضي نقلًا عن المهندس مراد جميل الزيات الذي أخبره عما اعتبره أبو العلا قنبلة أيضًا، وملخصها أن المهندس الزيات كان قد زار يوسف ندا في مقره بسويسرا، وتحدث معه عن التعذيب الذي تعرض له الإخوان في السجون، وخص بالذكر ما نشره الشيخ محمد الغزالي في كتاب [قذائف الحق] عن الوثيقة التي أعدتها المخابرات، واعتمدها عبد الناصر للقضاء على الإخوان، وإذا بيوسف ندا يضحك حتى استلقي على ظهره، فخاطبه الزيات متعجبًا: لم الضحك يا أخ

يوسف؟ فأجابه ندا فورًا: لأنني (أنا) من كتب هذه الوثيقة ووضعها في كتاب الغزالي لتشويه نظام الحكم الناصري. فتساءل الزيات: لكن هذه فبركة؟، فأجابه: الحرب خدعة!

ما سمعه الأستاذ هيثم أبو زيد كان يصعب تصديقه، لذلك أراد أن يستوثق الأمر من الدكتور محمد سليم العوا، في لقاء حضره أبرز قادة حزب الوسط، وكان رد العوا قنبلة ثالثة حيث قال: هذه الرواية حقيقية وأنا أعلم بها منذ أربعين سنة، والنص الأصلي للوثيقة التي كتبها يوسف ندا عندي في مكتبتي!!

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 58] ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ [طه: 61] وصدق الإمام علي حين قال: من طلب عزًا بباطل، أرثه الله ذلًا بحق.

- **سيد قطب، هل أعدم؟ وما سبب إعدامه؟**

لطالما دأب الإخوان على ترديد أن قطب أعدم بسبب أفكاره، وخصوصاً الواردة في [معالم في الطريق] وأنه قبيل إعدامه عرض عليه تقديم التماس بالعفو عنه بشرط إعلانه التبري من الأفكار الواردة في هذا الكتاب، لكنه أبى واستعصم، وأن الملك فيصل تشفع فيه لئلا يعدم، لكن لم تقبل شفاعته،

والحقيقة هي أن سيد قطب قبض عليه وسجن، بسبب محاولة اغتيال عبد الناصر، في حادثة المنشية، بالإسكندرية، سنة 1954، وظل مسجونا إلى عام 1964[1]، لكن في مستشفى السجن، رعاية لحالته الصحية، وكانت إدارة السجن توفر له المراجع والكتب التي يطلبها، مع الأوراق والأقلام، حتى تسنى له كتابة أكثر كتبه في محبسه، والتي طبعت في مصر وخارجها، ومن بينها تفسيره، بل إنه ألّف في سجنه [معالم في الطريق] وإن طبع بعد خروجه من السجن[2]. وكانت الإذاعة السعودية تذيع مقتطفات من كتبه، وفي [لماذا أعدموني] وهو كتيب أصدرته السعودية تخليدًا لذكراه، يعترف سيد قطب بأنه تلقى أموالًا من السعودية لقاء إذاعة تلك المقتطفات من كتبه[3]. وجدير باللفت هنا أن هذا الكتيب مذكور في مقدمة ناشريه، وهما هشام ومحمد علي حافظ، أن هذه الوثيقة المنشورة وصلتهم مكتوبة بخط سيد قطب نفسه.

1 لم يكن سبب سجنه أفكاره حول الحاكمية، بل تحريضه بوجوب قتل ضباط ثورة يوليو والإشراف على المنشورات الإخوانية التي تدعو إلى الانقلاب على الثورة بسبب اتفاقية الجلاء. أنظر، الوصيفي، 792

2 أثبتت ذلك زينب الغزالي في [أيام من حياتي] دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1999، 43 وكذلك أتم عبد القادر عودة كتابه [التشريع الجنائي في الإسلام] في السجن، يقول ابنه د. خالد عبد القادر عودة: قد أتمه في السجن بعد ذلك، وتسلمنا الورق من داخل السجن، مكتوبًا بالقلم الرصاص. الإخوان أون لاين 2004/11/23

3 ذكر قطب أنه استلم مبلغ 143 جنيها كقيمة لما أذاعته الإذاعة السعودية من أحاديث مقتبسة من كتابه [في ظلال القرآن] في شهري شعبان ورمضان من سنة 1385هـ يقول: وكنت قد علمت أن الإذاعة السعودية تذيع أحاديث منتظمة مقتبسة من كتابي منذ سنوات، وأنها مستمرة في إذاعتها، فلما قررت هي مكافأة معينة عن فترة معينة رأيت أن أطالبها بقيمة **السابق** واللاحق من الإذاعات، وهذا حقي الطبيعي كمؤلف. سيد قطب، لماذا أعدموني، الشركة السعودية للأبحاث والتسويق، جدة، 77

من المثير أن قطب يعترف في هذه الوثيقة المكتوبة بخط يده (في أكتوبر 1965) أن سبب اعتقاله مجددًا بعد الإفراج عنه في عام 1964 ليس [المعالم] كما يزعم الإخوان، بل ضلوعه في تنظيم مسلح جديد[1] والذي سيعرف بتنظيم 1965، ضم علي عشماوي، وعبد الفتاح إسماعيل، وأحمد عبد المجيد، ومجدي صبري، الذين كانوا كونوا تنظيمًا سريًا من قبل أربع سنوات أو أكثر[2]، وأنهم قرروا عدم الانتقام من الحكومة على ما سلف منها في حقهم، لكن على أن يردوا بالقوة المسلحة في حال وقع اعتداء جديد عليهم من الحكومة، وذكر كيف أنهم وافقوا على استيراد أسلحة من دولة عربية؟[3] عن طريق السودان ثم اقترحوا ليبيا، كما ذكر قطب أنهم كانوا يصنعون المتفجرات محليًا في مصر[4] وأنهم استشعروا قرب القبض عليهم، فتداولوا حول كيفية الرد، ومن بين ما اقترح إزالة رؤوس في مقدمتها رئيس الجمهورية، ورئيس الوزارة، ومدير مكتب المشير، ومدير المخابرات، ومدير البوليس الحربي، ثم نسف بعض المنشآت التي تشل حركة مواصلات القاهرة، لضمان عدم تتبع بقية الإخوان فيها وفي

1 **لماذا أعدموني**، الشركة السعودية للأبحاث والتسويق، جدة. سيشرع قطب في الحديث عنه من ص 43

2 أما كيف جرى تطوير هذا التنظيم وتأهيله على يد سيد قطب، فأنظر: عشماوي، **التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين**، ص. ص 99-101.

3 لم يذكر قطب اسم هذه الدولة، والراجح أنه صرح به، لكن لما كان نشر كلامه هذا في صحيفة «المسلمون» السعودية، ومن ثم جمعت الحلقات المنشورة، لتنشر في كتيب بحياله، لم يناسب الناشر تعيين الدولة المذكورة، والتي هي السعودية، بدليل أن علي عشماوي صرح باسمها في كتابه، انظر: عشماوي، **التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين**، ص 118، وأيضًا في ص 128.

4 **السابق**، 53.

خارجها، كمحطة الكهرباء والكباري، وأن سيد قطب بدل رأيه فذهب إلى ضرورة الإسراع في التدريب، استباقًا للضربة المتوقعة من الحكومة[1]، وبالفعل بدأت الاعتقالات، لكن لم يعتقل أحد من أعضاء التنظيم، بعدُ، وهنا جرى نقاش بخصوص تدمير القناطر الخيرية الجديدة، وبعض الجسور والكباري، كعملية تعويق، وأن علي عشماوي عارض ذلك، لأن تفجيرها سيساعد، من حيث لا يراد، في تنفيذ مخططات صهيونية في تدمير المنطقة، فقرروا عدم تنفيذ هذه الخطة، اكتفاء بأقل قدر ممكن من تدمير بعض المنشآت في القاهرة لشل حركة الأجهزة الحكومية، إلا أنه وقع اعتقالهم ولم يقع تنفيذ شيء من تلك المخططات، سواء ما تعلق منها بالأشخاص وما تعلق منها بالمنشآت، بسبب عدم توفر الإمكانيات المادية، ولا التدريب المطلوب.[2]

المسألة إذن لم تكن مسألة كتب وأفكار، سمح لقطب بكتابة أكثرها وهو في السجن، لكنها مسألة انخراط في تنظيم مسلح ووضع خطط إرهابية.

ويلتقي مع شهادة قطب هذه ويواطئها ما كتبه علي عشماوي (أحد قادة التنظيم الخاص للجماعة)، المتردد ذكره في وثيقة قطب، في مذكراته، مع زيادة أن تعاون قطب مع هذا التنظيم كان بإذن من

1 عشماوي، **التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين**، 55-56

2 عشماوي، التاريخ، 60-61 ومما ذكره سيد أن خروجه من السجن في عام 1964 كان بشفاعة الرئيس العراقي عبد السلام عارف، الذي رغب إليه فيها شيخ العراق أمجد الزهاوي. 73-74

المرشد حسن الهضيبي،[1] وأنهم بالفعل، لما لم تصلهم الأسلحة الموعودة من الخارج، نجحوا في الحصول على بعض الأسلحة والقنابل اليدوية من الجيش، وأنهم تدربوا عليها، وعلى صناعة المفرقعات، وكيف أنهم اعتمدوا مادة نيترات الأمونيوم مع السولار مع تجفيفها في أفران خاصة، لإنتاج مادة شديدة الانفجار[2] وذكر عشماوي أنهم اتفقوا في اجتماع للقيادة، حضره معهم (ولم يكن قطب بينهم) على ترتيب خطة المواجهة، والتي تتلخص في اغتيال كبار الشخصيات في الحكومة (عبد الناصر، والمشير عبد الحكيم عامر، وزكريا محيي الدين)، وتخريب بعض المنشآت (مبنى الإذاعة والتليفزيون، ومحطات الكهرباء، وهدم القناطر الخيرية) لإحداث خلل وفراغ وارتباك في الدولة، مع عدم بحث الخطوة التالية بعد أن ينهار الحكم. ولما عرضوا الخطة على سيد قطب عارض اغتيال شخصيات أخرى غير عبد الناصر، واقترح أن يضموا إليه علي صبري، الذي كان يراه رجل أمريكا في مصر، وبخصوص نسف المنشآت اعترض عشماوي على نسف القناطر الخيرية، فاستبعدوها، وأصروا على نسف المنشآت الأخرى المذكورة.[3]

1 عشماوي، **التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين**، ص 77. ومر بنا أن هذا أيضًا ما سجلته زينب الغزالي: فكان الهضيبي قد أوكل كل المسؤليات لسيد قطب، وكانت اتصالاتنا كلها به حسب أمر الهضيبي. أيام من حياتي، 48، وأن فريد عبد الخالق في المقابل زعم أن المرشد لم يكن لديه أي علم بهذا التنظيم أصلا!! قال: فكانت المفاجأة الكبيرة والأليمة أن لا علم للمرشد بهذا الأمر، وأنه لم يأذن بشيء من ذلك قط، وأن الأمر بالغ الخطورة على الجماعة كلها لا على التنظيم فحسب. الإخوان في ميزان الحق 113

2 **السابق**، 107ـ108

3 **الإخوان في ميزان الحق**، 115ـ116

فريد عبد الخالق من جهته ذكر أن أحد أفراد تنظيم 1965 ادعى أن منهج سيد قطب كان يعتمد الانقلاب الفكري دون الانقلاب العسكري، ولكن عبد الخالق رده مؤكدًا العكس[1].

ولو لم يعترف قطب بذلك في الوثيقة أعلاه [لماذا أعدموني] فقد صرح به في الظلال:

إنه لا مندوحة للمسلمين أو أعضاء الحزب الإسلامي عن الشروع في مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود والسعي وراء تغيير نظم الحكم في بلادهم التي يسكنونها.[2]

وبعد هذا كله، يخرج القرضاوي في مقال بعنوان «وقفة مع سيد قطب» وبكل استسهال يزعم أن:

الحقيقة أن سيد قطب وتنظيمه لم يحاكما من أجل "الأعمال الخطيرة" التي ارتكبها، ولكن حوكم كلاهما من أجل "الأفكار الخطيرة" التي اعتنقها أو دعا الناس إليها. ولو أنصفوا وامتلكوا الشجاعة لقالوا: إننا حاكمنا الرجل، بل حكمنا عليه بالإعدام، من أجل أفكاره لا من أجل أعماله.!![3] فاحكم أنت، وإن شئت حكم سيد قطب نفسه.

1 فريد عبد الخالق، **الإخوان المسلمون في ميزان الحق**، 113

2 **قطب، في ظلال القرآن**، 1451/3

3 https://roayafikir.com/%D9%88%D9%82%D9%81%D8%A9-%D9%85%D8%B9-%D8%B3%D9%8A%D8%AF-%D9%82%D8%B7%D8%A8/

والآن، ثمة مفاجأة صادمة، تتعلق بإعدام سيد قطب، فهل جرى فعلًا إعدامه؟ هذا ما كنا كلنا لا نشك فيه بتة، لكن الإخواني العريق المستشار علي جريشة فاجأنا حين نشر مقالة على موقع الإخوان بعنوان «سيد قطب: عملاق في زمن الأقزام» جاء فيها ما يلي:

وعلمنا أخي سيد، أنك طلبت قبل التنفيذ أن تصلي ركعتين، ودعوت في السجود أن يقبضك الله قبل أن يصلوا إليك، واستجاب لك ربك، فقُبضت وأنت ساجد، لكنهم أصروا أن يعلقوك على حبل المشنقة!! ليعطوا التمام إلى (رئيسهم) أنهم نفَّذوا فيك حكم الإعدام!!![1]

فأين إذن أساطير الإخوان أن السجان جاء ووضع الحبال في يدي سيد وقدميه، لكن سيدًا قال له: دع عنك الحبال، سأقيد نفسي، أتخشى أن أفر من جنات ربي، ووقف على طبلية المشنقة، ووضع الحبل في عنقه بيديه، وهو يقول: ربي إني مغلوب فانتصر![2]

ولقي الله مبتسمًا، وفي هذا قال شاعرهم، عصام العطار، وتغنوا من بعده:

ما نسينا أنت قد علمتنا بسمة المؤمن في وجه الردى

1 المقالة على هذا الرابط على موقع الإخوان https://www.ikhwanonline.com/article/248819

2 تسجيل صوتي للشيخ عبد الحميد كشك بعناون: الشيخ كشك وآخر لحظات سيد قطب https://www.youtube.com//:watch?v=iFIc72u952u

كما زعموا أنه دعا: اللهم اجعل دمي لعنة على رجال الثورة، فكانت نكسة 67 بعد إعدامه بسنة، ولم يخبرونا من الذي روى عنه ذلك، فلم يكن أحد منهم حاضرًا، ولم يروه من حضر من رجال الدولة، وفي مقدمتهم اللواء فؤاد علام.

- **الإخوان يكذبون على الجمهور**

ذكر علي عشماوي أن سيد قطب لما خرج من السجن سنة 1965وانضم إلى تنظيمهم، صرح لهم بأن: الدعاة في مثل حالتنا لا ينبغي أن يقولوا كل ما يرون للمسلمين أو للناس، لأننا لو قلنا لهم، ابتداء، أنهم غير مسلمين، لنفروا منا، ولكن ينبغي أن يكون هذا الفهم بيننا، ولا نجهر به للآخرين، وإنما علينا أن نحاول فقط تصحيح اعتقادهم وتفهيمهم، ثم ربطهم بنا في النهاية.[1] وهذا يجمع بين بائقتين؛ تكفير المسلمين، والمخادعة.

- **سيد قطب: الكذب وترك الجمعة**

جاء رجل إخواني، من السودان، وسلَّم لعلي عشماوي رسالة مضمونها أن السلاح المطلوب، من السعودية، صار جاهزًا، وجاهزًا ليشحن إلى مصر، عبر قبائل البشارية التي تعبر الحدود بين السودان ومصر، وأن استلامه سيكون في قرية دراو القريبة من أسوان، فانطلق عشماوي إلى قائد

1 عشماوي، 81، أما كيف اكتشفت الحكومة التنظيم فأنظر الوصيفي، من 798

التنظيم، الذي هو سيد قطب، وأخبره بنبأ الرسالة وما فيها، فاستحسن ذلك، وشرع يقترح على عشماوي بعض المقترحات المتعلقة بكيفية تقسيم الأسلحة ونقلها لئلا تكتشف، وكيفية تخزينها إلى حين الحاجة إليها. ولما أخبره عشماوي بالحاجة إلى أموال لتأمين نقلها، قال له: اطلب من الشيخ عبد الفتاح إسماعيل أن يعطيك ألف جنيه تحت الحساب، وإن لم يفعل فاحضر الي وأنا أعطيك ما تريد. ولما اجتمعت مجموعة القيادة، كان عبد الفتاح إسماعيل غاضبًا، لأنه لم يعد مسؤولًا عن الاتصال بالخارج، المهمة التي وكلت إلى عشماوي، وقال ثائرًا: إن هذا الأمر لا ينبغي أن يتصرف فيه أحد دون رأي الجميع، وأن عشماوي وسيد قطب انفردا بالرأي. وبعد أيام رجع عبد الفتاح إسماعيل وأخبرهم أنه التقى بسيد قطب وسأله إن كان أعطى هذه التعليمات بتسلم الشحنة ونقلها وتخزينها، فنفى ذلك!! يقول عشماوي:

وهنا أحسست بإحباط شديد، وخيبة أمل كبيرة، فقد كان الأستاذ سيد قطب بالنسبة لي المثل الكبير للقائد والمفكر والفيلسوف، وكنت متأثرًا به إلى حد كبير، ولكنه بعد أن أنكر ما قاله لي أمام ثورة الشيخ عبد الفتاح إسماعيل، سقط في نظري. ثم قابل عشماوي قطب وفاتحه في الموضوع، فقال: إنه ينبغي أن نسأل إخواننا في القيادة، وألا ننفرد بقرار، وأنني فهمت الأمر خطأ، فهو لا يقصد المعنى الذي فهمته، وتأكدت أنه قد عاد في كل كلمة قالها لي بشدة. يقول عشماوي. في هذه اللحظة، ومن

كثرة غيظي وإحباطي، أحسست أنني قد ضيعت عمري، وقد ضيعت حياتي وسرت بعيدًا في طريق خطأ. فقد انكسرت في نفسي أمور كثيرة لا يمكن أن تجبر بعد ذلك. ومع تسارع هذا الإحساس داخلي أجهشت بالبكاء أمامه وأمام من كان معي من الإخوة، وأحس الأستاذ سيد أن موقفه في غاية الحرج، وجاء وقت صلاة الجمعة، فقلت له: دعنا نقم ونصلي، وكانت المفاجأة أن علمت، ولأول مرة، أنه لا يصلي الجمعة، وقال: أنه يرى فقهيا، ان صلاة الجمعة تسقط إذا سقطت الخلافة، وأنه لا جمعة إلا بخلافة.[1]

1 عشماوي، 110-112

الوسيلة الخامسة: الإرهاب، مؤجلًا ومعجلًا

من يلق نظرة على الأرضية التي مهدها الإخوان المسلمون باحتكار الدين فهمًا وتفسيرًا، يرَ كيف جعلهم ذلك حصينين ضد أي نقد، فلا يصيخون لنقد ناقد ولا يرفعون رأسا بنصيحة ناصح، كما جعلهم ينزلقون إلى لعنة التكفير واحتقار كل مسلم ليس على طريقتهم، بمن فيهم العلماء الكبار، وقد نجم عن تفاعل هاتين النتيجتين الرديئتين سوء علاقات الإخوان حتى ببعضهم البعض وقسوتهم على بعضهم، كما أن الأرضية التي يقفون عليها ممهدة بالطاعوية العمياء الصماء الواثقة، منضافًا إليهما قناعة عقدية لا تقبل التشكيك بوجوب افتكاك السلطة السياسية لتحكيم الله وتطبيق شرعه كاملًا غير منقوص، وقد ألقى البنا في روعهم أن ذلك من أصول الدين لا من فروعه، ومعلوم أن الأصول هي إيمان أو كفر، لا مجال فيها للتساهل أو التغافل، من يلق هذه النظرة، يرجح، بدرجة تقترب من اليقين، أن الوقوف على أرضية كهذه، مفض بصاحبه، لا محالة، إلى العنف والإرهاب؛ قتلًا واغتيالًا، وهذا هو بالفعل ما تورطت فيه الجماعة التائهة ولا تزال.

والإخواني بحكم تربيته وقراءاته للبنا وقطب، يجد نفسه مدعوًا إلى ممارسة العنف وتوسل القوة العارية، في مرحلة ما، إن لم يكن اليوم، فغدًا، أو بعد غد.

ومن المعلوم أن البنا أعرب عن تحول درامي في سير جماعته، صرح معه بإمكان اللجوء إلى القوة حين تقتضي الظروف، وظهر ذلك في افتتاحية مجلة النذير التي صدر عددها الأول في مايو 1938، أي بعد مضي عشر سنوات على تأسيس الجماعة في 1928، وفي الافتتاحية المذكورة، وتحت عنوان «ما خطوتكم الثانية» كتب البنا:

أقول لكم فاسمعوا:

سننتقل من خير دعوة العامة إلى خير دعوة الخاصة، ومن دعوة الكلام وحده إلى دعوة الكلام المصحوب بالنضال والأعمال، وسنتوجه بدعوتنا إلى المسؤولين من قادة البلد وزعمائه ووزرائه وحكامه وشيوخه ونوابه وأحزابه وسندعوهم إلى مناهجنا ونضع بين أيديهم برنامجنا وسنطالبهم بأن يسيروا بهذا البلد المسلم، بل زعيم الأقطار الإسلامية في طريق الإسلام في جرأة لا تردد معها وفي وضوح لا لبس فيه ومن غير مواربة أو مداورة، فإن الوقت لا يتسع للمداورات، فإن أجابوا الدعوة وسلكوا السبيل إلى الغاية آزرناهم، وإن لجئوا إلى المواربة والروغان وتستروا بالأعذار الواهية والحجج المردودة فنحن حرب على كل زعيم أو رئيس حزب أو هيئة لا تعمل على نصرة الإسلام، ولا تسير في الطريق لاستعادة حكم الإسلام، ومجد الإسلام، سنعلنها خصومة لا سلم فيها ولا هوادة معها، حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الفاتحين.

إلى الآن أيها الإخوان لم تخاصموا حزبًا ولا هيئة، كما أنكم لم تنضموا إليهم كذلك، ولقد تقول الناس عليكم فمن قائل إنكم وفديون نحَّاسيون، ومن قائل إنكم سعديون ماهريون، ومن قائل إنكم أحرار دستوريون، ومن قائل إنكم بالحزب الوطني متصلون، ومن قائل إنكم إلى مصر الفتاة تنتسبون، ومن قائل إنكم إلى غير ذلك من الأحزاب منتمون، والله يعلم والعارفون بكم أنكم من كل ذلك بريئون، فما اتبعتم غير رسوله زعيمًا وما ارتضيتم غير كتابه منهاجًا، وما اتخذتم سوى الإسلام غاية. فدعوا كلام الناس جانبًا وخذوا في الجد، والزمن كفيل بكشف الحقائق وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم.

كان ذلك موقفكم أيها الإخوان سلبيًا هكذا فيما مضى، أما اليوم وأما في هذه الخطوة الجديدة فلن يكون كذلك، ستخاصمون هؤلاء جميعًا في الحكم وخارجه خصومة شديدة لديدة إن لم يستجيبوا لكم ويتخذوا تعاليم الإسلام منهاجًا يسيرون عليه ويعملون له، وسيكون هؤلاء جميعًا منضمين لكم في وحدة قوية وكتلة متراصة متساندة إن أجابوا داعي الله وعملوا معه. وحينئذ يجتمعون ولا يتفرقون، ويتحدثون ولا ينتقدون، فهو موقف إيجابي واضح لا يعرف التردد ولا يتوسط بين الحب والبغض. فإما ولاء وإما عداء، ولسنا في ذلك نخالف خطتنا أو ننحرف عن طريقتنا أو نغير مسلكنا بالتدخل في

السياسة، كما يقول الذين لا يعلمون، ولكنا بذلك ننتقل خطوة ثانية في طريقتنا الإسلامية وخطتنا المحمدية ومنهاجنا القرآني، ولا ذنب لنا أن تكون السياسة جزءًا من الدين، وأن يشمل الإسلام الحاكمين والمحكومين. فليس في تعاليمه أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله، ولكن في تعاليمه قيصر وما لقيصر لله الواحد القهار. أيها الإخوان: أعلن لكم هذه الخطوة على صفحات جريدتكم هذه لأول عدد منها، وأدعوكم إلى الجهاد العملي بعد الدعوة القولية، والجهاد بثمن، وفيه تضحيات وسيكون من نتائج جهادكم هذا في سبيل الله والإسلام أن يتعرض الموظفون منكم للاضطهاد وما فوق الاضطهاد. وأن يتعرض الأحرار منكم للمعاكسة وأكثر من المعاكسة، وأن يدعى المترفون المترفهون منكم إلى السجون وما هو أشق من السجون، ولتبلون في أموالكم وأنفسكم، فمن كان معنا في هذه الخطوة فليتجهز وليستعد لها، ومن قعدت به ظروفه أو صعبت عليه تكاليف الجهاد، سواء أكان شعبة من شعب الإخوان، أم فردًا من أعضاء الجماعة فليبتعد عن الصف قليلًا، وليدع كتيبة الله تسير، ثم فليلقنا بعد ذلك في ميدان النصر إن شاء الله، ولينصرن الله من ينصره، ولا أقول لكم إلا كما قال إبراهيم من قبل «فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم».[1]

1 **مذكرات الدعوة والداعية**، مكتبة آفاق، 178ـ179

افتتاحية حربية، عدائية، ملتهبة، متفجرة، أعلن فيها البنا شن الحرب على كل تشكيلات الشعب المصري السياسية، وكان ينبغي على من فهم كيف يفكر الرجل في الدين وكيف يفهمه ويريد من جماعته أن يفهموه، أن يتوقع منه هذا التحول الدرامي.

وفي الحق، أن هذا التحول لم تمله ظروف مستجدة، أو أحداث جسام تعرض لها البنا وجماعته، بل كان موعى به، منذ البداية، فكما تسلم المقدمات إلى نتائجها، فما بد من أن يكون هذا التحول الحربي العنيف نتيجة فهم البنا للدين. وقد كان واضحًا ومفصلًا في ذهن البنا أن طريقه مرحلتان: مرحلة التنظير والقول، وهي التي نعتها بالسلبية، تتلوها مرحلة العمل والتنفيذ، ما يدل بقوة على أن الهدف الحقيقي للرجل، من أول يوم، ليس تعليم الناس دينهم، وردهم إلى ربهم، بل الظفر بالسلطة عليهم. وهذا كله سيعرض مفصلا مصرحا به دونما تردد في رسالة المؤتمر الخامس، الذي عقد في السنة ذاتها، 1938. والدرس الذي ينبغي تعلمه، هو أن مثل هذا الفهم الحصري الاحتكاري للدين، يساوي إرهابًا مؤجلًا، عنفًا مع وقف التنفيذ، كارثة برسم انتظار الظروف المواتية، لتأتي على أكمل وجوهها، وبأتم معانيها.

وهذه مقتطفات من رسالة المؤتمر الخامس، تنطق بما ذكر أعلاه:

- ولا بأس أن ننتهز هذه الفرصة الكريمة فنستعرض نتائجنا... ونحدد الغاية والوسيلة فتتضح الفكرة المبهمة، وتصحح النظرة

الخاطئة، وتعلم الخطوة المجهولة! وتتم الحلقة المفقودة! ويعرف الناس الإخوان المسلمين على حقيقة دعوتهم، من غير لبس ولا غموض.

أدناه، ترى كيف فهم البنا الإسلام فمهًا شموليًا، شكل قفصًا حديدياً لا يسمح بإفلات أي مظهر من مظاهر الحياة منه، وتظهر خطورة هذا الفهم إذا تذكرنا أن كل فهم، هو، في التحليل الأخير، فهم بشري، كما قال الإمام علي: القرآن سطر بين الدفتين، لا ينطق بلسان، ولا بد له من ترجمان، وإنما ينطق به الرجال. وكل زعم يخالف هذا، إنما يتورط إما في القول على الله بغير علم، أو في قمع الفهم المخالف.

- الإخوان فكرة إصلاحية شاملة!... إن الإخوان المسلمين

دعوة سلفية... وطريقة سنية... وحقيقة صوفية... هيئة سياسية... وجماعة رياضية... ورابطة علمية ثقافية... وشركة اقتصادية... وفكرة اجتماعية...[1]

- التدرج في الخطوات

كل دعوة لابد لها من مراحل ثلاث:

أ. مرحلة الدعاية والتعريف والتبشير بالفكرة وإيصالها إلى الجماهير من طبقات الشعب.

1 هل بقي شيء لغير الإخوان ليمارسوه أو ينشطوا فيه بعيدا عن هيمنة ورقابة الإخوان؟

ب. ثم مرحلة التكوين وتخير الأنصار وإعداد الجنود وتعبئة الصفوف من بين هؤلاء المدعوين.

ج. ثم بعد ذلك كله مرحلة التنفيذ والعمل والإنتاج.

وكثيراً ما تسير هذه المراحل الثلاث جنبًا إلى جنب نظرًا لوحدة الدعوة وقوة الارتباط بينها جميعًا، فالداعي يدعو، وهو في الوقت نفسه يتخير ويربي، وهو في الوقت عينه يعمل وينفذ كذلك.

ولكن لا شك في أن الغاية الأخيرة أو النتيجة الكاملة لا تظهر إلا بعد عموم الدعاية وكثرة الأنصار، ومتانة التكوين.

- بعد أن نطمئن على موقفنا من هذه الخطوة (الثانية) نخطو إن شاء الله الخطوة الثالثة، وهي الخطوة العملية التي تظهر بعدها الثمار الكاملة لدعوة الإخوان المسلمين .

مصارحـــــة

أيها الإخوان المسلمون وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم:

اسمعوها مني كلمة عالية داويةً من فوق هذا المنبر في مؤتمركم هذا الجامع:

إن طريقكم هذا مرسومة خطواته موضوعة حدوده، ولست مخالفًا هذه الحدود التي اقتنعت كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول، أجلْ، قد تكون طريقًا طويلة ولكن ليس هناك غيرها.

إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب، فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها، أو يقتطف زهرة قبل أوانها، فلست معه في ذلك بحال، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات.

ومن صبر معي حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويحين القطاف فأجره في ذلك على الله، ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين؛ إما النصر والسيادة، وإما الشهادة والسعادة.[1]

- نحن هنا في مؤتمر أعتبره مؤتمرًا عائليًا يضم أسرة الإخوان المسلمين، وأريد أن أكون معكم صريحًا للغاية، فلم تعد تنفعنا إلا المصارحة؛ إن ميدان القول غير ميدان الخيال، وميدان العمل غير ميدان القول، وميدان الجهاد غير ميدان العمل، وميدان الجهاد الحق غير ميدان الجهاد الخاطئ.

ودونك فقرة بالغة الشهرة للبنا

- وفي الوقت الذي يكون فيه منكم، معشر الإخوان المسلمين، ثلاثمائة كتيبة، قد جهزت كل منها نفسيا روحيًا بالإيمان والعقيدة، وفكريًا بالعلم والثقافة، وجسميًا بالتدريب والرياضة، في هذا

1 تشي هذه العبارات بما كان يحسه البنا من استعجال فريق من أتباعه بلوغ الغاية، التي كانت واضحة لديهم وضوحها لديه هو، السلطة، وهو هنا يتريث بهم، ويستأنيهم، لا خلافًا في الغاية، فهي غاية متفق عليها، ولا جدال حولها، لكن إدراكًا منه أن الوقت لم يحن، وأن الظروف غير مهيئة، (والفقرة الموالية تؤكد هذا) وكأنه كان يدرك أن الضربة الكبرى لن تكون إلا واحدة، لا ثاني لها، فإن لم تصب، حاقت به وبجماعته الكارثة، وهو بالفعل ما كان، لكن قبل، حتى، أن يبطشوا بطشتهم الكبرى.

الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لحج البحار، وأقتحم بكم عنان السماء ، وأغزو بكم كل عنيد جبار، فإني فاعل إن شاء الله، وصدق رسول الله القائل: ولن يغلب اثنا عشر ألفًا من قلة.[1]

إني أقدر لذلك وقتًا ليس طويلًا، بعد توفيق الله واستمداد معونته وتقديم إذنه ومشيئته، وقد تستطيعون أنتم، معشر نواب الإخوان ومندوبيهم أن تقصروا هذا الآجل إذا بذلتم همتكم وضاعفتم جهودكم ، وقد تهملون فيخطئ هذا الحساب، وتختلف النتائج المترتبة عليه، فأشعروا أنفسكم العبء وألقوا الكتائب وكونوا الفرق، وأقبلوا علي الدروس، وسارعوا إلي التدريب وانشروا دعوتكم في الجهات التي لم تصل إليها بعد، ولا تضيعوا دقيقة بغير عمل .

- الإخوان والقوة والثورة

ويتساءل كثير من الناس: هل في عزم الإخوان المسلمين أن يستخدموا القوة في تحقيق أغراضهم والوصول إلى غايتهم؟ وهل يفكر الإخوان المسلمون في إعداد ثورة عامة على النظام السياسي أو النظام الاجتماعي في مصر؟ ولا أريد أن أدع هؤلاء المتسائلين في حيرة،

1 روى أبو داود في سننه عن ابن عباس عن النبي ض قال: خير الصحابة أربعة، وخير السرايا أربعمئة، وخير الجيوش أربعة آلاف، ولن يغلب اثنا عشر ألفًا من قلة، قال أبو داود: والصحيح أنه مرسل، أما كيف ربط البنا بين الثلاثمئة الكتيبة وبين الاثني عشر ألفًا المذكور في الحديث، فتكشف عنه رسالة سرية للبنا، وقفها على التنظيم الخاص، وهي رسالة المنهج، وهي التي ذكرها أحمد عادل كمال في مذكراته [النقط فوق الحروف]، ونشرت في موقع إخوان أونلاين، حيث ورد أن البنا وضعها لنظام الكتائب الذي أسس في عام 1937 وجرى تعميمها على شعب الإخوان في 1938، وشرط البنا أن يصل أفراد هذه الكتائب إلى اثني عشر ألفا، على أساس أن يوجد 300 كتيبة في مدى أربع سنوات، في مراكز القطر المصري الإدارية، على ألا يقل عدد الكتيبة عن عشرة أفراد ولا يزيد على أربعين ويتسامح في الزيادة إلى عشرة..

بل إني أنتهز هذه الفرصة فأكشف اللثام عن الجواب السافر لهذا في وضوح وفي جلاء، فليسمع من يشاء.

أما القوة فشعار الإسلام في كل نظمه وتشريعاته، فالقرآن الكريم ينادي في وضوح وجلاء: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ [الأنفال: 60]. والنبي يقول: المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، بل إن القوة شعار الإسلام حتى في الدعاء وهو مظهر الخشوع والمسكنة، واسمع ما كان يدعو به النبي في خاصة نفسه و يعلمه أصحابه و يناجي به ربه: اللّهُمّ إِنّي أَعوذُ بِكَ مِنَ الْهَمّ وَالْحَزَنِ، وَأَعوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأعوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ والْبُخْلِ وَأعوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدّيْنِ وَقَهْرِ الرّجَال[1]، ألا ترى في هذه الأدعية أنه قد استعاذ بالله من كل مظهر من مظاهر الضعف؛ ضعف الإرادة بالهم والحزن، وضعف الإنتاج بالعجز والكسل، وضعف الجيب والمال بالجبن و البخل، وضعف العزة والكرامة بالدَّين والقهر؟ ...

ولكن الإخوان المسلمين أعمق فكرًا وأبعد نظرًا من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر، فلا يغوصوا في أعماقها ولا يزنوا نتائجها وما

1 هذا مثال على ما يفعله القول في دين الله بغير علم محكم، وفهم وثيق، فجعل القوة شعارًا للمؤمن حتى في دعائه، لا معنى له إلا أن يظهر الداعي القوة أثناء دعائه، عوض الحاجة والمسكنة، اللتين هما شأن الدعاء كله وروحه، بصرف النظر عن موضوعه، وذلك تجبر كفور، فعلى من يتقاوى الداعي؟ وليس في الحديث الشريف إلا الرغبة إلى الله، بذل ومسكنة، أن يعيذه الله تعالى مما ذكر. ولست أدعي أن البنا رمى إلى ذلك المعنى الكفور، لكن خانه التعبير، بسبب غلبة العاطفة عليه واندفاعه في تعزيز المعنى الذي يروم توكيده.

يقصد منها وما يراد بها، فهم يعلمون أن أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والإيمان، ثم يلي ذلك قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح، ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعًا، وأنها إذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهي مفككة الأوصال مضطربة النظام أو ضعيفة العقيدة خامدة الإيمان فسيكون مصيرها الفناء والهلاك.

هذه نظرة، ونظرة أخرى: هل أوصى الإسلام، والقوة شعاره، باستخدام القوة في كل الظروف والأحوال؟ أم حدد لذلك حدودًا واشترط شروطًا ووجه القوة توجيهًا محدودًا؟ ونظرة ثالثة: هل تكون القوة أول علاج أم أن آخر الدواء الكي؟ وهل من الواجب أن يوازن الإنسان بين نتائج استخدام القوة النافعة ونتائجها الضارة وما يحيط بهذا الاستخدام من ظروف؟ أم من واجبه أن يستخدم القوة وليكن بعد ذلك ما يكون؟ هذه نظرات يلقيها الإخوان المسلمون على أسلوب استخدام القوة قبل أن يقدموا عليه، والثورة أعنف مظاهر القوة، فنظر الإخوان المسلمون إليها أدق وأعمق، وبخاصة في وطن كمصر ،جرّب حظه من الثورات، فلم يجن من ورائها إلا ما تعلمون .

وبعد كل هذه النظرات والتقديرات أقول لهؤلاء المتسائلين: إن الإخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدي غيرها، وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة، وهم

حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صرحاء وسينذرون أولًا، وينتظرون بعد ذلك ثم يقدمون في كرامة وعزة، ويحتملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضاء وارتياح.

وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها، ولا يعتمدون عليها، ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها، وإن كانوا يصارحون كل حكومة في مصر بأن الحال، إذا دامت على هذا المنوال، ولم يفكر أولو الأمر في إصلاح عاجل وعلاج سريع لهذا المشاكل، فسيؤدي ذلك حتمًا إلى ثورة ليست من عمل الإخوان المسلمين ولا من دعوتهم، ولكن من ضغط الظروف ومقتضيات الأحوال، وإهمال مرافق الإصلاح، وليست هذه المشاكل التي تتعقد بمرور الزمن و يستفحل أمرها بمضي الأيام إلا نذيرًا من هذه النذر، فليسرع المنقذون بالأعمال .[1]

والمعنى الذي يتردد في تضاعيف هذه الرسالة هو أن استعمال القوة مطلوب مبدئيًا، لا جدال فيه، لكنه مرجأ إلى حين تتهيأ الظروف، إنه، إذن، العنف المرجأ، فواهمٌ كل من يظن أن الإخوان جماعة دعوية سلمية، مهما رفعتْ شعار السلمية، حين تضطر إليه، وواهمةٌ هي كل حكومة تأمن جانبهم، وتفسح لهم المجال ليمارسوا ما يزعمون أنه دعوة إلى الدين، لا تبتغي الأجر الا من الله، كلا، بل هي، وعلى لسان مؤسسها، جماعة لا ترى في أي حكومة قائمة في بلاد المسلمين تمثيلًا وتجسيدًا للإسلام

1 **مجموعة رسائل البنا**، مقتطفات من رسالة المؤتمر الخامس، ص. ص 115-136.

الحق[1]، وأن من واجب الجماعة تغيير هذه الحكومات، وبالقوة العارية

1 ومن الضروري التنبيه هنا على أنه في ظل ما هو أوضح من الواضح، من كون الفهوم والتأويلات تختلف وتتفاوت، تفاوتًا بعيدًا أو قريبًا، كثيرا أو قليلًا، يصدق هذا اليوم صدقه عبر تاريخ الإسلام بطوله، فلا ضمانة بالمرة من انفجار العنف والإرهاب باسم الدين وتحكيم الشرع، فمهما اجتهدت الحكومات في تطبيق الدين، وبالطبع، وفق فهمها تبعا لمرجعياتها العلمية المعتمدة، سيخرج على الناس من هؤلاء المؤدلجين من يزعم أن هذه الحكومة تناوئ الإسلام وتحاد الله ورسوله، ومعارك الإسلاميين واحترابهم مع بعضهم خير دليل، وبالتالي فلا بد من الثورة عليها أو الانقلاب بها لإقامة حكومة «تطبق شرع الله»، ونبقى هكذا في دوامة لا تنتهي، ولا نجد فرصة للتقدم والنمو، وها هو البنا يكتب في رسالة التعاليم (التي ذكر فيها الأركان العشرة للبيعة) تحت عنوان «العمل» الذي هو الركن الثالث من الأركان العشرة: ومن حقها (أي الحكومة المسلمة) متى أدت واجبها، الولاء والطاعة، والمساعدة بالنفس، والأموال، فإذا قصرت، فالنصح والإرشاد، ثم الخلع والإبعاد! ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. **مجموعة رسائل البنا**، ص. 360-361، وكان البنا، أثناء كلامه على هذا الركن، عرّف الحكومة الإسلامية فقال: والحكومة إسلامية ما كان أعضاؤها مسلمين مؤدين لفرائض الإسلام غير متجاهرين بعصيان، وكانت منفذة لأحكام الإسلام وتعاليمه. 360 وهو تعريف ملغوم بطوله، يفتح مسارات الاعتراض والثورة على كل حكومة مسلمة، أيًّا كانت، ومهما اجتهدت، من ذلك، أن علماءنا الثقات عبر العصور لم يمنعوا من مشاركة غير المسلمين في الحكومة، حتى على مستوى الوزارات، لكن التنفيذية دون التفويضية، وهو ما طبق كثيرًا في تاريخنا، ومن ذلك أنه شرط في أعضاء الحكومة لتكون «إسلامية» أداء الفرائض وعدم المجاهرة بعصيان، فماذا لو خالف بعضهم؟ أين هذا الاشتراط الغريب مما ورد في الصحيحين مرفوعًا من حديث أبي هريرة: إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، ومذهب أهل السنة الذي ينتمي إليه البنا، الصلاة خلف كل بر وفاجر، والصبر على السلطان الفاجر الفاسق مهما بلغ فسقه إلا أن يبلغ الكفر البواح، ففي الصحيحين عن عبادة بن الصامت: بايعنا رسول الله ص على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحا، عندكم فيه من الله برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لامة لائم. قال الحافظ ابن حجر: قوله: (عندكم من الله فيه برهان)؛ أي نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل، ومقتضاه أنه لا يجوز الخروج عليهم ما دام فعلهم يحتمل التأويل، قال النووي: المراد بالكفر هنا المعصية، ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرًا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام؛ فإذا رأيتم ذلك فأنكروا عليهم وقولوا بالحق حيثما كنتم، انتهى. وقال غيره: المراد بالإثم هنا المعصية والكفر، فلا يعترض على السلطان إلا إذا وقع في الكفر الظاهر، والذي يظهر حملُ رواية الكفر على ما إذا كانت المنازعة في الولاية، فلا ينازعه بما يقدح في الولاية إلا إذا ارتكب الكفر، وحمل رواية المعصية على ما إذا كانت المنازعة فيما عدا الولاية؛ فإذا لم يقدح في الولاية نازعه في المعصية بأن ينكر عليه برفق ويتوصل إلى تثبيت الحق له بغير عنف، ومحل ذلك إذا كان قادرًا، والله أعلم. فتح الباري، 8/13 ومن هنا نعلم لماذا وصف غير واحد من كبار علماء العصر جماعة الإخوان المسلمون بأنهم «خوارج العصر»، فعبارة البنا أعلاه، وما في معناها، مما سبق معنا أعلاه، كلها تتجارى لتشهد على الرجل بأنه «خارجي» نظّر لفكر الخوارج مجددًا، وأعادها جذعة، وصدق رسول الله ص حين قال، فيما أخرجه أحمد وابن ماجه، من حديث ابن عمر قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**يَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ يُسِيئُونَ الْأَعْمَالَ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ عَمَلَهُ مِنْ عَمَلِهِمْ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، فَإِذَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ، ثُمَّ إِذَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ، ثُمَّ إِذَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ، فَطُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ، وَطُوبَى لِمَنْ قَتَلُوهُ، كُلَّمَا طَلَعَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قَطَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**». ولفظ ابن ماجه: كلما خرج قرن، بدل «طلع». وصحح البوصيري حديث ابن ماجه، وحسنه الألباني في [صحيح ابن ماجه] قال ابن تيمية: قد أخبر النبي ص أنهم لا يزالون يخرجون إلى زمن الدجال، وقد اتفق المسلمون على أن الخوارج ليسوا مختصين بذلك العسكر. **مجموع الفتاوى**، 28/495-496 يريد بذلك العسكر الخوارج الذين خرجوا على الإمام علي وقاتلوه.

الضاربة، حين تتمكن من ذلك، كيف لا، والحكم (السلطة) كما زعم المؤسس من أصول الدين وأركانه، لا من رسومه وفروعه.

وفي هذا السياق قام البنا بتأسيس تنظيم سري خاص، أخفاه عن عموم جماعته، وحتى عن بعض كبار نوابه ووكلائه، كالشيخ الباقوري، كانت تؤخذ له بيعة خاصة، غير البيعة للجماعة، ويختار له أفراد مخصوصون، وتصل عقوبة من يخون أو يفشي سر التنظيم، سواء أكان ذلك عن حسن قصد أم عن سوء نية، إلى الإعدام، أو إخلاء الجماعة سبيل العضو[1]. وأوكلت إلى هذا الجهاز السري مهامٌّ من طبيعة عسكرية وإجرامية. وسينخرط هذا التنظيم، بالفعل، في أعمال عنفية، ويتورط في جرائم ستكون عاقبتها حل الجماعة، واغتيال البنا نفسه، ومن بين جرائمه، ما وقع ضحيتها أناس من الجماعة نفسها، بل من الجهاز السري ذاته. ولكن هذا التنظيم أو الجهاز السري لا يزال موجودًا، وعاملًا إلى يوم الناس هذا، وقد تبجح نجل المرشد الثاني حسن الهضيبي، المرشد السادس مأمون الهضيبي، مرةً، بهذا

1 عبد الحليم, محمود، **الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ**، 259/1، ورمضان, عبد العظيم، **الإخوان المسلمون والتنظيم الخاص**، 48-49

التنظيـم فـصرَّح: نحـن نفخـر ونتقـرب إلى اللـه بالجهـاز الـسري.[1]

ولهـذا، تـرون بعـض الـدول التـي تخـب وتضـع في تنفيـذ مخططـات تقسـيم بلادنـا وتجزئتهـا والعمـل عـلى تحويـل أمنهـا خوفًـا، واسـتقرارها اضطرابًـا، تحظـر بشـكل تـام وصـارم عـلى مواطنيهـا الانضـمام إلى هـذه الجماعـة، في الوقـت الـذي تفسـح لهـا في منابرهـا الإعلاميـة، وتمدهـا ماليًـا، وتدعمهـا سياسـيًا في نشـاطاتها المشـبوهة، هنـا وهنـاك، مضـارة بالـدول العربيـة الأخـرى وكيـدًا لهـا، واللـه مـن ورائهـم محيـط.

1 يمكـن الرجـوع إلى هـذه الكتـب عـن الجهـاز الـسري: 1 سـوزان حـرفي، النظـام الخـاص ودولـة الإخـوان المسـلمين، وقـد قـدم لـه أحـد قيـادات الإخـوان الكبـيرة وهـو كـمال الهلبـاوي،2 الإخـوان المسـلمون والتنظيـم الـسري، عبـد العظيـم رمضـان، 3 حقيقـة التنظيـم الخـاص ودوره في دعـوة الإخـوان المسـلمين، محمـود الصبـاغ، وهـو مـن قياداتهـم، ويعـبر عـن وجهتهـم، 4 التنظيـم الـسري السـياسي العسـكري عنـد الإخـوان المسـلمين بأقلامهـم محمـد بـن داود، The Secret Apparatus: The Muslim Brotherhood's Industry of Death, Cynthia Farahat
وقـد تكلـم خالـد محمـد خالـد عـن هـذا التنظيـم الخطـير في مذكراتـه [قصتـي مـع الحيـاة] بـدءا مـن ص 274 مصرحًـا بأنـه سـبب مـا حـل بالجماعـة مـن نكبـات وفشـل، كـما ذكـر أن البنـا شـكل هـذا التنظيـم لأهـداف ثلاثـة: شـن الحـرب عـلى الاسـتعمار البريطـاني، وقتـال الذيـن يخاصمـون الدعـوة ويحاولـون إعاقـة سـيرها!!! وإحيـاء فريضـة الجهـاد (وبمـا أنـه مقصـد ثالـث غـير الأول، فبالـضرورة هـو جهـاد داخـلي، ضـد الحكومـات، لتكتمـل سلسـلة الأدلـة عـلى «خوارجيـة» البنـا) وسـجل خالـد أن التنظيـم أسرف في سـبيل الهـدف الثـاني إسرافـا دمـر الإخـوان مـن الداخـل والخـارج، وتسـبب في مقتـل البنـا. أنظـر: خالـد محمـد خالـد، قصتـي مـع الحيـاة، دار أخبـار اليـوم، القاهـرة، 1993، 280 وبخصـوص دوافـع وأهـداف تكويـن التنظيـم الخـاص أنظـر: السـيد يوسـف، الإخـوان المسـلمون وجـذور التطـرف الدينـي والإرهـاب في مـصر، الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب، 1999، مـن 246

أشهر وأشنع جرائم الإخوان المسلمين

ولنـشرع الآن في سرد بعـض أشـهر وأشـنع الجرائـم التـي احتقبتهـا جماعـة الإخـوان، مـن غـير الدخـول في التفاصيـل لأن ذلـك سـيطول جـدًا.

1. اغتيال رئيس الحكومة أحمد ماهر باشا 1945

وهي أولى جرائم النظام الخاص.

نافـس البنـا في عـام 1945 في الانتخابات البرلمانية في دائرة الإسـماعيلية، في وزارة أحمـد ماهـر باشـا، لكنـه لم يفـز، فاتهم الحكومـة بالتزوير، وتظاهر الإخـوان معلنـين الرفض، فخاطبهم مرشـدهم العـام بالقول:

"يـا أبنـاء الإسـماعيلية الأوفيـاء... أيهـا الإخـوان الذيـن جئتـم مـن كل مـكان!

إن هـذه الحشـود الهائلـة بهـذه الصـورة القويـة الرائعـة، بهـذا الواقـع الصـادق والحقيقـة القائمـة لتصـم الحكومـة بالتزويـر والتضليـل، وإن الباطـل لا يغنـي عـن الحـق شـيئًا، وإن دولـة الظلـم سـاعة ودولـة الحـق إلى قيـام السـاعة.

وإن عجـز أمـة عـن أن تدفع أحـد أبنائها إلى البرلمان ليقـول كلمة الحق والإسـلام لدليـل عـلى أن الحرية رياء وهباء، وأن الاسـتعمار هو سر البلاء!

أيها الإخوة...

إنني أحسب أن مراجلكم تغلي بالثورة، وعلى شفا الانفجار، ولكن في هذا الموقف لا بد من صمام الأمان، فاكظموا غيظكم، وادخروا دماءكم، ليوم الفصل!؟ وهو آتٍ لا ريب فيه، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله![1]

وفي الرابع والعشرين من فبراير من عام 1945اغتيل أحمد ماهر باشا، بإطلاق الرصاص عليه، على يد شاب يدعى محمود العيسوي، ليس من الإخوان المسلمين.[2]

لكن بعد زهاء نصف قرن، تبين أن الإخوان هم الذين باءوا بإثم اغتيال أحمد ماهر باشا، فقد كتب الأستاذ خالد محمد خالد في مذكراته التي نشرها في جريدة الوفد بتاريخ 15 أكتوبر 1992 ثم نشرت مجموعة في كتاب بعنوان [قصتي مع الحياة]:

كانت أولى جرائم النظام الخاص، اغتيال أحمد ماهر باشا، رئيس الوزراء...هناك ذهب أربعة من شباب التنظيم السري وانتظروا اجتياز الدكتور ماهر البهو الفرعوني في طريقه إلى مجلس الشيوخ وتقدم أحدهم متظاهرا بمصافحته، فلما بسط أحمد ماهر يمينه فاجأه برصاصات

1 عباس السيسي، حسن البنا: **مواقف في الدعوة والتربية**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2001، 202

2 للوقوف على أسباب الاغتيال أنظر: السيد يوسف، **الإخوان المسلمون وجذور التطرف الديني والإرهاب في مصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999، 261ـ262

استقرت في قلبه، وهرب الثلاثة الآخرون، وعرف اسمه: محمود العيسوي، محام تحت التمرين، ومن أنصار اللجنة العليا للحزب الوطني. كان التنظيم السري بارعًا في التنكر، فهو بعد تدرسي أعضائه على كل أفانين الإرهاب، يأمر بعضهم بأن يلتحق ببعض الأحزاب والجماعات، حتى إذا اختير لعمل من أعمال الاغتيال أو الإرهاب لم يبد أمام القانون ولا الرأي العام من أعضاء الإخوان، ومن هذا النوع كان محمود العيسوي! فهو عضو في الإخوان، وفدائي من النظام الخاص، وقد بقي الناس زمنًا طويلًا وهم يجهلون عنه هذه الصلة، وحين ارتكب جريمته لم يعرف عنه إلا أنه شاب متحمس من شباب الحزب الوطني. ثم يحكي لنا الأستاذ خالد كيف أنه في صباح اليوم التالي للاغتيال، جاءه يزوره، صديق له، وهو من الصفوة في قيادة النظام الخاص، وأنه سأله: أفعلتموها؟ وأنه أجابه بنعم ووجهه يكتسي بزهو المنتصرين، ولقد لذت بكتمان الأمر كله، ولم أبح به إلا بعد سنوات كِثارٍ في حديث أجرته معي مجلة روز اليوسف. ماذا كان موقف الأستاذ المرشد من هذا الاغتيال؟ وهل رضي به وباركه أو امتعض منه ورفضه؟ هذا ما لا أعرفه حتى يومنا هذا، عكس اغتيال النقراشي باشا، فمبلغي من العلم أنه وافق عليه، وشجع وبارك، لأنه اعتبر حل جماعة الإخوان، ومصادرة دُورها وممتلكاتها حربًا لله ولرسوله ولدينه.[1]

1 خالد، محمد خالد، **قصتي مع الحياة**، دار أخبار اليوم، القاهرة، 1993، 281ـ282، وللأسف فإن محمود عساف اقتضب كلام خالد وتساءل من أين استقى معلوماته، وكلام خالد أعلاه واضح في مصادره. أنظر: عساف، مع الإمام حسن البنا، 151ـ152

ومـما يعضـد شـهادة الأسـتاذ خالـد مـا كتبـه الشـيخ أحمـد حسـن الباقـوري، الـذي كان عضـوا في مكتـب الإرشـاد، ومرشـحا لخلافـة البنـا:

وأمـا النظـام الخـاص فلـم يكـن المنتسـبون إليـه معروفـين إلا في دائـرة ضيقـة ولآحـاد معروفـين، وقـد كان لهـؤلاء اجتماعاتهـم الخاصـة بهـم، وربما كانـوا يعملـون في جهـات مختلفـة يجهـل بعضهـا بعضًا جهـلًا شـديدًا. ومن سـوء حـظ الدعـوة أن هـذا النظـام الخاص رأى أن ينتقم لإسـقاط المرشـد في الانتخابـات بدائـرة الإسـماعيلية. وكان مـن أشـد المتحمسـين لفكـرة الانتقام هـذه محـامٍ شـاب يتمـرن عـلى المحاماة في مكتـب الأسـتاذ عبـد المقصـود متـولي، الـذي كان علـمًا مـن أعـلام الحـزب الوطنـي وهـو المحامـي الشـاب محمـود العيسـوي. فـما أعلنـت حكومـة الدكتـور أحمـد ماهر باشـا الحرب عـلى دول المحـور لـكي تتمكـن مـصر بهـذا الإعـلان مـن أن تمثـل في مؤتمـر الصلـح إذا انتـصرت الديمقراطيـة عـلى النازيـة والفاشـية، رأى النظام الخاص أن هـذه فرصـة سـنحت للانتقـام مـن رئيـس الحكومـة، ووجَّـه محمـود العيسـوي إلى الاعتـداء عـلى المرحـوم أحمـد ماهـر باشـا، فاعتـدى عليـه في البرلمـان بطلقـات سـلبته حياتـه التـي وهبها لمـصر منذ عـرف الوطنية رحمه اللـه رحمة واسـعة.[1]

كـما أن الشـيخ سـيد سـابق، مفتـي الجماعـة والتنظيـم، فاجـأ جماعته في منتصـف التسـعينيات، فـصرح لجريـدة «المسـلمون» بـأن محمـود

1 الباقوري، أحمد حسن، **بقايا ذكريات**، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1988، 49

العيسـوي، قاتـل ماهـر باشـا، كان عضـوًا في التنظيـم الخـاص للجماعـة، وأنـه اغتـال الرجـل انتقامًـا لسـقوط البنـا في انتخابـات مجلـس النـواب في الإسـماعيلية.[1]

وعلق محمود الصباغ على الاعتراف المتأخر لسيد سابق بالقول:

وإننـي أؤكـد وأنـا هنـا في مجـال بيـان الحقيقـة عـلى الرغـم مـما نشره بعـض كبـار الإخـوان مـن غير إخـوان النظـام بالصحـف، انتفـاء كل صلة بين محمـود العيسـوي وعملـه هذا، وبين جماعـة الإخوان المسـلمين أو نظامهم، وأن محمـود العيسـوي قـد أحـل لـه المفهـوم الوطنـي اغتيـال أحمـد ماهـر باشـا سياسـيًا، لأنه يصـادق أعـداء الوطن.[2]

وكأن سـيد سـابق يفـتري عليهـم، وكأن ذلـك ينفعـه بـأي شـكل مـن الأشـكال! ومـاذا عـن شـهادة الباقـوري، وشـهادة خالـد محمـد خالـد؟ أيفـترون الكـذب ويختلقـون؟

لكـن إليكـم شـهادة أخـرى؛ في عـام 2009 شـاء اللـه أن يعـترف رجـل يدعـى خليفـة عطـوة، وهـو أحـد أعضـاء التنظيـم الخـاص، باشـتراكه في اغتيـال ماهـر باشـا، إلى جانـب العيسـوي الـذي حمـل الجـرم وحـده.[3]

1 لكـن عسـاف، عـلى طريقـة الإخـوان، حـاول تبرئـة التنظيـم، بالجـواب عـن كلام الشـيخ سـيد سـابق، انظـر كتابـه: **مـع الإمـام حسـن البنـا**، 152

2 محمود الصباغ، **حقيقة التنظيم الخاص**، 272

3 المصريون نت 7 فبراير 2009 كما في الوصيفي، 442

2. **اغتيال أمين عثمان 1946**

3. **وفي الفترة بين اغتيال ماهر 1954 واغتيال النقراشي 1948**

وقعت عدة حوادث عنف وتفجير، في أنحاء متفرقة من القاهرة والإسكندرية.[1]

4. **اغتيال القاضي أحمد الخازندار 1948**

والسبب إصداره أحكامًا قاسية بحق بعض المنتمين إلى التنظيم، بسبب الجرائم التي تورطوا فيها، ومن بينها تفجيرات سينما المترو. ودبر عملية اغتيال القاضي رئيس التنظيم الخاص عبد الرحمن السندي، وباشر العملية محمود سعيد زينهم، وحسن عبد الحافظ، اللذان أطلقا على المغدور تسع رصاصات من مسدسين كانا بحوزتهما. وقد قبض عليهما في الحال، وكان ذلك في 22 من مارس 1948.

وحاول البنا التنصل من الجريمة. وهذا ما كتبه الصباغ:

فتوجه للسندي بالقول: أليست عندك تعليمات بألا تفعل شيئًا إلا بإذن صريح مني؟ فأجابه السندي: لقد طلبت الإذن منكم، وصرحتم فضيلتكم بذلك، قال البنا: كيف؟ قال السندي: لقد كتبت إليكم أقول: ما رأيكم دام فضلكم في حاكم ظالم يحكم بغير ما أنزل الله، ويوقع الأذى بالمسلمين، ويمالئ الكفار والمشركين والمجرمين؟ فقلتم فضيلتكم ﴿**إِنَّمَا**

1 المصريون نت 7 فبراير 2009 كما في الوصيفي، 264ـ272

جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:33] فاعتبرت هذا إذنا. فقال البنا: إن طلبك الإذن كان تلاعبا بالألفاظ، فلم يكن إلا مسألة عامة، تطلب فيها فتوى عامة، أما موضوع الخازندار فهو موضوع محدد، لا بد من الإذن الصريح فيه. ثم قال البنا: إن كان قتلك للخازندار قد تم بحسن نية، فإن علينا الدية! ولكن الحكومة دفعت تعويضًا كبيرًا لأسرة الخازندار، فأسقطت الدية عن الإخوان.[1]

لكن في مصادر إخوانية أخرى أن السندي واجه البنا بأنه قال له، بخصوص الخازندار لو كان ربنا ريحنا من العالم دي.[2]

تبين لاحقًا أن حسن عبد الحافظ أحد القاتلين، كان سكرتيرًا للبنا.

ومحاولة تصوير البنا عملية الاغتيال الخسيسة هذه بأنها قتل خطأ، يجبره دفع الدية، أمر بالغ السخف، فليس ما وقع، بحكم التعريف، قتل خطأ بحال، بل هو قتل عمد صريح، لكنه، ككل مرة، التلاعب بالدين، وتوظيفه في أغراضهم تدبيرًا وتبريرًا. ثم إن ما وقع قتل غيلة، وهذا له حكم يخصه، فباتفاق الفقهاء القاتل غيلة يقتص منه، لكن المالكية، خلافا لجمهور الفقهاء، زادوا، فذهبوا إلى أن عفو

1 الصباغ، **حقيقة التنظيم الخاص**، 264

2 الوصيفي، 445

ولي الدم لا يسقط عقوبة القتل عن القاتل، لأن الحق ليس له، بل هو لله تعالى، والقتل غيلة، في نظر المالكية، حرابة في حال كان القاتل ظاهرا على وجه يتعذر معه الغوث[1]، وهو ما ينطبق على حوادث الاغتيال.

5. قتل إمام اليمن؛ الإمام يحيى بن حميد 1948[2]

6. العنف ضد محلات اليهود[3]

7. حادثة سيارة الجيب وقعت في 15 نوفمبر 1948

والتي ضبطها البوليس، ومن خلال ما كان فيها من وثائق تخص النظام السري، انكشف أمر الجهاز لأول مرة، ووضع البوليس يده على كثير من الأسرار المتعلقة بحوادث العنف والتفجير التي كانت تقع في البلد، ومنها تلك التي وقعت في صيف وخريف 1948، ولم يُعرف من يقف وراءها. لكن ذلك لم يقف حوادث العنف، فاغتيل بعدها:

8. اللواء سليم زكي 1948

مدير الأمن العام في القصر العيني، في 4 من ديسمبر 1948، وباغتياله ساءت العلاقة جدًا بين الجماعة والدولة، فأصدر رئيس

1 كما في الدسوقي 238/4، وقال ابن أبي زيد في الرسالة: وقتل الغيلة لا عفو فيه ولو كان المقتول كافرًا والقاتل مسلمًا. وقد استدل المالكية بآثار كثيرة، منها ما رواه البيهقي: أن النبي صلى الله عليه وسلم رفض قبول عذر الحارث بن سويد الذي قتل المجذر بن زياد غيلة.

2 الوصيفي، 445ـ452

3 السيد يوسف, الإخوان, 274-276، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999، 274ـ276

الوزراء النقراشي باشا يوم 8 ديسمبر قرارًا بإغلاق كل شعب الجماعة، واعتقل الألوف من أعضاء الجماعة، ولم تقف الجماعة مكتوفة الأيدي، فقامت بجريمتها الجديدة وهي:

9. اغتيال رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي باشا 1948

وكان ذلك في 28 من ديسمبر 1948، عشرين يوما بعد صدور قرار حل الجماعة، وكان من باء بإثم النقراشي طالبا في كلية الطب البيطري بجامعة فؤاد الأول، اسمه عبد المجيد حسن، من الإخوان المسلمين، بل من أعضاء التنظيم الخاص، فعل فعلته مرتديا زي ضابط شرطة، فلم يرتب فيه حين دخل وزارة الداخلية، وبعد اغتياله للنقراشي، قبض عليه في الحال، وأودع السجن.

وفرح الإخوان بجريمتهم النكراء هذه، كما قال القرضاوي:

وقابل عامة الإخوان اغتيال النقراشي بفرحة مشوبة بالحذر، فقد رد عبد المجيد لهم كرامتهم، وأثبت أن لحمهم مسموم لا يؤكل، وأن من اعتدى عليهم لا بد أن يأخذ جزاءه، وكان الجو السياسي العام في مصر يسيغ ذلك!!

ثم ذكر القرضاوي أن البنا لما سئل عن الحادث قال: إن جماعة الإخوان لا تتحمل وزر هذا الحادث، لأنها غير موجودة بحكم القانون![1] فكيف تتحمل تبعة عمل فرد ليس لها قدرة على أن تحاسبه،

1 يعني لأنه جرى حلها بقرار المغدور النقراشي

بـل ولا مشروعيـة أن تسـأله، وهـو الـذي حـذرت منـه؛ أن ينطلـق الأفـراد بدوافعهـم الذاتيـة يفعلـون مـا يشـاؤون.

ثم قال القرضاوي:

ولقـد قابلنـا، نحـن الشـباب والطـلاب، اغتيـال النقـراشي بارتيـاح واستبشـار، فقـد شـفى غليلنـا، ورد اعتبارنـا، ومـما أذكـره أني نظمـت بيتـين في هـذه المناسـبة، يعـبران عـن ثـورة الشـباب، في هـذه السـن، خطابـا لعبـد المجيـد حسـن، قاتـل النقـراشي، كان الطـلاب يرددونهـما، وهـما:

عبد المجيـد تحيـةٌ وسـلام أبشر، فإنك للشبـاب إمامُ
سمّمتَ كلبا، جاء كلبٌ بعده ولكـل كلـبٍ عندنـا سمَّامُ

ولكـن الكلـب أو العـير[1]، كـما عـبر بـه بعضهـم، الـذي جـاء بعـد المقتـول، اسـتمر أشـد مـن سـابقه وأفظـع، ولم يخفـه مـا حـدث لسـلفه، بـل بالـغ في القسـوة والتنكيـل والتشـديد.[2]

ويقصـد القرضـاوي بمـن خلـف النقـراشي إبراهيـم عبـد الهـادي، والـذي اعتقـل 4000 مـن الإخـوان، عذبـوا بقسـوة غـير مسـبوقة

1 الكلـب إشـارة إلى بيتـي القرضـاوي، أمـا العـير فإشـارة إلى المثـل: إن ذهـب عـيرٌ فعـيرٌ في الربـاط، والعـير هـو الحـمار الوحـشي والأهـلي ويجمـع عـلى أعيـار، والرِّبـاط مـا تشـد بـه الدابـة، يقـال: قطـع الظبـي رباطـه وانطلـق هاربًـا، فقيـل للصائـد: إن ذهـب عـير، فاقتـصر عـلى مـا علـق في حِبالتـه. وهـو مثـل يـضرب في الرضـا بالحـاضر عوضـا مـن الغائـب أو الفائـت.

2 **ابن القرية والكتاب**، 1/335-337.

10. محاولة فاشلة لنسف محكمة الاستئناف بالقاهرة 1949

بقصـد إتـلاف أوراق تخص أوراق قضية السـيارة الجيب، التي انكشـف بهـا سر التنظيـم الخـاص، كـما مـر بنـا، على أمـل أن يتم بهـذا إعـدام الدليل عـلى التهمـة المتعلقـة بالأشـخاص المدونـة أسـماؤهم في الملـف. وقـد قـام بهـذه المحاولـة أحـد أعضـاء التنظيم الـسري، ويدعى شـفيق إبراهيـم أنس. ولم يقـع الانفجـار في المحكمـة، لكـن خـارج مبنـى المحكمـة، في ميـدان باب الخلـق، حيـث أصيـب جـراء الانفجـار 25 شـخصًا مـن المـارة في الشـارع، وألقـي القبـض عـلى شـفيق أنـس. وهـي الحادثـة التـي بسـببها أصـدر البنا بيانـه الشـهير «ليسـوا إخوانًـا وليسـوا مسـلمين» وذلـك في 13 ينايـر 1949. وكان دافـع، قبـلًا، عـن نفسـه وجماعتـه بالقـول: أن مسـؤولية الحـادث تقع عـلى عاتـق مـن قـام بـه، وليـس عـلى عاتـق الجماعـة.[1]

11. محاولة اغتيال رئيس الوزراء إبراهيم عبد الهادي 1949

دبـر الإخـوان كمينًـا لاغتيـال عبـد الهـادي، وكان حامـد جـودة، وهـو رئيـس مجلـس النـواب، في وزارة إبراهيـم عبـد الهـادي، يسـكن في المعـادي، حيـث يسـكن عبـد الهـادي، فمـر بموكبـه قبـل موكـب عبـد الهـادي، وظنـه الإخـوان موكـب عبـد الهـادي، ففتحـوا عليـه نـيران أسـلحتهم بكثافـة، وألقـوا عليـه عـددًا مـن القنابـل اليدويـة، وذلـك في الخامـس مـن مايـو

1 للوقوف على التفاصيل، أنظر: السيد يوسف, **الإخوان**، 1999،

1949، وأصابت النيران بعض المارة، لكنها لم تصب جودة.[1] وكان ذلك بعد اغتيال حسن البنا، الذي جرى في 12 من فبراير 1949.

12. اغتيال المهندس سيد فايز 1953

وهو من قيادات التنظيم الخاص القدامى، متخصص في صناعة المفرقعات، وكان المدبر الأول لجريمة اغتيال النقراشي. أما من الذي كان يقف وراء اغتيال فايز، فالتنظيم الخاص نفسه، وعلى رأسه عبد الرحمن السندي، بسبب نشوب خلافات حادة حول التنظيم، في زمن المرشد الثاني، حسن الهضيبي، الذي عمل على إقصاء السندي، وإلغاء التنظيم الخاص الذي يقوده، والاستبدال به تنظيمًا خاصًا آخر، جعل على رأسه يوسف طلعت، وكان سيد فايز مع التنظيم الجديد، ضد جبهة السندي. وفي يوم ذكرى ميلاد النبي الأكرم ص، في 20 نوفمبر 1953، أتى شخص بصندوق من حلوى المولد، وطرق باب سيد فايز، وسلم الصندوق إلى شقيقته، قائلًا: إنه لا يجب أن يفتحه إلا سيد، ولما فتحه سيد انفجر في وجهه، ليودي على الفور بحياته، وحياة أخ له صغير، كما أدى الانفجار إلى سقوط جزء من الشرفة على المارة فقتلت فتاة صغيرة كانت تمشي في الشارع.[2]

1 السيد يوسف، **الإخوان**، 297

2 الباقوري، **بقايا ذكريات**، 71، علي عشماوي، **التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين**، ص. ص 15-16.

13. محاولة اغتيال جمال عبد الناصر 1954

في الحادثة الشهيرة المعروفة بحادثة المنشية، والتي سال حولها مداد كثير، ودار حولها جدل كبير.

في يوم 26 فبراير 1954 بمناسبة توقيع اتفاقية الجلاء، وقف عبد الناصر يلقي خطابًا بميدان منشية البكري بالإسكندرية، وبينما هو في منتصف كلمته، أطلق محمود عبد اللطيف، أحد كوادر التنظيم الخاص الجديد، الذي أعاد بناءه الهضيبي، ثماني طلقات من مسدس بعيد المدى، باتجاه ناصر، ليصاب شخصان، وينجو الرئيس.

ومن يومها والإخوان يصرون على أن الحادث تمثيلية دبرت بعلم عبد الناصر، ليكون ذريعة يتذرع بها للتخلص من الجماعة، ولكن المتهمين في المحكمة العلنية «محكمة الشعب» التي كانت تذاع وقائعها على الهواء مباشرة عبر الإذاعة المصرية، قدموا اعترافات مفصلة، تناولت دور كل واحد منهم ومسؤوليته عن الجريمة.[1]

وقد أذاعت قناة الجزيرة القطرية في 22 و29 من ديسمبر 2006 حلقتين من برنامج «الجريمة السياسية» اعترف فيه، وبفخر، بعض أبطال الحادث بمسؤوليتهم عن الجريمة، التي تمت بتخطيط وإشراف دقيق من قيادات الجماعة.[2]

1 جمعت هذه المحاكمات ونشرت بعد ذلك في جزأين بعنوان [محكمة الشعب]

2 https://www.youtube.com/watch?v=bwy3adWubyY هذا رابط للحلقتين معا،

ونقف هنا، فسجل إرهاب الجماعة طويل حافل، ونختم بالتذكير بأن مثل هذا الإرهاب كان سيكون مفهومًا لو صدر من أناس لا يؤمنون بلقاء الله تعالى، ولا يقيمون وزنًا للبروق والرعود الواردة في كلامه الكريم في حق من قتل نفسا معصومة الدم بغير نفس أو فساد في الأرض، وهو الحرابة، وعده كمن قتل الناس جميعا، أناس لم يتلوا ﴿**وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا**﴾ [الفرقان: 68-69] ولا قوله تعالى ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: 93] أناس يستحلون سفك دماء الأبرياء في أثناء محاربتهم للأنظمة التي ينعتونها بالكفر، وكأنهم لم يتلوا مرة، أو لم يطرق سمعهم قوله تعالى ﴿**وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾ [الفتح: 25].

فلم يأذن الله تعالى في قتل هؤلاء الأبرياء، وإن كان المقصودَ أصالة بالقتال المشركون الصادين للرسول ومن معه عن البيت.

وقد ورد في بعض الآثار أن أولئك المؤمنين كانوا سبعة رجال، وقيل بل ثلاثة رجال وتسع نسوة.

وأصل المعرة من عرَّه، إذا دهاه، أي أصابه بما يكرهه ويشق عليه من ضر أو غرم أو سوء قالة. قال الطاهر ابن عاشور: فهي هنا تجمع ما يلحقهم إذا ألحقوا أضرارًا بالمسلمين من ديات قتلى، وغرم اضرار، ومن إثم يلحق القاتلين إذا لم يتثبتوا فيمن يقتلونه، ومن سوء قالة يقولها المشركون ويشيعونها في القبائل أن محمد وأصحابه لم ينج أهل دينهم من ضرهم.[1]

أناس كأنهم لم يسمعوا يومًا بما أخرجه البخاري من قول النبي الرؤوف الرحيم فيما يرويه عنه ابن عمر: لَنْ يزالَ المؤمِنُ في فُسحَة من دِينه ما لم يُصِبْ دمًا حرامًا. قال: وقال ابن عمر: إنَّ من وَرَطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفكُ الدَّم الحرام بغير حِلِّه.

أو ما أخرجه أبو داود عن أبي الدرداء أنه سمع النبي ص يقول: كُلُّ ذَنب عسى الله أَن يغفرَه، إلا من مات مُشْرِكًا، أو مُؤمِن قَتَلَ مؤمنًا متعمدًا.

ولا ما رواه الترمذي والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: لَزَوالُ الدُّنيا أهْونُ على الله مِن قتلِ رجل مسلم.

أو ما رواه النسائي عن بريدة قال ص قَتْلُ المُؤمِنِ أعْظَمُ عِنْدَ الله من زَوال الدنيا.

1 ابن عاشور, محمد الطاهر، التحرير والتنوير، 191/26

أو ما روى الترمذي عن أبي الحكم البجلي قال: سمعت أبا هريرة وأبا سعيد رضي الله عنهما يذكران عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قال: لو أنَّ أهْلَ السَّماءِ وأَهْلَ الأَرضِ اشتركوا في دَمِ مؤمن لأكبَّهُمُ الله في النار.

وأين هم، وكم فتكوا، وكم غدروا، مما رواه أبو داود عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان قَيَّدَ الفَتْكَ، لا يَفْتِكُ مؤمِن.

ألم يسمعوا بما أخرجه الشيخان عن المقداد بن عمرو الكندي أنه قال لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم: أَرأَيتَ إن لقِيتُ رجلًا من الكُفارِ فَاقْتَتَلْنا، فَضَرَب إحدى يديَّ بالسيف فقطعها، ثم لاذَ مِنِّي بشجرة، فقال: أسلمتُ لله، أَأَقْتُلُه يا رسولَ الله بعد أن قالها؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: لا تقتُلْه، فقال: يا رسولَ الله، قَطَعَ إحدى يديَّ، ثم قال ذلك بعدما قطعها، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: لا تقْتُلْه، فإن قتَلْتَه فإنَّهُ بمنزلتكَ قبل أن تقتلَه، وإنك بمنزلَتِه قبلَ أن يقول كلمَته التي قال.

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو وحده المستعان على ما بلينا به من غلو وتطرف وهوى غلاب وإرهاب وتفريق لأمة محمد، وهو وحده المرجو في كشف هذه الغمة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع

- الآمدي، علي بن محمد، **الإحكام في أصول الأحكام**، تحقيق إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، 1980، 4 مج.
- ابن الأثير، المبارك بن محمد، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1979، 5 مج.
- الأصبهاني، إسماعيل، **الترغيب والترهيب**، تحقيق أيمن صالح، دار الحديث، القاهرة، 1993، 3 مج.
- أمين، حسين أحمد، **في بيت أحمد أمين ومقالات أخرى**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1989.
- ابن أنس، مالك، **موطأ الإمام مالك برواية الزهري**، تحقيق بشار عواد، 1991، مجلدان.
- الإيجي، عضد الدين، **شرح مختصر ابن الحاجب**، تحقيق محمد دوكوري، مكتبة دار الثقافة، نيجيريا، 2022، 3 مج.
- البخاري، علاء الدين، **كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1890، 4 مج.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، طبعة مصورة عن نسخة المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، 1311هـ 2002م، 9 مج.
- البغا، مصطفى، **أثر الأدلة المختلف فيها في الفقه الإسلامي**، دار الإمام البخاري، دمشق، دت.

- البغدادي، الخطيب، **الفقيه والمتفقه**، تحقيق عادل يوسف، ط 2، 1421، مجلدان.
- البغدادي، عبدالقاهر، **أصول الدين**، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.
- البلاذري، أحمد بن يحيى، **أنساب الأشراف**، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، 1996.
- البنا، حسن، **مجموعة رسائل حسن البنا**، المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر، بيروت، 1983.
- البيهقي، أحمد بن الحسين، **السنن الكبير**، تحقيق عبدالله التركي، مركز هجر، القاهرة، 2022م، 25 مج.
- الترمذي، محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، دار مصطفى الحلبي، مصر، ط 2، 1975، 5 مج.
- تليمة، عصام، «الإخوان وحل التنظيم»، مقال منشور في الوسط التونسية، بتاريخ 8 من فبراير 2008.
- جامع، محمود، **وعرفت الإخوان**، دارا التوزيع والنشر الإسلامية، 2003.
- أحمد بن علي، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 13 مج.
- الحراني، السيد، **الوثائق المجهولة للإخوان المسلمين: آل البنا بين التكفير والتفكير**، زين للنشر والتوزيع، القاهرة، 2017.
- الحكيم، سليمان، **أسرار العلاقة الخاصة بين عبدالناصر والإخوان المسلمين**، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، القاهرة، 1996.

- ابن حنبل، أحمد، **مسند الإمام أحمد ابن حنبل**، 2001، 50 مج.
- الحنبلي، أبو يعلى، **طبقات الحنابلة**، السعودية، 1999، مجلدان.
- ابن خزيمة، محمد، **صحيح ابن خزيمة**.
- ابن خلدون، عبدالرحمن، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط 3، 3 مج.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، 2009.
- الدهلوي، شاه ولي الله، **حجة الله البالغة**، دار الجيل، بيروت، 2005، مجلدان.
- الراشد، محمد أحمد، **المنطلق**، 1975.
- رزق، جابر، **الإمام الشهيد حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه**، 1986.
- ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى**، تحقيق علي محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001، 11 مج.
- السيسي، عباس، **في قافلة الإخوان المسلمين**، 1986، مجلدان.
- الصاوي، صلاح، **الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر**، دار الإعلام الدولي، القاهرة، 1994.
- الشاطبي، أبو إسحق، **الموافقات**، تحقيق حسين آيت، منشورات البشير بنعطية، فاس، 2017، 7 مج.
- **الاعتصام**، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، مجلدان.
- الشافعي، محمد بن إدريس، **الأم**، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1983، 8 مج.
- الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم، **الملل والنحل**، تحقيق عبدالعزيز الوكيل، مؤسسة الحلبي، القاهرة، 1968، 3 مج.

- الصباغ، محمود، **حقيقة التنظيم الخاص ودوره في دعوة الإخوان المسلمين**، 1989.
- الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق عبدالله التركي، دار هجر، ط 1، 2001، 26مج.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، 2001.
- ابن عبد البر، يوسف، **الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء: مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم**، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن عبدالبر، يوسف، **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق أبو الأشبال الزهيري، 1994، مجلدان.
- عبدالحليم، محمود، **الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ**، 1994.
- عبدالخالق، فريد، **الإخوان المسلمون في ميزان الحق**، 1987.
- عساف، محمود، **مع الإمام الشهيد حسن البنا**، مكتبة عين شمس، القاهرة، 1993.
- عشماوي، علي، **التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين**، دار الهلال، القاهرة، 1993.
- عيد، سامح، **رسائل التكفير في فكر حسن البناء**، مركز المحروسة، 2014.
- أبو العينين، سعد، **الشعراوي الذي لا نعرفه**، كتاب اليوم، القاهرة، 1995.
- الغزالي، زينب، **أيام من حياتي**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1999.

- الغزالي، محمد، **المستصفى من علم الأصول**، تحقيق الشيخ إبراهيم محمد رمضان، مجلدان.
- الغزالي، محمد، **من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث**، دار الكتب الحديثة، ط2، 1963.
- ابن قدامة المقدسي، موفق الدين، **روضة الناظر وجنة المناظر**، تحقيق عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد، الرياض، مجلدان.
- القرافي، أحمد بن إدريس، **الفروق**، تحقيق عمر حسن القيام، ط 1، 2003، 4 مج.
- القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964، 20 مج.
- قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ط 32، 2003، 6 مج.
- ـــــــــــ ، **معالم في الطريق**، ط 6، 1979.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق محمد عبدالسلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991، 4 مج.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، دار عطاءات العلم، الرياض، ط 4، 2019.
- كامل، عبدالعزيز، **في نهر الحياة**، المكتب المصري الحديث، 2006.
- اللالكائي، أبو القاسم، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، تحقيق أحمد الغامدي، دار طيبة، السعودية، ط 8، 2003، 8 مج.
- مسلم، **صحيح مسلم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1955، 5 مج.

- المطعني، عبدالعظيم، **رسالة من حسن البنا إلى قيادات الدعوة الإسلامية**، دار الأنصار، القاهرة 1979.
- المقدسي، أبو شامة، **مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول**، الكويت، 1403.
- ابن الموصلي، محمد، **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، 2001.
- النمنم، حلمي، **حسن البنا الذي لا يعرفه أحد**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2013.
- ابن هشام، عبدالملك، **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ط 2، 1955، مجلدان.
- الوصيفي، علي السيد، **الإخوان المسلمون بين الابتداع الديني والإفلاس السياسي**، دار سبيل المؤمنين، القاهرة، 2012.
- David Easton، *Politik als Beruf*.

فهرس المحتويات

مقدمة 3

الفصل الأول:

الأركان الفكرية لمشروع جماعة الإخوان المسلمين 8

الركن الأول : الخلافة و"الحكومة" الإسلامية 8

الركن الثاني : الحاكمية 30

الركن الثالث : الأمة في مقابل الوطن 58

الفصل الثاني:

وسائل جماعة الإخوان المسلمين في تحقيق أهدافها 70

الوسيلة الأولى : التنظيم الترابي الصارم 70

الوسيلة الثانية : الحصرية واحتكار الدين 78

الوسيلة الثالثة : الطاعوية 109

الوسيلة الرابعة : التقية والكذب والتلون 122

الوسيلة الخامسة : الإرهاب مؤجلًا معجلًا 152

أشهر وأشنع جرائم الإخوان المسلمين 167

قامة المراجع والمصادر 183